المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية



الرقابة على الأسواق والصناعات في مجتمع المشرق الإسلامي خلال العصر العباسي (١٣٢هـ-٦٥٦هـ) (٧٥١م-١٢٥٨م)

(دراسة تاريخية حضارية)

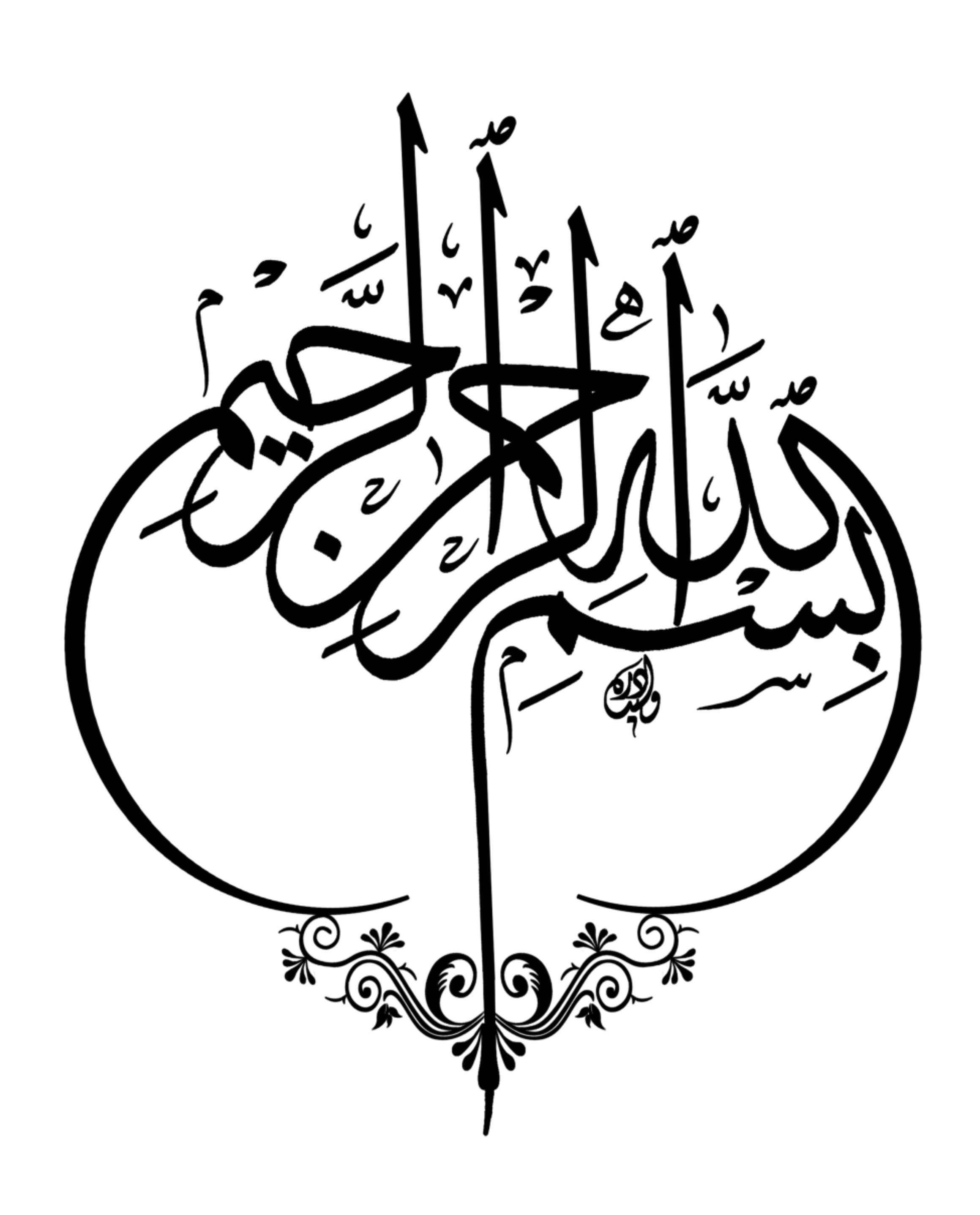
بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالبة: **(هلالة بنت عبد الله بن بركات الزهراني)**

الرقم الجامعي: (٤٣٤٨٠٢٣٧)

بإشراف الأستاذ الدكتور:

أ.د / مريزن سعيد عسيري


بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص (**باللغة العربية**)

الحمد لله ، و الصلاة و السلام على رسول الله ، و على آله و صحبه و من تبعهم بإحسان أجمعين، أما بعد :

كان اختيار موضوع الدراسة : **الرقابة على الأسواق و الصناعات في مجتمع المشرق الإسلامي خلال العصر العباسي** (**١٣٢هـ -٦٥٦هـ**) (**٧٥١م -١٢٥٨م**).

خطة الدراسة : اشتملت الرسالة على مقدمة و تمهيد و ثلاثة فصول مكونة من عدة مباحث تعالج نقاط البحث و تحللها .

المقدمة : و تتضمن اسباب اختيار الموضوع و أهميته و الغرض من دراسته ، ثم عرضاً لأهم المصادر التي اعتمدت عليها الرسالة .

التمهيد : ذكرت فيه التعريف بالحسبة ونشأتها وأهميتها و فضلها ومجالاتها والشروط الواجب توفرها فيمن يلي الحسبة والتعريف بالمحتسب.و صفاته و اختصاصاته .

أما الفصل الأول جاء بعنوان الحسبة على الزراعات و المنتجات الزراعية . اما الفصل الثاني فهو الاحتساب على الأطعمة و المطاعم . وتحدث الفصل الثالث عن الاحتساب على المهن و الصنائع . ثم الخاتمة وتضمنت أهم النتائج و منها أن وظيفة الحسبة تبقى تتطور حسب الزمان و المكان و تتغير المسميات حسب الظروف المتاحة لذلك ، ولكن كل من يقوم بمراقبة الاسواق و المخالفات العامة في كل وقت وحين هو من يقوم بوظيفة المحتسب و كشفت الدراسة تنوع الصناعات التي زاولها سكان مدن المشرق الاسلامي و العراق ،فضلاً عن تطور النشاط التجاري في هذه المنطقة .

و آخر دعوانا ان الحمد لله على ما اكرمنا به ..

اسم الطالبة :
هلالة عبدالله الزهراني

اسم المشرف :
أ.د / مريزن سعيد عسيري

عميد كلية الشريعة :
أ.د / غازي بن مرشد العتيبي

Summary

Praise be to God, prayer and Peace be upon our Prophet, His Household and His Companions.

Topic title: Markets and manufacture monitoring in the Islamic Orient society during Abbasid epoch (132-656 A.H) (751-1258 A.D). http://libback.uqu.edu.sa/hipres/indu/indu22105.pdf

Overall Plan of study: this study contained an introduction, preface and three chapters consist of several sections that tackle and analyze this research.

Introduction: it includes the reasons for choosing the topic, how much it is important and the aim of searching, and displaying the most important sources adopted in this the study.

Preface: this is on Hesba(monitoring), its origin, its importance, its advantages and the conditions to be met by the person who take over Hesba, and defining him, his qualities and duties.

Chapter I: it deals with monitoring agriculture and corps.

Chapter II: monitoring foods and restaurants.

Chapter III: monitoring craftsmanship and manufactures.

Conclusion: it includes the most important findings such as:-

The duty of Hesba continues to evolve according to place and time, while designations being changeable according to circumstances available.

Anyone who monitoring markets and public violations at all times considered a Mohtaseb (inspector).

This study sheds the light on the diversity of manufactures practiced by populations of the Islamic Orient and Mesopotamia and on the commercial evolution in that area in additions.

Student:

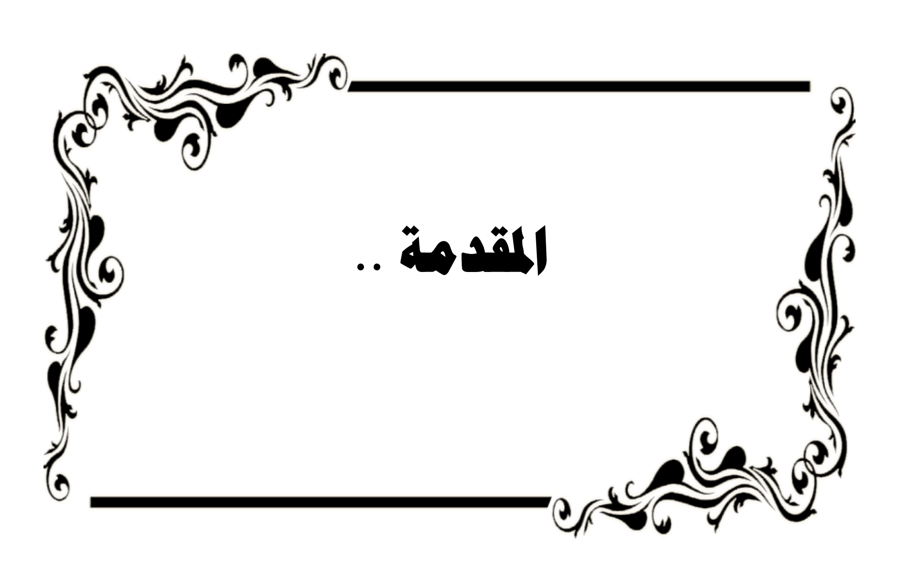
Hilalah Abdullah Al-Zahrani

Spervisor:

Prof. Murayzen S. Aseeri

Dean of faculty of Shai'a:

Prof. Ghazi M. Al-Otaibi



المقدمة ..

المقدمـة :

الحمد لله الذي أنزل الكتاب على عبده ورسوله بالقسط ولم يجعل له عوجا ،والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المجاهدين محمد ﷺ الذي صدع بالحق فبلغ الرسالة ،وأدى الأمانة صابرا محتسبا ابتغاء مرضاة الله تعالى، فصلي اللهم وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن سلك طريقه في الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة وهدي القرآن الكريم ونهج النبوة القويم ، وبعد.

إن للحسبة في دولة الاسلام ولاسيما المشرق الاسلامي أهمية كبيرة في تنظيم حياة المجتمع الاسلامي، ولا يمكن للمجتمع الاسلامي ان يعيش بدون نظام حسبة ، ونظراً لهذه الاهمية التي نجدها لهذا النظام المهم من انظمة الحكم في الاسلام، ولإتصال هذا الموضوع بحياة المجتمع الاسلامي فيما يخص تنظيم الأسواق من البيع والشراء و وأغذية المجتمع والأشربة بالإضافة الى الحرف والصنائع المختلفة التي كانت منتشرة بجميع اقاليم الدولة العباسية من شرقها لغربها والتي كانت تخدم حياة الانسان الى حد كبير ، فلا يمكن للمجتمع ان يعيش بدون خباز يخبز لهم انواع الخبز و الرغيف ، او طباخ يطبخ لهم ما يأكلونه ،او طبيب يقوم بعلاجهم من مختلف الامراض أو صيدلاني يقدم لهم ما يبرئهم من ما يشتكون ، أو بناء يبني لهم مساكنهم ، أو خياط يخيط لهم ما يلبسونه وغيرها من الحرف التي لعبت دوراً هاما في حياة المجتمع العباسي ، وذلك لعموم مصلحتها، وعظيم نفعها ، ومدى حاجة المجتمع الإسلامي إليها، لذلك آثرت الكتابة في هذا الموضوع إلى حد كبير .

إن الرقابة على الأسواق من أهم دعائم الحسبة في الإسلام ولقد نما هذا النظام مع فجر الإسلام حيث كان قاعدة أساسية في شريعة الإسلام ونظم الحكم الإسلامية،و بدأ العمل به للنهوض بمستوى المجتمع الإسلامي دينيًّا، وحضاريًّا، وأخلاقيًّا ، وإداريًّا ، وتربويًّا ، وصحيًّا ، منذ عصر النبوة.

وقد اهتمت الدولة الإسلامية بالرقابة على الأسواق أبان العصر العباسي وبلغت غاية من الدقة والانضباط أبهرت جميع الشعوب حيث تبلور نظام الحسبة و تطور خلال هذا العصر و اتخذ شكلا مغايرا متوافقا مع اتساع رقعة الدولة و تعدد احتياجات المجتمع الإسلامي وقد شمل مراقبة المكاييل والموازين ، ومنع الاحتكار ، و الإشراف على نظافة الأسواق ، وهي نقله بينت لنا مدى اتساع الفكر الإسلامي عبر العصور المتتابعة ، ومع ذلك لم يخرج عن جوهره وهو الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، فالحسبة ليست رقابة شعبية بل قاعدة شرعية مهمة ينبغي تطبيقها لضمان تماسك المجتمع المسلم و تطبيقه للشريعة الإسلامية . و لأهمية الجهاز الرقابي في تحقيق التوازن في المجتمع الإسلامي ، و حفظه من الانحرافات والتجاوزات ، عزمت للمضي قدما في دراسة هذا الموضوع ، والذي هو من موضوعات الحضارة الإسلامية ، التي تعكس صورة واضحة من صور التاريخ الإسلامي الخالد ، ألا وهو موضوع .

{ الرقابة على الأسواق و الصناعات في مجتمع المشرق الإسلامي خلال العصر العباسي (١٣٢هـ–٦٥٦هـ) (٧٥١م–١٢٥٨م)}.

فقد استوقفني هذا الموضوع و ارتأيت أن يكون محور دراستي في المشرق الإسلامي في مصر و الشام و بلاد ما وراء النهر[١] . ولما لهذا الموضوع من أهمية في التشريع الإسلامي فقد أثرت دراسته على غيره من المواضيع .

أهمية الموضوع :

١/ إن الدين الإسلامي دين شامل و متكامل راعى ما بين حقوق الراعي و الرعية و لذلك وجه جُل اهتمامه على الأسواق التي تعتبر العصب الأساس لاقتصاد الدولة فنظم شؤونها عن طريق الرقابة عليها ، فوضع لها التشريعات و سن الحدود و فرض العقوبات التي تكفل

(١) ما وراء النهر: هي البلاد الواقعة بين التبت شرقًا وغربًا، ومن جنوبها خراسان والمناطق التابعة لها، ومن شمالها حدود الخلخ، محصورة بين نهري جيحون وسيحون. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، المجلد الخامس، ص٤٥.

حقوق أصحاب السوق و من يرتاده .

٢/ ظهور الكثير من المحتسبين ،الذين كان لهم دور مؤثر في حقل الرقابة على الأسواق تجلى ذلك في تطور نظام الحسبة في العصر العباسي .

٣/ كان العصر العباسي هو الفترة الذهبية للحسبة عامة والحسبة على الأسواق خاصة بسبب تطور النظام الاقتصادي ، فكانت رغبة مني أن أظهر شيئاً يسيرا و أن ألقى الضوء على إسهامات المحتسبين في الحفاظ على الأسواق .

٤/ نظام الحسبة والرقابة على الأسواق نظام جليل في حياة الأمم نال إعجاب العقلاء والعارفين والساسة ، ولعل ذلك من مفاخر الإسلام لأنه نظام نابع من صلب الشريعة الإسلامية وليس مقتبس عن ديانة أخرى .

الإطار المكاني و الزماني للدراسة :

تقوم الدراسة على إطارين ، **الاول**: **مكاني**: و تشمل دراستي المشرق الإسلامي في الدولة العباسية و هي مصر و الشام و العراق و بلاد ما وراء النهر .

والثاني: زماني، وهي الفترة **من بداية قيام الدولة العباسية الى سقوطها .(١٣٢هـ – ٦٥٦هـ) (٧٥١م–١٢٥٨م)** .

اسباب إختياري للموضوع :

١/ الوقوف على أهم الكتب التي تناولت الحديث عن الحسبة و الرقابة باعتبارها من نقلت إلينا كل ما يتعلق بالحسبة و المحتسب و الرقابة على الأسواق خلال العصر العباسي .

٢/ تسليط الضوء على أهم المهن التي وجدت في الدولة العباسية و الدور الرقابي للمحتسب في ضبط شؤونها و تنظيم أحكام العاملين فيها.

٣/ التعريف على التشريعات التي سنها الشرع على أصحاب المهن و الأسواق و تنظيم المجتمع الإسلامي في العصر العباسي في كافة أقاليمه المختلفة هي مصر و الشام و العراق و بلاد ما وراء النهر .

خطة الدراسة لموضوع:

الرقابة على الأسواق والصناعات في مجتمع المشرق الإسلامي خلال العصر العباسي (١٣٢هـ-٦٥٦هـ) (٧٥١م-١٢٥٨م).

المقدمة: أسباب اختيار الموضوع وأهميته والتعريف بأهم مصادر البحث.

التمهيد: فقد ذكرت فيه التعريف بالحسبة، ونشأتها، وأهميتها، وفضلها، ومجالاتها، والشروط الواجب توافرها فيمن يلي الحسبة، والتعريف بالمحتسب، وصفاته، واختصاصاته.

الفصل الأول: الحسبة على الزراعات والمنتجات الزراعية. ويشمل:

المبحث الأول: الحسبة على المزارعين.

المبحث الثاني: أصحاب الحبوب، وأنواعها، وأصنافها، وأمثالها.

المبحث الثالث: الحسبة على أصحاب الفاكهة (الفكهانين) والحسبة على أصحاب الخضار (الخضريين).

الفصل الثاني: الاحتساب على الأطعمة والمطاعم.

المبحث الأول: الحسبة على الخبازين.

المبحث الثاني: الحسبة على الطباخين.

المبحث الثالث: الحسبة على الحلوانيين.

المبحث الرابع: الحسبة على أصحاب الأشربة.

الفصل الثالث: الاحتساب على المهن والصنائع.

المبحث الأول: الحسبة على الزجاجين.

المبحث الثاني: الحسبة على الفخارين.

المبحث الثالث: الحسبة على الأطباء ومن في حكمهم.

المبحث الرابع: الحسبة على الصيادلة والعطارين ومن في حكمهم.

المبحث الخامس: الحسبة على أصحاب المعادن ومن في حكمهم.

المبحث السادس: الحسبة على البنائين ومن في حكمهم.

المبحث السابع: الحسبة على الدباغين والإسكافيين ومن في حكمهم.

المبحث الثامن: الحسبة على البزازين والخياطين ومن في حكمهم.

الخاتمة: وقد ذكرت فيها أهم النتائج من هذه الدراسة مع بعض التوصيات.

قائمة المصادر والمراجع.

والحمد لله رب العالمين..

المصادر التي سوف تعتمد عليها الدراسة :

المصـــادر :

أولاً :كتب الحسبة :

ومنها نستقي طرق احتساب الدولة و المحتسب على اصحاب المهن و الحرف و بها مادة جيدة عن طرق مراقبة اصحاب السوق و هي : ابن الأخوة القرشي(ت ٧٢٩هـ) و كتابه معالم القربة في أحكام الحسبة ، الشيزري (ت٥٩٠هـ) :نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ابن بسام المحتسب (ت حوالي ٦٢٦ هـ أو اختلفوا ولكن يقال أنه أتم تأليف كتبه في الفترة بين عامي ٤١٢ – ٤٤٠هـ) ،نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ابن الديبع: (ت ٩٤٤ هـ) بغية الأربة في معرفة أحكام الحسبة ،الماوردي :علي بن محمد (ت٤٥٠هـ) الرتبة في طلب الحسبة.

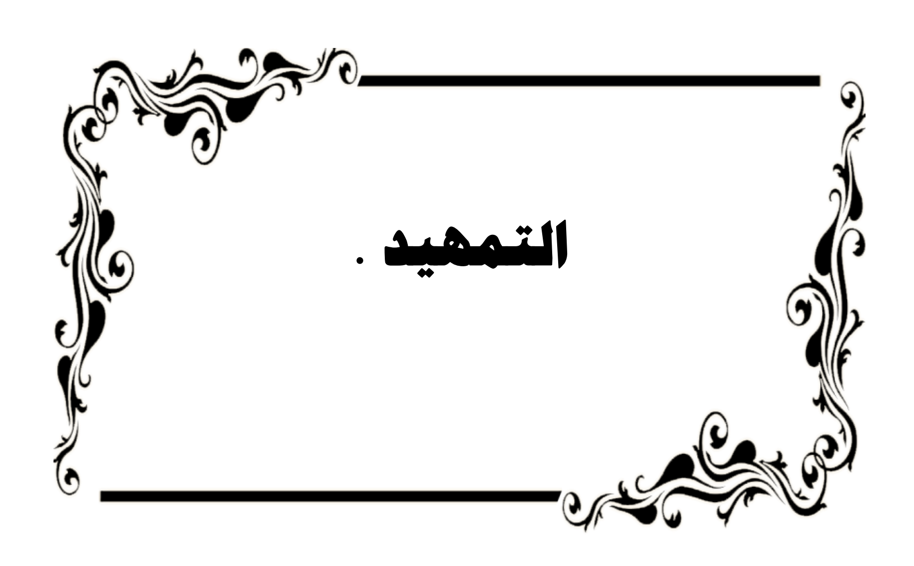
ثانياً: كتب البلدانيين :

تعد كتب البلدانيين ذات معلومات قيّمة ووافية عن الأقاليم والمدن فقد تناولت الحياة الاقتصادية وصفة كل إقليم من أقاليم الدولة العربية الإسلامية ، و من أقدم ما وصل إلينا من هذه الكتب (البلدان) لليعقوبي (ت٢٨٤هـ) ، إذ أورد أخبار قيمة عن مدن المشرق الإسلامي، وكتاب (الأعلاق النفيسة) لابن رسته (ت٢٩٠هـ) ، وكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة (ت٣٠٠هـ) ، وفيهما معلومات هامة عن صفة المدن و معلومات اقتصادية هامة عن بلاد فارس وبلاد ما وراء النهر ، وزودنا ابن حوقل (ت٣٦٧هـ) في كتابه صورة الأرض ، والمقدسي (ت٣٧٥هـ) في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، بمعلومات قيمة. وغيرها من المصادر والمراجع التي أفادت الدراسة ..

الشكر والتقدير

- الحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات ، وبعونه تنجز المهمات ، والصلاة والسلام على المبعوث بأكمل الرسالات سيدنا محمد وعلى آله وصحابته والتابعين بإحسان إلى يوم الدين، وبعد...
- انطلاقًا من قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ .
- وقوله ﷺ: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله) ، أولا : أحمد ربي وأشكره لما من وأنعم به على لإتمام هذه الدراسة ، فسبحانه من رب كريم حليم ، لا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم.
- ثم الشكر إلى من علمني النجاح والصبر و إلى من افتقده في مواجهة الصعاب ،ولم تمهله الدنيا لأرتوي من عطاؤه والدي "رحمة الله عليه " ..
- وإلى من تتسابق الكلمات لتخرج معبرة عن مكنون ذاتها ، التي لم تألُ جهداً في تربيتي وتوجيهي. من علمتني وعانت الصعاب لأصل إلى ما أنا فيه ،أمي "حفظك الله لي يا غالية".
- وأقدم كل الحب والتقدير والعرفان والامتنان لأسرتي التي تحملت معي عناء رحلتي العلمية وصبرت على ظروفي كاملة ، وتقبلتها برحابة صدر وطيب خاطر ، وخففت عني متاعب كل ما واجهت في مشواري العلمي ، ووفرت لي كل السبل لإنجاز هذا العمل واخص بالشكر أشقائي (سعيد و علي و احمد –شفاهم الله – وصالح و يحي) أبقاكم الله لي سنداً وإلى شقيقاتي (شادية و سعدى و خديجة) أدامكن الله لي .
- وإلى ابناء اشقائي جميعاً و أخص بالشكر نواف. و غاليتي "رهف " وفقكم الله ..
- وإلى أزواج أخواتي "علي و سعود " اشكر لكم مواقفكم معنا جعلها الله في موازيين حسناتكم .

- و إلى جميع صديقاتي و اخص بالشكر (شريفة الزهراني ، فايقة جماحي ، هناء الزهراني ،رشا با وزير ، ميساء الاحمدي ،سميرة اليزيدي ، هدى ابو عقار) ، أقول لهن : أنتم وهبتموني الحياة والأمل والنشأة على شغف الاطلاع والمعرفة .
- ثم إلى كل من علمني حرفاً أصبح سنا برقه يضيء الطريق أمامي دكتوراتي الفاضلات أ.د أميرة بنت علي وصفي مداح و أ.د وفاء بنت عبدالله المزروع. و د . سمر الاحمدي و د. ايمان العصيمي وإلى أستاذاتي ودكاترتي جميعاً .
- ثم اتقدم بالشكر إلي من أضاء بعلمه عقل غيره ، و هدى بالجواب الصحيح حيرة سائليه ، فأظهر بسماحته تواضع العلماء ، وبرحابته سماحة العارفين. استاذي و مشرفي الفاضل ..(أ.د مريزن سعيد عسيري) ..
- وأتقدم بعظيم الشكر وبالغ الإمتنان لجامعة أم القرى الصرح الشامخ في أطهر بقاع الأرض، على إتاحة الفرصة لي لاستكمال دراستى العليا في رحابها ، وأخص بالشكر كلية الشريعة و الدراسات الاسلامية و الى قسم التاريخ ممثلا برئيسه الدكتور عبدالله حيدر ورئيسة القسم السابقة الدكتورة حياة الرشيدي و رئيسة القسم الحالية الدكتورة سعدية البيشي . والشكر موصول لأعضاء هيئة التدريس كافة.
- وأضم شكري إلى عضوي المناقشة (أ.د طلال جميل الرفاعي و د. أمل عبيد الثبيتي) لتفضلهما مشكورين بمناقشة الدراسة وإبداء ملاحظاتهم القيمة التي سيكون لها الأثر الكبير في إثراء هذه الدراسة ، وإضفاء الصبغة العلمية عليها ، راجية من الله أن أكون أهلًا للإفادة، فلهما مني الشكر والعرفان.
- وختاماً أشكر كل من مد إلى يده بالخير لي ، وإلى كل قلب أراد لي النجاح ، وساعدني على ذلك و أدعوا الله عز وجل للجميع أن يجزيهم عني خير الجزاء ، كما أسأله أن يجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم نلقاه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العاملين ، وصلى اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



التمهيد .

التمهيد:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيد الأولين والآخرين، سيدنا وشفعينا محمد، وعلى آله وصحابته الغر الميامين، وعلى التابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الإسلام الذي أنار مشارق الأرض ومغاربها، وعم خيره أقطار المعمورة، هو الدين الكامل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فأحيا النفوس، وأنار القلوب والعقول، وكان تميزه بتميز نظمه المتكاملة التي حققت للبشرية السعادة والهناء، وكان من أهداف هذا النظام تسيير أمور الناس العامة والخاصة، فهو يهدف إلى تحقيق سعادة الدارين، الدنيا والآخرة، مما يعني أن هذا النظام لابد أن يكون قادرًا على إدارة شؤون المجتمع الدينية والدنيوية بكل تفاصيلها، فلا يقتصر على جانب منها، وهذا هو الواقع، ولذا كان في الإسلام نظام للاقتصاد والسياسة والإدارة والعلاقات الدولية، كما تفرد الإسلام بنظام يرعى شؤون الناس أينما كانوا ما يدلهم على الخير إن ظهر انحرافهم عنه، ويحذرهم من السوء إذا ظهر فعلهم له، وهو نظام يشترك في إقامته جميع المسلمين أينما كان موقعهم، كلٌ حسب ما أتاه الله من قُدرة، وهذا النظام هو نظام الحسبة الذي انطلق من دعوة القرآن الكريم إلى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتي بدأت طوعاً بدافع الإيمان والحرص على المصلحة العامة، ثم تطورت إلى صيغ تنظيمية إدارية.

إن الحسبة هي إحدى أنظمة الرقابة في المجتمع الإسلامي التي انطلقت من دعوة القرآن الكريم إلى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد بدأت طوعية يمارسها الأفراد بدافع الإيمان والحرص على المصلحة العامة، ثم تطورت إلى صيغ تنظيمية إدارية تمارس الرقابة على الأسواق بصور متنوعة بل إنها توسعت في حالات خاصة لتمد رقابتها إلى ساحة القضاء والإدارة العامة.

التعريف بنظام الحسبة:

لغة:

تعني الأجر [(١)]، والاسم منها الاحتساب أي احتساب الأجر على الله ﷻ [(٢)]، فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "من صام رمضان إيماناً واحتساباً..."[(٣)]، ومنها أيضاً حسن التدبير [(٤)] والإنكار والاختيار [(٥)].

اصطلاحاً:

عرفها الماوردي "هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله" [(٦)]، وزاد عليها الشيزري [(٧)] وابن الأخوة [(٨)] أن مهمتها هي "الإصلاح بين

---

(١) الأزهري: محمد بن أحمد ، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ج٤، ص١٩٣؛ الجوهري: إسماعيل بن حماد، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار،ط٤،دار العلم للملايين،بيروت ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م؛ ابن منظور: محمد بن مكرم ، **لسان العرب**، ط٣،دار صادر ،بيروت ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، مج١، ص٣١٤.

(٢) الزمخشري: جار الله محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي، **أساس البلاغة**، دار صادر، بيروت،١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، ج١، ص١٨٨؛ الفيومي: أحمد بن محمد: **المصباح المنير**، د.أ، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨١م، ص٧٣.

(٣) البخاري: محمد بن اسماعيل: **الجامع الصحيح**، تحقيق: محمد زهير الناصر، بيروت، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، كتاب الإيمان، باب صوم رمضان، ج١، ص١٦، حديث رقم ٣٨.

(٤) الأزهري: **تهذيب اللغة**، ج٤، ص١٩٣؛ ابن منظور: **لسان العرب**، ج١، ص٣١٧؛ الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص٧٤.

(٥) العريفي: سعد، **الحسبة والنيابة العامة**، الرياض، دار الرشد، ط١، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م، ص١٣-ص١٥.

(٦) الماوردي: علي بن محمد، **الأحكام السلطانية**، تحقيق أحمد جاد، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٣٤٩.

(٧) الشيزري هو: عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله العدوى الشيزري ت ٥٨٩ هـ، له العديد من المؤلفات منها: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، والنهج المسلوك في سياسة الملوك، والإيضاح في أسرار النكاح، وغيرها. انظر: البغدادي: اسماعيل بن محمد ، **هدية العارفين**، لبنان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت، ج١، ص ٥٢٨؛ حاجي خليفة : مصطفى عبد الله ،**كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، د.م، دار الفكر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ج١، ص٢٠٩.

(٨) ابن الأخوة هو محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد بن الأخوة القرشي ضياء الدين المحدث ٧٢٩ هـ، صاحب كتاب "**معالم القربة في أحكام الحسبة**". ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين أحمد بن علي، **الدرر الكامنة أعيان المائة الثامنة**، ضبطه وصححه الشيخ عبد الوارث محمد علي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج٤، ص١٦٨، الزركلي: خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ط٥، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٠م، ج ٧، ص٢٦٣.

الناس"[1]. وقد عرفها ابن تيمية[2] بأنها "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما ليس من اختصاص الولاة والقضاة والديوان ونحوهم".[3]

وعرفها ابن خلدون[4] بأنها:"وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين، يعين لذلك من يراه أهلا له، فيتعين فرضه عليه ويتخذ الأعوان على ذلك ويبحث عن المنكرات ويعزر ويؤدب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة مثل المنع من المضايقة في الطرقات ومنع الحمالين وأهل السفن من الإكثار في الحمل "[5].

وعرفت بـ"تدبير إقامة الشرع فيما بين المسلمين، وسمي به لأنه أحسن وجوه التدبير، ثم

---

(١) الشيزري: عبد الرحمن بن نصر، **نهاية الرتبة في طلب الحسبة،** تحقيق السيد الباز العريني، بيروت، دار الثقافة، ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٦؛ ابن الأخوة: محمد بن محمد، **معالم القربة في أحكام الحسبة،** تحقيق إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص١٣.

(٢) ابن تيمية هو: أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، الحرانى، الدمشقي الحنبلي من أعلام الإسلام له العديد من المؤلفات منها: **مجموع الفتاوى، والحسبة في الإسلام،** وغيرهما من المصنفات النفيسة ت ٧٢٨ هـ.ابن رجب : زين الدين عبد الرحمن بن أحمد، **الذيل على طبقات الحنابلة،** تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الرياض، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ج٤، ص٢٩ ؛ ابن كثير:عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، **البداية والنهاية،** اعتنى به عبد الحميد هنداوي، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م ج ١٤، ص٢٣٤ ؛ الزركلى: **الأعلام** ، ج ٤، ص٢٩.

(٣) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، **الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية،** تحقيق: أبو المنذر سامي أنور، أمستردام، مسجد التوحيد، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص١٨.

(٤) ابن خلدون هو: عبد الرحمن بن محمد بن الحسن الحضرمي، الإشبيلي الأصل ثم التونسي ثم القاهري ولد سنة ٧٣٢ هـ وتوفي سنة ٨٠٨ هـ. من أشهر مؤلفاته كتاب **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم البربر**. ابن العماد الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب،** تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج٧، ص٧٦؛ السخاوي: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع،** بيروت، دار الجيل، د.ت، ج٤، ص١٤٥؛ حاجي خليفة: **كشف الظنون** ، ج١، ص٦٦٥.

(٥) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**،تحقيق،:تركي فرحان المصطفى، بيروت، دار إحياء التراث، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ج١، ص١٨٢-١٨٣.

الحسبة في الشريعة عام تتناول كل مشروع "[1].

ذكره أبو حامد الغزالي [2] بقوله: «الحسبة عبارة عن المنع عن منكر لحق الله، صيانة للممنوع عن مقارفة المنكر»[3].

نشأة نظام الحسبة:

عندما جاء الإسلام أولى الأسواق أهمية كبيرة، بدءًا من تطبيق تعاليم الإسلام عليها، وذلك عندما ألغى الإسلام كل البيوع التي اعتبرها فاسدة كبيع الملامسة والمنابذة، وتلقي الركبان والشراء منهم حتى يصلوا إلى السوق، فقد روى البخاري عن عبدالله بن عمر ﵄، أن رسول الله ﷺ قال: "لا يبع بعضكم على بيع بعض، ولا تلقوا السلع حتى يهبط بها إلى السوق "[4].

وكذلك قام ﷺ بإعفاء التجار من الضرائب عندما أنشأ سوق المدينة، فقد روى ابن ماجة بإسناد ضعيف أن رسول الله ﷺ أتى إلى مكان فسيح فحدده وضربه برجله ثم قال: "هذا سوقكم فلا ينتقصن ولا يضربن عليه خراج"[5].

ولأهمية الأسواق في الإسلام وحرصه عليها، فقد فرض عليها نوعًا من الرقابة والإشراف كانت تقوم على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سميت فيما بعد بالحسبة بعد اتساع

---

(١) السنامي: عمر بن محمد عوض ، **نصاب الاحتساب**، تحقيق مريزن سعيد مريزن عسيري، ط١، مكة المكرمة، مكتبة الطالب الجامعي، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٨٣.

(٢) الإمام الغزالي هو: محمد بن محمد بن محمد الغزالي، من أعلام الإسلام الذين جمعوا بين المنقول والمعقول، وله نحو مائتي مصنف، منها: إحياء علوم الدين والمستصفى، والمنخول وشفاء الغليل، وغيرها من التصانيف القيمة. السبكي: تاج الدين عبد الوهاب، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق محمود محمد الطناجي وعبد الفتاح الحلو، ط١، القاهرة، إحياء الكتب العربية، د.ت. ج٦، ص١٩١؛ الزركلي: **الأعلام**، ج ٧، ص٢٤٧.

(٣) الغزالي: ابو حامد محمد بن محمد الغزالي ، **إحياء علوم الدين**، بيروت، دار الندوة الجديدة، ط١، د.ن، ج٢، ص٣٢٧.

(٤) البخاري :**الجامع الصحيح**، كتاب البيوع، باب النهي عن تلقي الركبان، ج٣، ص٧٢-٧٣، حديث رقم ٢١٦٥.

(٥) ابن ماجة: عبد الله محمد ، **السنن**، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، (د.ت)، كتاب التجارات، باب الأسواق، ج٢، ص٧٥١، حديث رقم ٢٢٣٣.

الدولة الإسلامية وتطور أنظمتها، حيث باشر الرسول ﷺ بنفسه عملية الإشراف والمراقبة من خلال تجوله في الأسواق ومراقبة البضائع والسلع، فقد روى مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ "مرَّ على صبرة طعام فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللاً، فقال: ما هذا يا صاحب الطعام؟، قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غش فليس مني" [(١)].

وبالتالي مهدت عملية الإشراف والمراقبة على الأسواق على نشوء نظام "الحسبة"، أسس قواعدها الرسول ﷺ، وذلك عبر الإشراف بنفسه على الأسواق، أو من خلال تعيين مشرفين على الأسواق من قِبله ﷺ.

وسار على نهجه الخلفاء الراشدون في تطبيق هذا النظام عبر القيام بالإشراف بأنفسهم على الأسواق، أو تعيين مشرفين مهمتهم القيام بهذا الأمر في كثير من الأسواق [(٢)].

ومع قيام الدولة الاموية واتساع رقعتها، كثرت أسواقها فوضعوا لها القواعد والتنظيمات من أجل ترتيبها وتنظيمها، فولى الخلفاء على السوق موظفين أُطلق عليهم عمال السوق[(٣)].

ثم تطور هذا النظام حتى أصبح ولاية وديوانًا جديدًا في العصر العباسي، فحددت مهام وصلاحيات واليها، وهو "المحتسب"، وهذه التسمية ظهرت كنظام إداري مستقل، وقد بدأ استعمال هذه التسمية للمرة الأولى في المشرق الإسلامي في أواخر النصف الأول من القرن الثاني

---

(١) مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ "من غشنا فليس منا"، ج١، ص٩٩، حديث رقم١٠٢.

(٢) المغذوي: عبد الرحيم بن محمد، **الحسبة في الإسلام** ، بريدة، مكتبة ركن الجامعة، (د-ت)، ص٣١.

(٣) ابن سعد : أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء ، **الطبقات الكبرى**، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط١، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م، ج٥، ص١٧٥؛ وكيع : محمد بن خلف، **أخبار القضاة**، تحقيق ، عبد العزيز مصطفى المراغي، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ط١، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م، ج١، ص.٣٥٣ ؛ المغذوي : **الحسبة في الإسلام**، ص٣١.

الهجري/الثامن الميلادي[(١)].

حيث روي أن عاصم بن سليمان الأحول[(٢)]، كان محتسباً على سوق الكوفة ليشرف على المكاييل والأوزان زمن أبي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٤-٧٧٥م) [(٣)]. وتطورت الحسب بشكلٍ واضحٍ في عهد الخليفة العباسي المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٥-٧٨٦م)، وأصبح صاحبها يتقاضى راتبًا من بيت المال بسبب انتظام أحوال المدن الإسلامية وتوسع أسواقها وتخصصها ازدهار التجارة، حتى عظم شأنها وأصبحت في ما بعد من أهم النظم الإدارية للدول الإسلامية[(٤)].

أهمية الحسبة وفضلها:

بما أن الحسبة تتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا شك أنها من أعظم الأعمال وأجلها، وقد حثت نصوص الشريعة الإسلامية على هذا العمل الشريف، والأدلة من القرآن والسنة النبوية المطهرة على ذلك كثيرة، ومنها:

١/ قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

---

(١) ابن فرحون : إبراهيم بن علي، **تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام**، تحقيق: جمال مرعشلي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ج٢، ص١٢٦؛ السامرائي : حسام الدين، **المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية**، بيروت، دار الفكر العربي، ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، ص٣٠٧.

(٢) عاصم بن سليمان الأحول ابن سعد، أبو عبد الرحمن تابعي من حفاظ الحديث الثقات، اشتهر بالزهد والعبادة كان على سوق الكوفة، ثم ولي قضاء المدائن، توفي سنة ١٤٢هـ/٧٥٩م. ابن سعد : **الطبقات الكبرى**، ج٧، ص٢٥٦؛ البغدادي : أحمد بن علي ، **تاريخ بغداد**، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج١٤، ص١٦٥؛ الذهبي : محمد بن أحمد ، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ج٦، ص١٣-١٥.

(٣) ابن سعد : **الطبقات الكبرى**، ج٢، ص١٤٥؛ الدينوري : عبد الله بن مسلم ،**المعارف**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٢٨٤؛ ابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي ، **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج٨، ص٣٩.

(٤) العبادي : مختار أحمد، **نظم الحكم والادارة في الدولة الإسلامية**، ضمن كتاب دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، الكويت، منشورات ذات السلاسل، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص١٦٧-١٦٨؛ الباشا:حسن ، **الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية**، القاهرة، دار النهضة العربية، (د.ت)، ج٣، ص١٠٢٨-١٠٢٩.

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[1]

٢/ قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[2].

٣/ قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [3].

٤/ عن حذيفة ابن اليمان ﷺ عن النبي ﷺ قال: (والذي نفسي بيده؛ لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم).[4]

٥/ عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) [5].

٦/ عن أبي هريرة ﷺ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (الإسلام أن تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتسليمك على أهلك، فمن انتقص شيئا منهن فهو سهم من الإسلام يدعه

---

(١) آل عمران: ١٠٤

(٢) آل عمران: ١١٠.

(٣) التوبة: ٧١.

(٤) ابن حنبل: أحمد بن محمد ، **المسند**، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، حديث رقم ٢٣٣٤٩؛ الترمذي، محمد بن عيسى، جامع الترمذي، دار الفيحاء، دمشق، ط ١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج٤، ص٤٦٨، حديث رقم ٢١٦٩.

(٥) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، ص٧٨، حديث رقم ٤٩.

ومن تركهن كلهن فقد ولى الإسلام ظهره) [١].

هذه بعض الأدلة تدل على مشروعية الرقابة في الإسلام، تبين أهمية هذا العمل وفضله، وأن أمة محمد صلى الله عليه وسلم فُضلت على سائر الأمم التي أخرجت للناس لأجله، وأن تركه يؤدي إلى الهلاك والفساد وعدم استجابة الدعوة [٢].

مجالات الحسبة:

للحسبة مجالاتها، وأهدافها ومقاصدها، وقد حظيت مباحث الحسبة وتفريعاتها باهتمام متميز في مصنفات مختلف العلوم من التفسير والتاريخ والفقه والاقتصاد؛ ويرجع سبب ذلك كله إلى أنّ تلك المؤسسة تعبر تعبيرًا صادقًا عن وعي الإنسان تجاه نفسه وتجاه مجتمعه وتجاه دينه. وقد يجد المطلع على كتب الحسبة سعة في مجالات الحسبة وشموليتها لكثير من قضايا العقيدة والأخلاق والشريعة، وقد وضع لها العلماء القواعد التشريعية باستنباطهم الأحكام الجزئية من القواعد الكلية لتحقيق ما يَجِدُ من المصالح إذا لم يكن ورد بشأنه نص خاص به، أو نظير يقاس عليه أو لم ينعقد عليه الإجماع؛ تحقيقا للمصالح الاجتماعية المتجددة بتجدد صور الحياة، وقد أقروا بأنه لا يجوز إهمال مصالح الدولة أو الأمة أو الأفراد دون تحقيقها بوسائل عملية اجتهادية إذا لم يكن لهذه المصالح نصوص خاصة بها في التطبيق.[٣]

---

(١) النيسابوري : الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، كتاب الإيمان، ص٧٠، حديث رقم ٥٣.

(٢) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، **مجموع الفتاوى**، جمع: عبد الرحمن النجدي وابنه محمد، مطابع دار العربية، بيروت، ط١، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، ص٢٨وص٦١؛ ابن القيم : محمد بن أبي بكر الجوزية، **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**، تحقيق: محمد جميل غازي، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت، ج١، ص٣٤٥-٣٤٦.

(٣) على سبيل المثال أهمّ كتب المجالات التطبيقية التي وضعت قواعد تشريعية خاصة بالحسبة منها: "نهاية الرتبة في طلب الحسبة" لعبد الرحمن بن نصر الشيزري، وقد حذا حذوه مؤلف كتاب "معالم القربة في أحكام الحسبة" لمحمد بن محمد المعروف بابن الأخوة ثمّ جاء ابن بسام وهو محمد بن أحمد فأطلق على كتابه اسم كتاب الشيزري السابق نهاية الرتبة في طلب الحسبة، هذه نماذج من مشرق العالم الإسلامي، أمّا في المغرب الإسلامي فأقدم كتاب أشار إليه الباحثون هو كتاب "أحكام السوق" ليحيى بن عمر و"آداب الحسبة" لأبي عبد الله المعروف بالسقطي المالقي.

ولتحديد مجال الحسبة أسرد بعض آراء العلماء الذين اعتبروا الحسبة مبدأ شرعيًا ووظيفة دينية، تحفظ في إطاره مصالح الفرد والمجتمع والأمة، ومن أهمّ هذه الآراء ما ذهب إليه الماوردي الذي أكد أن الحسبة من القواعد الدينية التي لا يسقط حكمها [1] وقد أشار ابن خلدون إلى الجانب التأصيلي الشرعي وإلى الصور التطبيقية بقوله: "الحسبة وظيفة دينية، من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين يعين لذلك من يراه أهلا له، فيتعين فرضه عليه، ويتخذ الأعوان، على ذلك"[2]، ويرى ابن تيمية أن للحسبة مجالات دينية ومدنية واسعة من خلال تحديده لوظائف المحتسب الذي كان له "الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر مما ليس من خصائص الولاة، والقضاة، وأهل الديوان ونحوهم، فكان يأمر بالصلوات الخمس في مواقيتها ويعاقب من لم يصل بالضرب والحبس... ويأمر بالجمعة والجماعات، وبصدق الحديث، وأداء الأمانات، وينهى عن المنكرات من الكذب والخيانة، وما يدخل في ذلك من تطفيف المكيال، والميزان، والغش في الصناعات، والبياعات والديانات والغش في النقود أو الجواهر أو العطر... وإبرام عقود الربا والميسر وممارسة التدليس والاحتكار."[3] وإلى قريب من هذا البيان يذهب القلقشندي [4] الذي يرى تعدد المجالات في الحسبة فيقول: "هي وظيفة جليلة رفيعة الشأن وموضوعها التحدث في الأمر والنهي والتحدث على المعايش والصنائع والأخذ على يد الخارج عن طريق الصلاح في معيشته وصناعته... وهذه الوظائف لا حصر لعددها على التفصيل ولا سبيل إلى استيفاء ذكرها على تفاوت المراتب"[5].

---

(١) الماوردي: **الأحكام السلطانية**، ص٢٥٨.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٤٩.

(٣) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ص ٢٨ -٦٩.

(٤) هو أحمد بن علي بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل، المحب بن العلاء القلقشندي الأصل، القاهري الشافعي، توفي سنة ٨٢١هـ، من أشهر تصانيفه "صبح الأعشى في قوانين الإنشا". السخاوي : **الضوء اللامع** ،ج٢،ص٧ ؛ الزركلي : **الأعلام** ، ج١،ص٧٧.

(٥) القلقشندى : أحمد بن علي، **صبح الأعشى**، تحقيق: د. يوسف علي دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٤، ص٣٧.

ومن آراء العلماء السالفة يمكن تحديد مجال الحسبة بالقول: هو كلّ مجال افتقد المعروف، أو طرأ عليه منكر تحقيقا للعدل، والفضيلة، وتطبيقا للمبادئ المقررة في الشرع الإسلامي.

وبناء على التعريفات السابقة، تشمل الحسبة في مجالها التطبيقي مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما في أصولها الشرعية ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [(١)] فهذه الآية تبيّن قاعدتها وأصلها التشريعي، ومجالها التطبيقي في حماية المجتمع عن جميع أشكال الفساد، والانحراف في حياة الفرد والمجتمع وذلك تمهيدًا لبناء الإنسان بناءً فكريًا وروحيًا وسلوكيًا، وتنظيم المجتمع تنظيمًا قانونيًا وأخلاقيًا وروحيًا متماسكًا.[(٢)]

وفي النظام الإسلامي تعتبر كلّ الأعمال المشينة منكرات، سواء تعلقت بالعقيدة، كالمساس بحرمة الدين بدعًا أو تشويهًا أو تحريفًا أم مجال المعاملات المدنية اقتصادية كانت أو اجتماعية مما يؤثر في العلاقات الإنسانية ولهذا كان مجال الحسبة أكثر سعة في تحقيق الإشراف، والرقابة على الأنشطة المختلفة سواء أكانت أنشطة الأفراد أم أنشطة لعمال الدولة ورجالها، ومجال الحسبة أكثر مرونة من حيث إمكانية تعقب كلّ ما يظهر في المجتمع من آثام، وأكثر مرونة في تعدد أساليب الاحتساب التي تتبع لتواجه أيا من هذه الأنواع والدرجات والمراتب [(٣)].

وإذا كان التشريع في مجال الحسبة يهدف إلى تقويم سلوك الفرد والمجتمع فإنه يجب على الأمة أن "ترصد المعروف والمنكر في المجال التطبيقي للإسلام لتتحمل مسؤولية الأمر بالأول والنهي عن الثاني بكلّ الإمكانات المتاحة لها في منطقة الشعور الداخلي بالرفض النفسي للمنكر،

---

(١) سورة آل عمران الآية ١١٠.

(٢) عبد الله: حسان، **أشرف الفرائض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، مقال في مجلة الثقافة الإسلامية / المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية / دمشق /٤١/ ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، ص١٤١.

(٣) البشري: طارق، **مؤسسات الدولة في النظم الإسلامية**، مقال في مجلة منبر الحوار، دار الكوثر، بيروت، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م، ص٨٦.

والتعاطف الروحي مع المعروف وهو ما يعبر عنه بالتغيير بالقلب، أو منطقة التعبير بإطلاق الكلمة القوية التي تؤيد أو ترفض وهو التغيير باللسان، أو في مجال المواجهة بالدخول إلى صميم الواقع والضغط عليه بشدة وهو ما يعبر عنه بالتغيير باليد" [1] لمنع الفساد الذي نهى الله عنه بقوله تعالى: ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأرض بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[2].

وبترتيب أولويات المقاصد الشرعية يكون مجال الحسبة أكثر شمولية في دفع المنكرات الفردية والجماعية، سواء أكانت دينية تتعلق بأمر الاعتقاد أم أخلاقية أم اجتماعية، ويلتقي في هذا الترتيب الوازع الداخلي الإيماني مع التشريع والرقابة الخارجية للحسبة في دفع المنكرات.

عملت الدولة العباسية على تنظيم عمل الحسبة، فحددت من هو القائم بأمر الحسبة (المحتسب) والشروط الواجب توافرها فيه، واختصاصاته.

التعريف بالمحتسب:

المحتسب لغة: طالب الأجر من الله[3]، أو القائم بالتدبير ويظهر ذلك من التعريف اللغوي للحسبة بأنها طلب الأجر أو حسن التدبير.

المحتسب اصطلاحاً: عرفه ابن الأخوة بأنه "من نصَّبه الإمام أو نائبه للنظر في أحوال الرعية، والكشف عن أمورهم ومصالحهم"[4]

الشروط الواجب توافرها فيمن يلي الحسبة:

حددت كتب الحسبة عدداً من الشروط الواجب توافرها فيمن يتولى وظيفة المحتسب من

---

(١) عبد الله: **أشرف الفرائض**، ص ١٤١.

(٢) سورة الأعراف الآية ٥٦.

(٣) ابن الاثير : مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، ط١، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م، ج ٩، ص٣٨٤.

(٤) ابن الأخوة: **معالم القربة في طلب الحسبة**، ص٢.

أهمها:

١/ أن يكون مسلماً ، حراً ، ذكراً ، عدلاً ذا رأي وصرامة وخشونة في الدين وعلم بالمنكرات الظاهرة[١].

٢/ أن يكون عاملاً بما يعلم، ولا يكون قوله مخالفاً لفعله.[٢]

٣/ أن يكون المحتسب قادراً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[٣]

٤/ الرفق ولين القول وطلاقة الوجه.[٤]

٥/ الصبر على ما يصيبه من الأذى [٥].

٦/ المواظبة على السنن حتى يكون قدوة لغيره[٦].

٧/ أن يقصد بعمله وجه الله[٧].

٨/ أن يكون عفيفًا عن أموال الناس.[٨]

وكل هذه الشروط ضرورية لتحقيق أهداف نظام الحسبة.

إختصاصات المحتسب:

عند الرجوع إلى المصادر والمراجع التي تناولت موضوع الحسبة نجد أن اختصاصات وأعمال المحتسب كانت بسيطة محدودة النطاق، ثم تدرجت وتطورت مع مرور الزمن واتساع رقعة الدولة الإسلامية وما صاحب ذلك من تعدد أوجه النشاط الاقتصادي والتجاري والعمراني فيها، وكذا

---

(١) الماوردي: **الأحكام السلطانية**، ص ٢٥٨؛ ابن الأخوة: **معالم القربة في طلب الحسبة**، ص٧-٨؛ الغزالي: **إحياء علوم الدين**، ج٢، ص٣١٢.

(٢) الشيزري: **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، ص٦؛ ابن الأخوة: **معالم القربة في طلب الحسبة**، ص١٢.

(٣) الماوردي: **الأحكام السلطانية**، ص ٢٤١

(٤) الشيزري: **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، ص٦؛ ابن الأخوة: **معالم القربة في طلب الحسبة**، ص١٢.

(٥) ابن تيمية: الحسبة، ص٣٧.

(٦) ابن الأخوة: **معالم القربة في طلب الحسبة**، ص١٢-١٣.

(٧) نفس المصدر، ص ١٣.

(٨) الشيزري: **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، ص٨-١٠.

تعدد أجناس الشعوب التي انضوت تحت لوائها، واستظلت بظلها، وما لهذه الشعوب من أعراف وتقاليد وعادات وبخاصة في المجال الصناعي والحرفي والتجاري.

ويمكن إيجاز أهم اختصاصات المحتسب سواء ما يتعلق منها بحق الله أم بحق الآدميين أم بالحقوق المشتركة بينهما في ما يلي:

١- الإشراف على الأسواق وتطهيرها من المخالفات(١).

٢- النظر في إقامة شعائر الدين والمحافظة عليها من الترك أو دخول البدع فيها: وذلك كإقامة الصلاة في أوقاتها، ومراقبة المؤذنين والأئمة والقومة... وإقامة الجمعة متى استوفت شروطها الشرعية، وكذا الأمر بإقامة الصلاة جماعة في المساجد، والنهي عن ترك الصيام مع القدرة عليه وأمثال ذلك(٢).

٣- الإشراف على عمارة المساجد، والاعتناء بإنارتها، ونظافتها، وإغلاق أبوابها عقيب كل صلاة، وصيانتها عن الصبيان والمجانين، وممن يأكل فيها الطعام، أو ينام، أو يعمل صنعة، أو يبيع سلعة أو ينشد ضالة أو يجلس فيها الناس لحديث الدنيا، أو الجلوس فيها للحكم، أو القضاء، فقد ورد الشرع بتنزيه المساجد عنه، وكراهية فعله (٣).

٤- منع شرب الخمر، أو إقامة الملاهي المحرمة، أو مخالطة النساء أو كل ما يؤدي إلى الريبة، ومظان التهمة من الأفعال، ويُقَدِّمُ الإنكار ولا يُعجِّلُ بالتأديب قبل الإنذار(٤).

٥- الأمر بأداء الأمانة، والصدق والنصح في الأقوال والأعمال، والنهي عن الخيانة(٥).

٦- الأمر بعمارة البلد إذا تعطل شربه، أو اتهدمت قنطرته، أو سقط سوره، فإذا لم يكن في بيت

---

(١) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص١١- ١٢. ؛ ابن بسام: **نهاية الرتبة**، ص١٧- ١٨.

(٢) الماوردي: **الأحكام السلطانية**، ص٣٠٣ -٣٠٥؛ أبو يعلى: **الأحكام السلطانية**، ٢٨٧-٢٨٩.؛ . ابن القيم: **الطرق الحكمية**، ص٢٤٠. الحصان: عبد الرزاق: **الحسبة**، بغداد، مكتبة التفيض، ط١، ١٣٦٥ هـ، ص٩٩-١٠٠.

(٣) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص١١٠ -١١٣. السنامي: نصاب الاحتساب، ص٦٤-٧٤.

(٤) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص٣١٠ -٣١٥. أبو يعلى: **الأحكام السلطانية**، ص٢٩٣ -٢٩٥.

(٥) ابن القيم: **الطرق الحكمية**، ص٢٤٠.

المال ما يقوم بذلك، قام المحتسب بحمل الناس على عمارة ما تعطل أو انهدام أو سقط[1].

٧- الأمر برد الحقوق إذا مطلت، والديون إذا أخرت، على أن يطلب ذلك منه أصحابها، وألَّا يكون فيها إنكار وتجاحد.

٨- وإلا كان ذلك إلى القاضي، لأن المحتسب لا يسمع بينة، ولا يوجه يميناً، وليس له إلا ما ظهر له من منكر يزيله وينهى عنه[2].

٩- منع الإنسان من أن يتعدي على حد جاره أو على حريمه، أو يضع سقفًا أو بناء على جدار جاره، ففي كل ذلك ونحوه يتدخل المحتسب عند ظهور الأمر لإزالته لا عند الخفاء والإنكار[3].

١٠- الإشراف على المعلمين والأطباء وكل أرباب المهن والصناعات لتأدية عملهم بأمانة وإتقان وإخلاص[4].

١١- المنع من الإشراف على منازل الناس، ويُكْرِهُ من علا بناؤه أن يستر سطحه[5].

وكذا يمنع أهل الذمة من تعلية أبنيتهم على أبنية المسلمين، فإن ملكوا أبنية عالية أقروا عليها، ومنعوا من الإشراف منها على المسلمين[6].

١٢- منع الحمالين وأرباب السفن من الإكثار في الحمل خوفاً من الخطر على الناس والحيوان[7].

---

(١) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص٣٠٥. أبو يعلى: **الأحكام السلطانية**، ص ٢٨٩.

(٢) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص٣٠٧. أبو يعلى: **الأحكام السلطانية**، ص٢٩٠. ابن خلدون: المقدمة، ص٢٢٥.

(٣) الماوردي: **الأحكام السلطانية**، ص٣١٧، ٣١٨. أبو يعلى: **الأحكام السلطانية**، ص ٣٠٠- ٣١٨. أبو يعلى: الأحكام **السلطانية**، ص٣٠٠، ٣٠١. الخفيف: **الحسبة**، ص٥٨٣.

(٤) الماوردي: **الأحكام السلطانية**، ص٣١٨؛ أبو يعلى: **الأحكام السلطانية**، ص٣٠٢- ٣٠٣.؛ ابن خلدون: **المقدمة**، ص٢٢٥. ؛ الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص٩٧ وما بعدها.

(٥) أبو يعلى: **الأحكام السلطانية**، ص ٣٠٣.

(٦) الماوردي: **الأحكام السلطانية**، ص٣١٩.

(٧) ابن خلدون: **المقدمة**، ص٢٢٥. ؛ الماوردي: **الأحكام السلطانية**، ص٣٢٠. ؛ أبو يعلى: الأحكام السلطانية، ص٣٠٥ - ٣٠٦.

١٣- الأمر بهدم المباني المتداعية للسقوط، وإزالة ما يتوقع من ضررها على السابلة[١].

١٥- تنبيه القضاة الذين يحتجبون عن الخصوم وأصحاب المصالح بلا عذر شرعي[٢].

١٧- تنمية أموال الأوقاف بملاحظة أصولها، والمحافظة على ريعها ومحصولها، وإمضاء مصاريفها على شروط واقفيها[٣].

١٨- الإشراف الشامل على كل ما يخل بالصحة العامة في الشوارع كربط الدواب على الطريق ورمي أزبال الدور والمطاعم، وإرسال الماء من الميازيب أو تجمع الأوحال[٤].

اختصاصات المحتسب كثيرة ومتعددة، وقد ذكر المؤلفون في موضوع الحسبة أشكالاً مختلفة، من مسؤوليات المحتسب، وكيفية قيامه بتلك المسؤولية. ومن الطبيعي أن تلك الوظائف ليست قاصرة على ما ذكره الباحثون في القرنين السادس والسابع من أنواع المهن، وإنما يمكن أن تتعداها إلى كل مهنة جديدة يجد المحتسب ضرورة حماية المصالح العامة فيها، سواء ما تعلّق منها بحياة الناس، أو طعامهم، أو صحتهم، أو تعليمهم، أو أخلاقهم، أو معاملاتهم.

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص٢٢٥.

(٢) الماوردي: **الأحكام السلطانية**، ص٣١٩ ؛ وأبو يعلى: الأحكام السلطانية، ص٣٠٥.

(٣) القلقشندي: **صبح الأعشى** ج١٢، ص٤١٦. ؛ . الفاسي: **خطة الحسبة**، ص٣٤.

(٤) القلشندى: **صبح الأعشى** ج١١، ص٢١٤. ؛ الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص١٠. ؛ ابن بسام: نهاية الرتبة، ص١٦. ؛ الفاسي: **خطة الحسبة**، ص٣١.



الفصل الأول :

الحسبة على الزراعات

و

المنتجات الزراعية .

الفصل الأول: الحسبة على الزراعات والمنتجات الزراعية:

مما لا شك فيه أن الإسلام أدرك أهمية الزراعة للحياة البشرية ودوامها واستقرارها، مستلهمين من القرآن الكريم والحديث ما يدفعهم إلى العناية بالأرض وثمرها بأنواعه وأشكاله وألوانه، فقد قال الله تعالى: {وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبًا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون}[١]. وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن إعمال الأرض وتركها فقال: (من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها فإن لم يفعل فليمسك أرضه)[٢].

وقد كان المسلمون المتقدمون يسعون في أمر الزراعة ما وجدوا إلى ذلك سبيلا، ثم ازداد اهتمام المسلمين بالزراعة بعد أن اتسعت الدولة الإسلامية، واهتم الأمراء والحكام بها لإدراكهم أهميتها؛ فهي المصدر الأول للمواد الغذائية، وهي تمد بعض الصنائع والحرف المهمة بالمواد الأولية اللازمة لها، وهي ضمان لكفاية المسلمين من الطعام ومجالاً واسعاً لزيادة الرزق، وهذا ما يعود بدوره بالفائدة على بيت المال الذي تعد الزراعة أهم موارده، لذلك التفت الحكام إلى ضرورة العناية بوسائط الري من أنهار وقنوات وسدود، وقد كان الخليفة العباسي المأمون –عندما يفرغ من شؤون الدولة– يولي عناية خاصة للحدائق والبساتين، ويأمر البستانيين أن يغرسوا الورود والنباتات المختلفة، وكيفية صف الأشجار لكي تكون ثمارها أفضل وأكثر [٣].

---

(١) سورة يس آية ٣٣ – ٣٥.

(٢) العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦ م، ج٥، ص ٢٨.

(٣) المخزومي: علي بن عثمان، **المنهاج في علم خراج مصر**، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٢.



المبحث الاول:

الحسبة على المزارعين..

المبحث الأول: الحسبة على المزارعين ومن في حكمهم:

شكلت الزراعة في العصر العباسي جانبًا حيويًا من جوانب الحياة الاقتصادية، لأنها زوَّدت بيت المال بموارد مالية كبيرة ومستمرة، إضافة إلى اعتماد عدد كبير من المواطنين في حياتهم المعيشية على الزراعة والإنتاج الزراعي، وتنوعت المحاصيل الزراعية، ولذلك اهتم الخلفاء العباسيون ولا سيما في العصر العباسي الأول بتشجيع الزراعة، وحفر الأنهار، وإقامة الجسور والقناطر، وامتدت شبكة الترع والمصارف الواقعة بين نهري دجلة والفرات التي أصبحت من أخصب بقاع الدولة العباسية، وكانت الحكومة تشرف على إدارتها إشرافاً مباشراً، وتعمل على تحسين مواردها وتنميتها، وكانت تكثر بها المزارع والبساتين[1]، كما أصبحت حرفة الزراعة من أهم الحرف التي تدر دخلاً وأرباحاً، فكان الناس في الأسواق يحصلون على أنواع المحاصيل الزراعية مثل الحبوب والخضر والفواكه. وكانت نظم الزراعة متنوعة في الدولة الإسلامية، حتى كان لكل إقليم نظام ينفرد به عن باقي الأقاليم، وذلك نظراً لظروفه الطبيعية وإن كانت جميع الأقاليم تشكل في النهاية منظومة واحدة هي أراضي الدولة الإسلامية[2].

أما أساليب الزراعة فقد اتبع الفلاحون الكثير من الطرق الزراعية التي توارثوها عن أجدادهم عبر الزمن وهذه الطرق والأساليب الزراعية التي كانت تستعمل في ما سبق مازال بعضها مستخدماً حتى وقتنا الحالي .

وهذا الأسلوب في الزراعة متبع منذ العصر الروماني، وسار الفلاح على نفس المنهج في الزراعة وهو ما عرف بنظام الحلقين، وهو الأكثر شيوعا ، ويقوم على أساس أن يقسِّم الفلاح أرضه إلى قسمين، ويزرع قسما من أرضه سنة، ويريح القسم الآخر، وفي السنة التالية يقوم العكس. والغاية من اتباع هذا الأسلوب في الزراعة هو إراحة الارض، وعدم إجهادها، لتحسين

---

(١) المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين ، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، اعتنى به محمد هشام النعسان وعبد المجيد طعمه حلبي، ط١، بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص ٥٥٥.

(٢) المسعودي: **مروج الذهب**، ص ٥٥٦.

المنتوج والحصول على الأفضل في الإنتاج الزراعي.

وللتربة دور كبير في نوعية الزراعة ومن هنا اهتم الفلاح بأنواع التربة، وخصائصها، وذلك من خلال علماء الفلاحة وما كتبوه عن شؤون الزراعة المختلفة، فمن الطرق التي اتبعوها لفحص التربة إن كانت صالحة للزراعة أم لا طريقة الشم، والذوق، وذلك بحفر حفرة في الأرض عمق ذراعين، فتؤخذ عينة من التراب، وتوضع في إناء زجاجي، ويوضع عليها ماء عذب، ثم يترك حتى يصفو، ويذوقوه ويشمونه، فإن كان الماء منتن الرائحة فالأرض رديئة، وان كان طيب الطعم فالأرض جيدة للزراعة [١] (وعلى قدر الذوق والطعم تعرف الأرض). كما أن الأرض الجيدة لا تظهر فيها تشققات إذا اشتد الحر، ولا يمكث الماء فيها لأنها تنشف سريعا [٢]، واعتبرت التربة السوداء أفضل أنواع الترب، وذلك لامتصاصها المياه، واحتفاظها بنسبة عالية من الرطوبة، ولها قدرة على تحمل شدة الحر، وهي لا تحتاج إلى كثير من الجهد في الحراثة، لأن تربتها مفككة، ولا تحتاج إلى كميات كبيرة من السماد إلا في فصل الشتاء، وذلك لاعتدال رطوبته، وهذه التربة تصلح لزراعة جميع النباتات ما عدا نبات الكرمة [٣]. والتربة الحمراء تجود فيها من الشجر، التفاح، والأجاص، واللوز، والورود، ومن خصائص هذه التربة أنها تحتاج إلى جهد وعناية، ولكنها لا تحتاج إلى الزبل من أجل حراثتها[٤]، و تربة العراق من أنواع الأراضي الزراعية التي أقرب إلى اليباس وتنمو فيها أشجار التين والكروم، والزيتون، ولا تحتاج إلى الماء الكثير، إنما إلى الخدمة والسماد [٥].

أما التربة الصفراء، وهي أقرب إلى الأرض البيضاء، في الطبع والجوهر، فلا يصلح فيها من الثمار

---

(١) الإشبيلي: أحمد بن محمد ،**المقنع في الفلاحة**، تحقيق: صلاح جرار وجاسر أبو صفية، تدقيق: عبد العزيز الدوري، منشورات مجمع اللغة العربية، د. ط، ١٩٨٢ م، ص ٦.

(٢) ابن بصال : الحاج أبو عبد الله إبراهيم الطليطلي ، **كتاب الفلاحة**، تحقيق: خوسي ماريه ومحمد عزيمات، تعريب: عبد اللطيف الخطيب، معهد مولاي الحسن، تطوان، ١٩٥٧م، ص٤١- ٥٥؛ الإشبيلي: **المقنع في الفلاحة**، ص٦.

(٣) الإشبيلي: **المقنع في الفلاحة**، ص ٦.

(٤) الإشبيلي: **المقنع في الفلاحة**، ص ٦ ؛ ابن بصال: الفلاحة، ص٧٤٧.

(٥) ابن بصال: **الفلاحة**، ص٤٢-٤٣-٤٤ .

إلا ما كان له جذر يخترقها وينفذها، مثل أشجار الخروب، والزعرور، والبلوط، والجوز، والنخيل وغيرها من الأشجار ذوات الجذور القوية، إلا أن هذه التربة تحتاج إلى جهد كبير، وتعب وسماد لتجود الأشجار وتثمر [1]، وهذه التربة لا تحتمل الماء كغيرها من الأراضي لأن القليل من الماء يكفيها، ويتغلغل إلى أعماقها بسرعة.

أما عن كيفية اختيار البذور، أو الغراس المراد زراعتها، فالبذور يجب أن تتصف بالجودة بالشكل الصحيح، وأفضل ما زرع منها ابن عام أو عامين، وما تجاوز ذلك فلا خير فيه، وأما الغراس فيختار ما كان طرياً في أول نموه، وأن يكون يابس الورق ليعطي ثماراً جيدة[2].

ويُنصح الفلاحون باختيار أفضل الأوقات لسقاية المزروعات وهو وقت الصباح الباكر، أو بعد غروب الشمس وذلك كي لا تتبخر المياه بشكل سريع فلا يستفيد منها النبات، وقد غرست الأشجار وفق نسق وترتيب معين حيث تجعل في صفوف على شكل خطوط مستقيمة، وتترك فراغات بين الأشجار، واستعملت هذه الطريقة بكثرة في زراعة أشجار الزيتون[3]. والهدف من ذلك السماح للرياح بالدخول والخروج بدون عوائق ولذلك أيضاً فائدة في تسهيل عملية الحرث والنكش للحقل.

وقد أولت الدولة العباسية عنايتها بالزراعة لما تميزت به بكثرة المحاصيل الزراعية المتنوعة لسعة مساحتها وتنوع مناخها وخصوبة تربتها، والأهم من ذلك كثرة الأنهار المنتشرة على مساحات واسعة من الدولة في مختلف الأقاليم[4].

وأولوا عنايتهم أيضاً بتربية ما يحتاجونه من الحيوانات كالماشية وغيرها.

---

(١) ابن بصال: **الفلاحة**، ص ٤٦.

(٢) الإشبيلي: **المقنع في الفلاحة**، ص ١١.

(٣) ابن وحشية: الفلاحة النبطية، ج١، ص٢٣٠.

(٤) ابن حوقل: أبو القاسم محمد بن علي الموصلي الحوقلي البغدادي ، **صورة الأرض**، بيروت، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، ١٩٩٢م، ص ١٦٣.

وكانت هناك جملة عوامل جعلت من الدولة العباسية مركزاً مهما للزراعة، منها زيادة الاهتمام للعباسيين بامتلاك الأرض باعتبارها نوعاً مستقراً من الملكية ومصدر دخل ثابت، فبرزت ظاهرة الملكيات الكبيرة من إقطاعيات وضياع نتيجة توفر المال والنفوذ(١).

ونتيجة لما ذكرناه فقد تطورت الحياة الزراعية وظهر إقطاع زراعي بصورة واسعة، وقد كان لبعض التجار دورهم في ذلك، واتجه الملاك إلى تطوير الزراعة باستعمال الأسمدة لاستصلاح الأراضي وظهرت الزراعة المركزة، ولم يكتفِ الملاك الكبار بالفلاحين المحليين، بل عملوا على شراء الرقيق بأعداد كبيرة لاستخدامهم في استصلاح الأرض وفلاحتها(٢).

ففي العراق استقرت المجموعات القبلية على نطاق واسع في القرى، وكانت هناك مجموعة كبيرة من القرى العربية في القرن الثالث الهجري، والكثير من هؤلاء العرب أخذ يعمل في الزراعة بعد إسقاطهم من الديوان (٣).

وكذلك الحال في بلاد الشام كانت الحركة نحو الانتشار بالريف والسكن في القرى أكثر اتساعاً، ولا سيما بعد سقوط الدولة الأموية (٤).

لقد كان اختيار بغداد عاصمة للدولة العباسية أثره المهم في ذلك، لأن أنهار العراق كانت تشكل عصب الحياة للعاصمة الجديدة، وقامت على جانبيها جميع أنماط ومظاهر الحياة والحضارة(٥).

وكذلك الحال في باقي أقاليم الدولة التي تكثر فيها الأنهار، ومنها خراسان فقد كانت

---

(١) الجهشياري: محمد بن عبدوس ، **الوزراء والكتاب**، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ط٢، القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٤١٠هـ/١٩٨٠م، ص١١٨.

(٢) الدوري: عبد العزيز، **أوراق في التاريخ والحضارة**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، ٢٠٠٩م، ص٥٩.

(٣) اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن واضح ، **البلدان**، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت، ص٣٠٩.

(٤) ابن عساكر: علي بن الحسين بن هبة الله الدمشقي ، **تاريخ دمشق**، تحقيق ، صلاح الدين المنجد، دمشق، المجمع العلمي، ١٩٧٥هـ، ج٦، ص٣٩٥.

(٥) اليعقوبي: البلدان، ص٢٣٣.

مشهورة في غذاء الهواء وطيب الماء وصحة التربة وعذوبة الثمرة وأحكام الصنعة، وكذلك بلخ فقد كانت مشهورة برخص الأسعار وكثرة الخضر واختراق الأنهار المحفوفة بالشجر في المحال والمنازل وقرب الجبال والأودية [(١)].

أما هراة وسجستان فقد وصفت بـ"هراة قصبة جليلة هي بستان هذا الجانب، معدن الأعناب الجيدة والفواكه النفيسة، آهلة عامرة، وفيها بساتين مشتبكة ومياه جارية وقرى عامرة، أما سجستان ففيها عدة أنهار تسقي المدن والضياع منها نهر هيرميد" [(٢)].

وتأتي بلاد الشام في طليعة البلاد التي اهتمت الدولة العباسية بها، وذلك لوفرة خيراتها وقربها من مركز الخلافة، فكانت فيها الأنهار والبحيرات الكثيرة الممتدة على أرجاء واسعة في جملة بلاد الشام ولا سيما الأجزاء الغربية، والتي تسقي مساحات واسعة من أراضي دولة الخلافة، وطبرية هي الأشهر، وقد وصفت بأنها "بحيرة مشهورة، وأن ماءها عذب" [(٣)].

ومن هذا نعلم أن كثرة الأنهار التي تقطع شرق الدولة وغربها، وكثرة البساتين التي قامت على تربتها الخصبة ساعدت على نمو النشاط الزراعي المختلف، فقد انتشرت زراعة الحبوب كالقمح والأرز بالإضافة إلى أنواع عديدة من المنتوجات الزراعية والفواكه الأخرى، والتي عمل الخلفاء على جلبها إلى دار الخلافة من أماكن بعيدة عن العاصمة، وقد كان أكثر ما يباع من الثمار في الأسواق هو البطيخ، فنشأ نتيجة لذلك سوق بيع الفاكهة سمي بدار البطيخ[(٤)].

وقد كان يرد من أقاليم الدولة إلى بغداد من المنتوجات الزراعية كالفاكهة ما لا حصر له، فمن بلاد فارس كان يرد ماء الورد المستخرج من بساتينها، ومن بساتين أصفهان كان يرد الزبيب

---

(١) المقدسي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن البناء البشاري ، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، وضع مقدمته وهوامشه محمد مخزوم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ج١، ص١١١.

(٢) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ج١، ص١١١.

(٣) ابن جبير : محمد بن أحمد بن جبير الكناني ، **رحلة ابن جبير**، د.أ، القاهرة، السعادة، ١٩٠٨، ص٢٩٢.

(٤) ابن طباطبا: **الفخري في الآداب السلطانية**، ص٢٩٩.

الأسود والرمان والسفرجل فضلا عن الكمثرى والتفاح والزعفران.[1] ولأجل تطوير الزراعة وديمومتها اتجه العرب لدراسة المناخ وأثره على الزراعة، فاهتموا بأحوال المناخ والأمطار ودرسوا الآثار الجوية ومدى تأثيرها على الإنسان والبيئة.[2]

لذلك كان اهتمام الدولة الإسلامية بالزراعة واسعاً، وقدمت لها كل الإمكانيات اللازمة لدفع عجلة النشاط الزراعي من خلال توصيل المياه للأراضي الزراعية وإنشاء القناطر ومساعدة الفلاحين. وكان البنفسج والماورد من الزراعات الموجودة في البصرة [3]، وزرع النرجس والريحان في بغداد [4]، وعلى جانبي نهر الأبلة [5].

كما نبتت في أراضي العراق أنواع عديدة من العقاقير والنباتات الطبية على سواقي الأنهار ومنها: الإذخر والأفستين والحنظل[6].

واشتهرت مدن خراسان بزراعة الحنطة والشعير والسمسم، ومن هذه المدن مرو، وكذلك مدينة سرخس فقد كانت مشهورة بزراعة الحبوب كالحنطة والشعير بالرغم من أنها قليلة المياه، وكانت أراضي خراسان تنتج المحاصيل الأخرى غير القمح والشعير والذرة ، حيث كانت تشتهر بالسمسم والجوز واللوز والأرز وكانت مدينة هراة تشتهر بالفستق والحنطة،كذلك كانت تشتهر بزراعة القطن [7]، كذلك اشتهرت بزراعة الفواكه والبطيخ في جميع أرجائها، حيث كان يحمل البطيخ إلى العراق في قوالب من الرصاص معبأ بالثلج للخلفاء، وكذلك عرفت خراسان بكثرة

---

(١) الجاحظ : عمر بن بحر الليثي ، **التبصر بالتجارة**، تحقيق حسن حسني، دمشق، ١٩٣٢ م، ص٢٥.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٤٥.

(٣) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص ١١٨.

(٤) ابن الفقيه: **البلدان**، ص١٠٣-١٠٤.

(٥) ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص٢١٢.

(٦) ابن الفقيه: **البلدان**، ص ٧٠.

(٧) الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد ، **المسالك والممالك**، تحقيق: محمد الحسيني، القاهرة، دار القلم، ١٩٦١، ص١٥٤.

أعنابها[1].

يذكر أن بطيخ خوارزم كان يقدد ويجفف في الشمس ويحمل إلى بلاد الهند والصين، واشتهر هذا الإقليم بالعنب والرمان والزبيب والكمثرى والبرتقال[2].

وانتشرت زراعة قصب السكر في منطقة خوزستان لملاءمة الظروف الطبيعية لنموه [3]وأخذ الناس بحفظ الفواكه وتجفيفها كما هو الحال مع التين والزبيب وحب الرمان [4].

وقد كانت بلاد الشام خلال العصر العباسي -بل وعلى مر الأزمان- مصدراً للحبوب تنتج ما تحتاجه، وتصدر ما يفيض إلى الأقاليم الأخرى، وخاصة بلدان الجزيرة العربية، والعراق[5].

أما الحجاز فقد تميزت المدينة بكثرة مياهها ووديانها، مما أهلها أن تكون بلداً زراعياً، فقد ازدهرت فيها زراعة النخيل وزاد إنتاجها من التمور [6]. وللطائف أهمية بالنسبة لأسواق الحجاز، لما تجود به أرضها من ثمرات حيث تميزت بكثرة أشجارها وثمارها، وأكثر ثمارها الزبيب والرمان والموز والأعناب، وتعد أهم مصدر للتموين الغذائي لأسواق مكة المكرمة [7].

وفي ما يتعلق بالزراعة في مكة فقد عرفت بقلة ما يزرع فيها من المحاصيل الزراعية والحبوب

---

(١) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص٢٣١.

(٢) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص٢٣١.

(٣) غنيمة: يوسف رزق الله، **صناعات العراق في عهد العباسيين**، مجلة غرفة تجارة بغداد، الجزء الثامن، السنة الرابعة، ص ٥٨٠.

(٤) الدمشقي، جعفر بن علي، **الإشارة إلى محاسن التجارة** ، تحقيق البشري الشوربجي، الإسكندرية، مكتبة الكليات الازهرية، ط١، ١٩٧٧م، ص٣٤؛ الدوري: عبد العزيز، **تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٥م، ص١٣١-١٣٢.

(٥) غوستاف لبون: **حضارة العرب**، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة، دار احياء الكتاب، ط٣، ١٩٥٦م، ص٣٤٨.

(٦) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص٨٠؛ السمهودي، علي بن أحمد، **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**، تحقيق: خالد محفوظ، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٧هـ /٢٠٠٦م، ج١، ص٦٣.

(٧) الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص٢٤؛ ابن حوقل: أبو القاسم محمد بن علي الموصلي الحوقلي البغدادي ، صورة الأرض، بيروت، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، ١٩٩٢م، ص٣٩.

مثل الذرة والشعير والقمح والتي لا تسد حاجة الناس بسبب الجفاف وارتفاع درجات الحرارة وما يحيط بها من جبال جرداء، وقد ذكر ذلك بعض البلدانيين: "وليس بجميع مكة شجر مثمر غير شجر البادية"[(1)].

فضلاً عن اعتماد مكة على ما يجلب إليها من منتوجات زراعية كالفواكه والخضار من الأودية والمناطق الأكثر خصوبة التابعة لها [(2)]. فتكثر زراعة النخيل في المناطق المجاورة لها فيقول الحميري: "إن التمر يأتي إليها كثيراً مما حولها" [(3)]، إذ توجد منابع المياه وخصوبة التربة [(4)]، ويذكر القلقشندي أن محاصيلها الزراعية تصدر إلى مكة: "ومنها تحمل الفواكه والبقوليات إلى مكة كما تحمل من نخلة والطائف" [(5)]. فضلاً عن ذلك فقد كان لبعض المكيين مزارع بالقرب من مكة تروى بماء العيون [(6)]، وتنتج مختلف المحاصيل الزراعية، وقد عمل المكيون على استقدام عمال من المغاربة من ذوي البصارة بالفلاحة والزراعة، فاستطاعوا أن ينهضوا بالزراعة وأن يحدثوا بها كثيراً من البساتين والمزارع، وعلاوة على ذلك فقد عرفت الحجاز أنواعاً من الأشجار ومنها شجر السدر[(7)].

واشتهرت الحجاز بزراعة أنواع من النباتات التي انتفعت منها دواءً ومنها نبات البيلسان

---

(1) الاصطخري: **المسالك والممالك**، ص٢٣؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٧؛ الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، **معجم البلدان** ، بيروت ، دار صادر ، ط٢ ، ١٩٩٥م، ج٢، ص١٨٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٤٧.

(2) الحميري: محمد بن عبد المنعم **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٥م، ص٩٣-٩٤.

(3) الحميري: **الروض المعطار**، ص٩٤.

(4) القلقشندي: **صبح الأعشى**، ج٤، ص٢٦٤-٢٦٥.

(5) القلقشندي: **صبح الأعشى**، ج٤، ص٢٦٥.

(6) ابن جبير: **رحلة ابن جبير**، ص٨٩.

(7) الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني الفاسي المكي: **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج١، ص٨٩.

وهو نوع من العقاقير الطبية الشرقية التي اشتهرت في كل مكان، ويزرع البيلسان البري في الحجاز، ويسمى شجره بالبشام ويزرع بمكة، وشتلاته تصدر إلى دول أخرى لا سيما مصر لأن بها نوعاً جديداً يسمى بلسم مكة (١). علاوة على ذلك فهناك نوع آخر، من النباتات في الحجاز يستخرج منه المر والبخور (٢).

و"قد كان العصر العباسي الثاني مرحلة ضعف وتدهور الحياة الاقتصادية في الدول العربية والإسلامية في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة،، وجميع جوانب الحياة الأخرى، نتيجة الصراعات على المصالح، وتفضيل المصلحة الخاصة على المصلحة العامة ولا سيما التدخل الأجنبي في مفاصل الدولة، وكذلك نتيجة اختلال التوازن بين العناصر التي يتكون منها جيش الخلافة وعزلهم، ومحاولة توجه سياسة الدولة لتحقيق مصالحهم الخاصة حتى جاءت النهاية على يد هولاكو في عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م والذي أباح كل الحرمات من قتل ونهب وتخريب وحرق"(٣).

وأدى تدهور الجانب الزراعي في العصر العباسي الثاني إلى ضعف الحياة الاقتصادية في كل الأمصار، بسبب ضعف وإهمال الرقابة على الزراعة وتشجيعها، مما أثر سلباً على الكثير من الصناعات الغذائية والدوائية لتلك البلدان، وبالتالي أدى إلى تدهور تجارة البلد التي ستقتصر على الاستيراد الذي يضعف اقتصاد الدولة بشكل عام، فالجانب الزراعي هو عامل قوة لاقتصاد كل الدول (٤).

وعلى الرغم من وجود العديد من الدراسات والبحوث التي تناولت موضوع الحسبة وولاية السوق ووظائفها، ولا سيما في مجالات مراقبة الأسواق، إلا أننا لم نجد دراسات مستقلة شافية

---

(١) الجزيري: عبد القادر محمد عبد القادر الانصاري ، **درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المنظمة**، الرياض، منشورات دار اليمامة، ط١، ١٩٨٣م، ج٢، ص١٤٠٧.

(٢) سمين: وسن، **الزراعة والصناعة في الحجاز خلال العصر الفاطمي**، بحث منشور في مجلة أبحاث البصرة، مج٣٦، ع٢، ٢٠١١م، ص٢٠٩.

(٣) أبو النصر: محمد عبد العظيم، **الحضارة الإسلامية انتشارها وتأثيرها في الحضارة الأوربية**، ٢٠٠٦م، ص٣٥.

(٤) أبو النصر: المرجع السابق، ص ٢٠٥.

ووافية حول دور مؤسسة ولاية السوق في مجال مراقبة العمل الزراعي وكل ما يتعلق بذلك، على عكس الدول الإسلامية في الأندلس فقد تنبهت إلى ضرورة مراقبة ومساندة الفلاحين، فتضمنت كتبهم أهمية الزراعة بكونها عماد الاقتصاد، ولتكون من أولويات عمل والي السوق، كما ذكر ابن عبدون "هي العمران، ومنها العيش كله، والصلاح جلُّه... وبها تُملك المدائن والرجال، وببطالتها تفسد الأحوال"[(١)].

الحسبة على التبانين[(٢)]:

"بأن يعرف عليهم رجل منهم عالم بصنعتهم ثقة أمين ولديه ما يكفي من الخبرة لكشف غشهم، فإن أكثرهم لا ثقة فيه ولا دين له" [(٣)]، أما بالنسبة لتجار التبن والغصون وأشجار الشوك، وجامعي الرماد، وحاملي المال، فكان يتم منعهم من دخول الأسواق إلا للضرورة أخذاً بالقاعدة الفقهية "لا ضرر ولا ضرار "، حيث إن هذه الاصناف تؤدي –غالباً– إلى الإضرار بثياب الناس بتمزيقها [(٤)]، ويتم تخصيص أماكن ذات سعة لبيع هذه الأصناف[(٥)]، وقد كان في صنعاء في الجهة الشرقية منها سوق للتبانين، قد تخصص في بيع التبن، ليس فقط في صنعاء بل في بلاد الإسلام كلها أسواق لبيع التبن. والعلف وكل ما يحتاجه الحيوان من أكل وأعلاف[(٦)]، وسوق للحطب [(٧)].

---

(١) ابن عبدون: **ثلاث رسائل أندلسية**، ص ٥. لم أجد هذا الاهتمام للمحتسب بالزراعة إلى عند ابن عبدون في كتابه ثلاث رسائل أندلسية، وهذا يدل على اهتمام الأندلسيين بالزراعة لأهميتها.

(٢) **التبان:** من يبيع التبن، وهو يبيع التبن للدواب أو البناء، العبد لله: عبد العزيز، **قاموس الصناعات** ، إصدارات الجامعة العربية، ط١، ١٤١١هـ، ص٢٢.

(٣) الماوردي: **الرتبة في طلب الحسبة**، ص٣٦٩.

(٤) الفيومي: **المصباح المنير**، ج١، ص ١١.

(٥) ابن الاخوة: **معالم القربة**، ص ٩٣.

(٦) الصنعاني : إسحق بن يحيى بن جرير ، **تاريخ صنعاء** ،تحقيق عبدالله الحبشي ، صنعاء ، مكتبة السنحاني ، د.ط ، د.ت ، ص ١٦٨، ١٨١.

(٧) الصنعاني: **تاريخ صنعاء**، ص ٢٧٥.

ويحتسب عليهم ألَّا يخلطوا في تبن القمح شيئًا من سائر الأتبان مثل تبن الشعير وتبن البرسيم وتبن الجلبان [(١)]، أضاف الماوردي "تبن العصفر، وتبن الحمص، وتبن العدس، وغيرها من أصول النبات[(٢)]. وأضاف ابن الأخوة "يؤخذ عليهم ألَّا يخلطوا في تبن الحنطة شيئًا من سائر الأتبان مثل تبن الفول وتبن البرسيم وتبن الجلبان وتبن العدس ولا شيئًا من أصول القمح، ويحلفهم بالله العظيم أنهم لا يدلسون على المسلمين وأن تكون شباكهم على العادة وزنتها مائتان وخمسون رطلا كل شبكة بالرطل المصري وأنهم إذا ملؤوها من المراكب لا ينقلوها إلى مواضعهم ليقصوا منها ثم ينقلوها بشباك أخرى صغار إلى المعامل ومن فعل ذلك أدبه وعزره".[(٣)]

ومما يجب التنويه إليه أن مهام المحتسب الرقابية تتطور بتطور المنكرات المستجدة في المجتمع الإسلامي، فمثلاً عند ظهور زراعة الحشيش وتناوله، أصدرت المكاتيب بمنع زراعته والتحذير من تناوله[(٤)].

الحسبة على الحشيش والحشاشين:

أول ما عرف تعاطي الحشيش على يد فرق الإسماعيلية بقيادة زعيمهم الحسن بن الصباح بن علي الإسماعيلي (ت ٥١٨هـ/١١٢٤) في قلعة (الموت) ثم انتقلت زراعته وانتشرت في بلاد فارس والشام ومصر وشمال إفريقيا بعد القرن الخامس الهجري [(٥)]. وانتشرت وزرعها العامة واستخدموها صغاراً وكباراً، وأكثر أتباع فرقة الصوفية ظناً منهم أنه يعينهم على السهر للقيام بعباداتهم، وأهل الذمة، ثم انتقلت زراعته إلى مصر وانتشرت انتشاراً واسعاً حتى خصصت منطقة

---

(١) الماوردي: **الرتبة في طلب الحسبة**، ص٣٦٩ ؛ ابن الاخوة: **معالم القربة**، ص ٣٤١.

(٢) الماوردي: **الرتبة في طلب الحسبة**، ص٣٦٩

(٣) ابن الاخوة: معالم القربة في أحكام الحسبة، ص٣٤١.

(٤) إبراهيم دسوقي الشهاوي، الحسبة في الإسلام، مطبعة المدني، القاهرة ط١، (١٣٨٢هـ-١٩٦٢م)، ص١١٣-١١٦.

(٥) لويس: برنارد، **الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الإسلام**، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط٢، ٢٠٠٦م، ص ٢٠ وما بعدها.

خاصة لزراعته قرب القاهرة يقال لها أرض الطبالة [1]، وكان يوزع في القاهرة على من يطلبها من العامة دون علمهم بأضراره وما يسببه، وانبرا أهل الحسبة من رجال الإسلام من المشايخ والعلماء تصدوا له وألفوا كتباً وحذروا منه ومن استخدامه، وعمدوا إلى النهي عنه والاحتساب على زراعة الحشيش وتعاطيه وبيعه ووضحوا أضراره على حياة الإنسان وما يسببه من ذهاب العقل والمال وهلاك النفس والوصول للجنون [2].

فقد قال ابن تيمية: "هذه الحشيشة الصلبة حرام، ومن استحل ذلك وزعم أنه حلال فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل مرتدا..." [3]، كما قال: "أكل هذه الحشيشة حرام، وهي من أخبث الخبائث المحرمة... ومن استحل ذلك فهو كافر يستتاب، فإن تاب وإلا قتل كافراً مرتداً" [4]، وقال أيضاً: "وكانت هذه الحشيشة الملعونة من أعظم المنكرات، وهي أشر من الشراب المسكر، فإنها مع أنها تسكر آكلها حتى يبقى مصطولا تورث التخنيث والديوثة، وتفسد المزاج، وتورث الجنون" [5].

كما قال المقريزي في موضع آخر إنها تورث السفالة، وما عاناها أحد من الناس إلا وأسقط في سائر أخلافه حتى يصبح في عداد البهائم، ولا يبقى له من إنسانيته شيء [6].

وكان المحتسبون ينتشرون في المزارع في بلاد الشام وفي مزارع مصر لمعرفة من يقوم بزراعتها وبيعها لأنها كانت تزرع مع الحبوب كالدخن ويزرعون أيضاً ست الحسن التي لا تقل آثارها وضررها عن الحشيش.

---

(١) المقريزي: أحمد بن علي بن عبد القادر ، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (المعروف بالخطط المقريزية)** تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، ط١، القاهرة، مكتبة مدبولي، د.ت، ج٢، ص ١٢٦.

(٢) عسيري: مريزن سعيد ، **النباتات المخدرة في حكم الأطباء والعلماء المسلمين،** بحث منشور، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ٢٠١١ م، ص٢٠.

(٣) ابن تيمية: أبو العباس أحمد، **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية،** جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية ١٤١٦هـ /١٩٩٥م، ج٣٤، ص٢١٠..

(٤) ابن تيمية: **المصدر نفسه،** ج٣٤، ص٢١٢.

(٥) ابن تيمية: المصدر السابق، ج٣٤، ص ٢٠٥.

(٦) المقريزي: الخطط، ج٢، ص١٢٨.

وقد حرمها الفقهاء لما سبق ذكره من أضرارها فقد كان "أول من تعرض لذكر الحشيشة من الأطباء المسلمين هو الأزدي ثم ابن البيطار وقد أكد كلاهما أنها مسكرة، والإكثار منها قاتل"[(١)]. وبعد ذلك عندما عظم أمرها في ديار المسلمين، واتفق على ضررها وفسادها الأطباء والعلماء وسائر العقلاء، أجمع أصحاب المذاهب الأربعة على حرمتها استدلالاً بالحديثين الشريفين "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر" والآخر "كل مسكر حرام" ، قال ابن تيمية: "من استحلها فقد كفر"، كما قال: "إن الحد واجب في الحشيشة كالخمر"، كما أكد القسطلاني حرمتها ودلل على ذلك بأربعة أدلة نقلية وعقلية [(٢)].

الاحتساب عليهم:

إن التوجيهات النبوية الكريمة، وحضّه المسلمين للعناية بالمزروعات بكل أنواعها، وعدم التعرض لها بالأذى سواء كانوا في حالة سلم، أو حرب، فمن ذلك قوله: "ما من مؤمن يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير، أو بهيمة إلا كان له به صدقة" [(٣)].

وللحصول على محاصيل زراعية وفيرة ذات نوعية جيدة، وكميات كبيرة، كتب أهل الاحتساب من العلماء والفقهاء في مجال الزراعة الكثير من النصائح للمزارعين لكي يقوموا باستغلال الأرض بطرق صحيحة سليمة يصل الفلاح من خلالها إلى هدفه، وغايته المنشودة، وهذا ما دأب عليه الفلاحون سواء كانوا عرباً مسلمين، أم أهل ذمة، منذ القدم ويبدو ذلك جلياً من خلال الكتب التي ألفت في مجال الزراعة في مختلف مجالاتها ومراحلها، وذلك للحصول على محصول سليم، باعتبار الأرض مصدر ثروة مالية تدعم اقتصاد الفلاح، والدولة قوية طالما اقتصادها قوي، ويجب على الفلاح إذا أراد الحصول على حصاد وافر ونوعية جيدة أن يهتم بتسميد الأرض للحصول على تربة خصبة، وأفضل السماد هو مخلفات الإنسان، وروث الحيوان[(٤)].

---

(١) عسيري: **النباتات المخدرة**، ص١٩.

(٢) عسيري: المرجع السابق، ص ١٩.

(٣) ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج٤، ص ١٤٥-١٤٦.

(٤) ابن وحشية: **الفلاحة النبطية**، ج١، ص٣٦١-٣٧٧

وللأسمدة دور كبير في استصلاح الأراضي من أجل الزراعة، وذلك بإضافتها إلى التربة حتى تصبح صالحة للزراعة، كما ينصح بعد ترك بعض الأراضي دون زراعة في فصل الصيف، لأنها سوف تكون عرضة لعوامل التعرية فتبور [١]. ولأن الزراعة تحتاج إلى جهد وتعب فإنه من الأفضل اختيار العمال من الشباب لأنهم أصح بدناً، ولهم قدرة على التحمل في العمل في الحر والبرد، وغير ذلك من الأمور الأخلاقية التي يجب توافرها في العمال من دين، وأمانة وصلاح حال [٢].

من مهام المحتسب، التوجيه بحراثة الأرض في أوقاتها المعلومة ومراقبة ذلك والتنبيه إليه، وحماية الفلاحين من الأخطار، فضلاً عن متابعة التعامل الجيد وعدم استخدام القسوة معهم[٣]. ويحتسب على الفلاحين في لبسهم فقد لبسوا الثياب الغليظة من القطن [٤].

إن مهنة الزراعة في المشرق الإسلامي خاصة، وفي دول الإسلام عامة، لم تكن تتم كيفما اتفق، بل كانت تقوم في بلاد المسلمين على العلم والمعرفة التامة والتجربة الحقة، وكان أهل الحسبة يقومون بالإشراف على ذلك برفقة أرباب حرفة الزراعة وعرّافها فقد كان العرفاء الزراعيون يصاحبون المحتسبين أثناء احتسابهم على أهل الزروعات والأراضي، في اختيار الأرض واستصلاحها وتسميدها وحرثها، وزراعة الأشجار وأنواعها وأوقات زراعتها في فصول السنة، وكان المحتسبون ينظرون أيضاً إلى بذور الزراعة المختلفة سواء كانت حبوباً أو فاكهة أو خضاراً، فلا بد أن تكون سليمة قوية خالية من الأمراض والعفن، حتى لا تفسد المزروعات، ويذهب الوقت والجهد سداً.

أيضا لا بد للمحتسب من الوقوف على البساتين والمزروعات أثناء خرصها من خراص

---

(١) الإشبيلي: **المقنع في الفلاحة**، ص ١٠.

(٢) الإشبيلي: **المقنع في الفلاحة**، ص٤٦.

(٣) الجبوري: خليل خلف، **المؤسسات الرقابية ودورها ف حماية اقتصاد الدولة "ولاية السوق أنموذجاً"**، بحث منشور في مجلة الفراهيدي، العدد ١٩، اذار ٢٠١٤، ص٢٤٩.

(٤) ابن طباطبا: محمد بن علي ،**الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، حققه وضبطه وشرحه عبد القادر بن محمد مايو، ط١، حلب، دار القلم، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

الدولة حتى لا يحدث الغش أو الإجحاف في حقوق المزارعين.

ونتيجة لما سبق ذكره من التنوع في المحاصيل الزراعية ازدهرت أسواق العصر العباسي في كل الأمصار، واكتظت بكثرة المرتادين لها من جميع الأقطار، وكان لهذا التنوع دور في ظهور ظاهرة التخصص في الأسواق في العصر العباسي.

واتفقت جميع كتب الحسبة على أن أول مهام المحتسب على الحرف والمهن هي أن يعرف عليهم رجلاً من أهل الصناعة، ثقة، أميناً، خبيراً بغشهم وتدليسهم (١). لذا ستكتفي الباحثة بذكر هذه المهمة بداية كل مبحث.

(١) الشيزري: نهاية الرتبة. ابن بسام: نهاية الرتبة. ابن الأخوة: معالم القربة. الماوردي: **الرتبة في طلب الحسبة**.



المبحث الثاني:

أصحاب الحبوب ، وأنواعها وأصنافها ، وأمثالها.

المبحث الثاني: الحسبة على أصحاب الحبوب وأنواعها وأصنافها وأمثالها:

تعتبر الحبوب من المواد الغذائية الضرورية التي شكلت الغذاء الرئيسي الذي اعتمد عليه المجتمع في العصر العباسي، وفي مقدمة الحبوب التي كانت لها أهمية هي الحنطة والشعير والأرز، وهي الغذاء الأساسي لدى الفقراء والأغنياء سواسية، والمعروف أن أراضي الدولة العباسية كانت تمتلك الإمكانيات الكبيرة التي ساعدت على إنتاج الحبوب بكميات كثيرة، فقد ترك اهتمام الخلفاء ودعمهم بالإضافة إلى الأراضي الخصبة ووفرة المياه أثراً كبيراً في توافر هذه الحبوب، وقد كان توافرها على أنواع؛ فبعضها يزرع في فصل الصيف والآخر في فصل الشتاء.

وقبل الدخول في طرق ووسائل الاحتساب على أصحاب الحبوب يجب إعطاء تعريف واضح لمعنى كلمة الحبوب وأنواعها، فالبعض يعتقد أن لفظ الحبوب المقصود به محصول الحنطة والشعير فقط، فآثرت الباحثة ذكر توضيح مصطلح الحبوب وهو مأخوذ من الحبة، والحبة بزر كل نبات ينبت وحده من غير أن يبذر، وكل ما بذر فبذرة حبة بالفتح[1]. وتشمل الحبوب أيضاً الحمص والعدس والترمس فضلاً عن الماش والسمسم والذرة[2]، وجاء ذكر كلمة الحبوب في قول الجاحظ: "تأمل نبات هذه الحبوب من العدس والمج والدجر والجرجير"[3].

ويمكن اعتبار أن ما ذكر هي من المواد الضرورية التي لا يمكن الاستغناء عنها ولاسيما الحنطة والشعير والتي عرفت بأنها عماد الخبز [4].

ومثلما اختلفت الحبوب من حيث فوائدها وأوقات زراعتها وقيمتها الغذائية فقد اختلفت أيضاً في تعدد تسمياتها، فمثلا الحنطة عرفت بأسماء متعددة مثل البر[5]، ووصفت الحنطة بأنها أم

---

(١) ابن منظور: **لسان العرب**، ج١، ص ٢٣٦.

(٢) الزبيدي: **تاج العروس**، ص٣١١ .

(٣) الجاحظ: عمرو بن بحر، **الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير**، بيروت، دار النخوة، ط١، ١٩٨٨م، ص٢٠.

(٤) جواد علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ص٥٧.

(٥) الجاحظ: عمرو بن بحر، **البيان والتبيين وأهم الرسائل**، تعليق جميل جبر، بيروت، المطبعة الكاثولكية، ١٩٥٩م، ج١، ص٦٠.

الطعام لفضلها على سائر الحبوب [1].

وتحتل الحنطة مركز الصدارة في مساحة الأراضي المزروعة في العراق، وتعتبر من المحاصيل الشتوية المهمة، والتي كانت زراعتها تبدأ مع تغير الجو من الحرارة إلى البرودة [2]. وكانت أهم الغلال في العراق الشعير والحنطة والرز والتمر والسمسم والقطن وغيرها، وقد نافست خراسان ومصر، وباقي الأمصار الإسلامية في ميدان الإنتاج الزراعي [3].

وكان من أهم متطلبات زراعة الحنطة والحبوب التربة الجيدة والمياه الوفيرة، بل لا بد أن تكون زراعته في أطيب أرض [4]، وقد نجحت زراعته في المناطق الجبلية أيضا[5]. وانتشرت في الأراضي السطحية بسبب اعتمادها على الأمطار.

وكانت الحنطة على أنواع وأشكال مختلفة فمنها المائل إلى الحمرة ومنها المائل إلى السمرة فضلاً عن الصفرة، وكان أجود أنواع الحنطة هو الذي يجمع ما بين لون الصفرة والحمرة باتفاق أهل الفلاحة[6].

أما عن زراعة الشعير فقد جاء بالمرتبة الثانية بعد الحنطة من حيث مساحته الزراعية [7]، وعرف عنه أنه لا يحتاج إلى التربة الجيدة كشرط أساسي بخلاف الحنطة، كما عرف عنه أنه يتحمل

---

(١) الثعالبي: عبد الملك بن محمد، **ثمار القلوب في المضاف المنسوب**، تحقيق محمد إبراهيم، مصر، القاهرة، دار النهضة للطباعة والنشر، ط١، ١٩٦٥م، ص٢٧٥

(٢) السعيدي :محمد عبد، **إنتاج المحاصيل الحقلية**، بغداد، مؤسسة المعاهد الفنية، ط١، د.ت، ص٢٠٦-٢٠٧.

(٣) المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، اعتنى به محمد هشام النعسان وعبد المجيد طعمه حلبي، ط١، بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص٥٥٥.

(٤) الجبوري: سعد رمضان، **الحبوب في العراق خلال العصر العباسي الأول**، بحث منشور في مجلة التربية والعلم، مج١٨، ع٤ ٢٠١١ م، ص١٦٩.

(٥) ابن وحشية: أبو بكر أحمد بن علي، **الفلاحة النبطية**، تحقيق توفيق فهد، دمشق، ط١، ١٩٩٥م، ج١، ص٤٨.

(٦) ابن وحشية: **الفلاحة النبطية**، ج١، ص٤١٩.

(٧) ابن سلام: أبو عبيد القاسم، **الأموال**، دراسة وتحقيق محمد عمارة، ط١، القاهرة -بيروت، دار الشروق، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ج ٤٧٢.

الظروف القاسية مثل انخفاض درجة الحرارة، وأنه يتحمل العطش [١]، لأن حاجته إلى الماء أقل من غيره من الحبوب، وعرف عنه أنه ينبت في الكثير من الأراضي سواء الرخوة أو المالحة أو الرقيقة أو الحامضة، والشعير أقل استخداماً من الحنطة في الغذاء [٢].

كما عرفت الأراضي العباسية بزراعة الأرز ودلل على ذلك بقول ابن خرداذبة [٣]، عندما ذكر أن العراق كانت تدفع جزءاً من خراجها من الأرز[٤]، فقد كان العراق ينتج أفضل أنواع الأرز المعروف بالتمّن، وقد بلغت شهرته الآفاق حتى يومنا هذا.

وعُرِّف الأرز بأنه ضرب من الحنطة شديد البياض ينبت في الماء، وإذا زرع بالاعتماد على السقي كان أجود ويزرع في القيعان الرطبة بعد أن يتم إصلاحها[٥].

وقد دخل الأرز في صناعة الخبز بشكل كبير، وقد جاءت زراعة الأرز من بلدان المشرق الإسلامي [٦]، فقد كان يزرع في المناطق الرطبة المغمورة بالمياه في فصل الشتاء[٧].

وعندما نأتي لذكر العدس فالجدير بالذكر أنه كان جزءاً مهماً من الغذاء في العصر العباسي فهو صنف من الحبوب التي كانت تزرع في فصل الشتاء[٨].

وللعدس قيمة غذائية عالية فيتميز بسهولة الهضم ويشترك مع الحنطة والشعير في وقت

---

(١) ابن وحشية: **الفلاحة النبطية**، ج١، ص٤٢١.

(٢) الجبوري: **الحبوب في العراق في العصر العباسي**، ص١٦٩.

(٣) ابن خرداذبه: أبو القاسم عبيد الله عبد الله ،**المسالك والممالك**، دار صادر ليدن، بيروت، ١٨٨٩م.

(٤) الدوري: عبد العزيز، **تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٥م، ص٨١.

(٥) النابلسي: عبدالغني النقشبندي ، **علم الملاحة في علم الفلاحة**، دمشق، مطبعة نهج الصواب، ط١، ١٢٩٩هـ، ص٧٢.

(٦) الجبوري: **الحبوب في العراق في العصر العباسي**، ص١٩٦.

(٧) الجبوري: الحبوب في العراق في العصر العباسي، ص١٦٩

(٨) الدوري: **تاريخ العراق الاقتصادي**، ص٨١.

حصاده، ولازمه أيضاً الحمص [1]، وكان الفلاحون يفضلون زراعته بقشوره لكي يكون أجود، ويقوم البعض قبل زراعته بنقعه في الماء لكي يكون كبير الحجم[2].

وقد ضمت أراضي الدولة العباسية الكثير من أنواع الحبوب، إضافة إلى ما ذكر لكن المصادر التاريخية لم تمدنا بمعلومات وافية عنها مثل الماش، والسمسم، وسوف تكتفي الباحثة بما سبق ذكره حيث إن سبل زراعة الحبوب آنذاك كانت متشابهة باختلاف الأقطار.

وزرع في العراق الأقحوان، والفستق، واللوز ، والموز ، والجوز، والحبة الخضراء، والسد، والبندق، والبلوط[3].

حرص الفلاح على اختيار الأرض الرطبة لزراعة القمح لأنه يمتص الرطوبة، ليقوم بتهيئة الأرض وحرثها[4]. ولجأ الفلاحون في عملية بذر الحبوب إلى تسميد الأرض بهدف زيادة الإنتاج الزراعي، وكانت عملية التسميد تتم باستخدام السماد الحيواني[5].

كما لجأ الفلاح إلى تبوير الأرض وذلك لزيادة خصوبتها وطريقته بأن تزرع قسماً بالشعير وقسماً بالحنطة ثم تترك بوراً (دون زراعة) في السنة التالية[6].

واهتم الفلاحون أيضاً بري المحاصيل الزراعية وسقيها لأنها عملية تحتاج إلى عناية فائقة، وتعتبر من الأمور المهمة لإنجاح زراعة الحبوب، وعلى الرغم من اهتمامهم وحرصهم على إنجاح الزراعة فإن المحاصيل كانت تتعرض إلى بعض الآفات والحشرات التي تفتك بها مثل الجراد [7].

---

(١) الجبوري: الحبوب، ص ١٩٧.

(٢) الجبوري: **الحبوب**، ١٩٨، الدوري: **تاريخ العراق الاقتصادي**، ص٨١.

(٣) الجبوري: المرجع السابق، ص ١٩٩.

(٤) النابلسي: **علم الملاحة في علم الفلاحة**، ص١٠٧.

(٥) الجبوري: **الحبوب**، ص ١٩٨.

(٦) ابن وحشية: **الفلاحة النبطية**، ج١، ص٤٥١.

(٧) الجبوري: **الحبوب**، ص١٩٧.

وتأتي بعدها عملية حصاد الحبوب فلم تكن هذه العملية من العمليات السهلة، فإذا يبست سنابل القمح والشعير كان الفلاحون يمتنعون عن التعرض لها ويبعدون البهائم عنها، وإذا يبس القمح واكتمل يحصد لأن تأخير حصاده قد يؤدي إلى خراب حبوبه وهلاكها [١]، ويحصد الشعير وهو رطب؛ لأنه إذا جف تدلت سنابله وتكسرت وسقطت، وكان يفضل الحصاد من بداية السَحَر وحتى ثلث النهار وإذا اشتد الحر تُرك الحصاد خوفا على الحبوب[٢]، وبعد ذلك يتم درس محصول الحبوب وتجميعه وتنقيته وتهيئته لاستخدامه.

وأخيراً عملية تخزين الغلال، فعند تخزين الشعير قيل: "وإن خلطت بالشعير جصا منخولا بقدر ما ترى بياضه فيه، أو دفنت جرة مملؤة خلا وسط الشعير سلم بذلك من الآفات".. ثم قال: "والفول إذا نضح بماء مر وترك حتى يجف ورفع سلم أيضاً إن شاء الله".ثم أشار إلى كيفية حفظ وتخزين الدقيق فقال: "وأما الدقيق فخذ عود السرو والدسم الأحمر (نوع من النبات) فقطعه صغارا والقه في الدقيق فانه يبقى ولا يتدود.. ودق ملحا وكمونا بنصفين واعجنهما بماء وحببه امثال البندق وجففه واجعله في الدقيق والشعير فلا يفسد"[٣]. إن شاء الله.

كما اهتموا بمكان التخزين ومواصفاته فذكر ابن وحشية وصفا لذلك فقال: "ينبغي أن يكون البيدر الذي يجعل فيه الحنطة والشعير، والموضع الذي يخزن فيه بعد نقلها من البيدر مواضع ريحه مضيئة يدخل إليها شعاع الشمس وقت تشرق، وكذلك ينبغي للموضع أن يكون به طاقات مفتوحة إلى ناحية المشرق أو إن كان مع ذلك كوا إلى ناحية مهب الشمال كان ذلك أجود وأحفظ للحب بل ينبغي أن يتوقى من ريح الجنوب على هاتين الحبتين؛ الحنطة والشعير، وأنها إذا دامت عليها وتمكنت منها أفسدتهما وأسرع في الفساد إليهما، وينبغي أن يكون في الحيطان

---

(١) ابن وحشية: **الفلاحة النبطية**، ج١، ص٤٥٢.

(٢) الدنيوري: أبو حنيفة أحمد بن داود، **النبات**، ليدن، مطبعة ابريل، ط١، ١٩٥٣م، ص١٤٤؛ ابن وحشية: **الفلاحة النبطية**، ج١، ص ٤٥٢.

(٣) الإشبيلي:ابن حجاج، **المقنع في الفلاحة**، ص١٩٣.

المحوطة على موضع خزن الحنطة والشعير وكبسهما كوا كثير صغار متفاوتة ليخرج منها بخار الحنطة والشعير، فإن هاتين الحبتين إذا كبستا في موضع حمي ذلك الموضع فحمي الحب مما يحتاج إلى منفس دائماً، فإذا كان لها تنفس بقيت الحبوب على حالها لم تتغير وإن اختنق بخارها في موضعها فسدت لشدة الماء وتعفنت فوقع فيها الفادح" [١].

ومما سبق يتضح لنا مدى ما يتمتع به الفلاح من خبرات ووسائل كثيرة من شأنها أن تحفظ المنتجات من التلف والضياع، وهو بدوره ينعكس على الإنتاج ووفرته، وعلى الزراعة بصفة عامة.

وكل مرحلة من تلك المراحل تقوم تحت إشراف المحتسب وسوف تذكر الباحثة طرق احتسابه في هذا المبحث، وهو كالتالي:

الاحتساب على أصحاب الحبوب.

كانت تجري عمليات بيع وشراء الحبوب أمام أنظار المحتسب وأعوانه الذين كانوا يراقبون عملية البيع والشراء بكل أمانة وصدق، فكان يأمر الدقاقين والطحانين[٢] بتنقية الغلة من التراب، وتنظيفها من الغبار قبل طحنها، ويراقب دقيق المحتسب عليهم، فإنهم يخلطون فيه من دقيق الشعير المنخول، أو دقيق الباقلاء والحمص وغير ذلك ليزيد الخبزة زهرة، فإن شك في أمرهم عليه أن يحلفهم ألّا يقوموا بعمل شيء من ذلك، وإذا وجد أحد فعل شيئا من ذلك أنكر عليه وأدبه [٣]. ويرى الشيزري "أن المصلحة تقتضي تخصيص حصة معينة من الطحين يقوم الطحانون يومياً بتسليمها إلى حوانيت الخبازين من أجل خبزها كي ينتظم تزويد الناس بالخبز"[٤].

(١) ابن وحشية: **كتاب الفلاحة**، ج٢، ص١٧-١٨.

(٢) طحان: من الفعل طحن، والطّحن: الدقيق. والطاحونة والطحانة التي تدور بالماء. والطحان الذي يلي الطحين، أي يقوم بطحنه، وحرفته الطّحانة، ابن سيدة، **المخصص**، ج٣، ص ١٤٣.

(٣) الشيزري: : نهاية الرتبة، ص٢١.

(٤) الشيزري: نهاية الرتبة، ص٢١

وأيضا يحلف المحتسب الخبازيين[1] والدقاقين باستخدام دقيق القمح لا الشعير وغيره ويأمرهم برش الماء عليه لزيادة البياض والجودة [2]. ولا يخلطون رديء الحنطة بجيدها، ولا قديمها بجديدها، فإنه تدليس على الناس، وإذا دعت الحاجة إلى غسل الغلة يجب تخفيفها جيداً، ثم تبُاع منفردة[3].

كما يجب على المحتسب منعهم من إلقاء ما يستخدم من الدقيق وغيره تحت أقدام المسلمين عند التنظيف، احتراما للطعام وتنزيها له [4]. ويحتسب على أصحاب الهريسة بأن يهتموا بنظافة القمح [5].

وكانت الباقلاء [6] تباع في بغداد بكثرة، وكانت قدور باعتها تظهر للعيان على أبواب حوانيتهم، وكان الفقراء من الناس يرسلون بصحونهم الفارغة إلى الباقلاني ليملأها، ومنهم من يكتفي بماء الباقلاء يبل به كسرات الخبز [7].

وكان يحتسب عليهم بأن ينهاهم عن بيع ما سوس من الباقلاء والحمص [8]، ويطلب منهم بيع الباقلاء مغسولة منقاة من الشوائب[9].

---

(١) حبز الخبز يصنعه والخباز والخبازه حرفة الخباز، والخباز الذي يخبز الخبز بالنار وهو الذي يبيع الخبز. الفيروز آبادي : **القاموس المحيط** ، ص٥١٠؛ الزبيدي: **تاج العروس**، ص٤٦٢ ؛ ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل،**المخصص**، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، بيروت، د.أ، د.ت، ج٤، ص١١٩.

(٢) الشيزري: نهاية الرتبة، ص٢٠.

(٣) الشيزري نهاية الرتبة، ص٢١.

(٤) الشيزري: نهاية الرتبة، ص٦١.

(٥) ابن الأخوة: معالم القربة، ص١٠٩.

(٦) البقالين جمع بقال وهو بائع البقول، الصنعاني، **تاريخ صنعاء**، ص ١٩٤.

(٧) الخطيب: **تاريخ بغداد**، ج٩، ص١٩١ / ص٤٠٨.

(٨) الشيزري نهاية الرتبة، ص١١٦ ؛ ابن بسام: نهاية الرتبة، ص٣٣.

(٩) الملاح: هاشم يحيى، **الحسبة في الحضارة الإسلامية**، القاهرة، منشورات المنظمة العربية للتنمية، ط١، ٢٠٠٧ م، ص٢١٨.

ويحتسب على الغرابليين [1] بأن يعرف عليهم رجلاً عارفاً بمهنتهم وطرق غشهم وسبله، وأن يكون ثقة، وأن يأمرهم بغسل الشعر قبل استخدامه وألا يستخدموا شعر الميتة[2].

ويعرف غشه بأن الشعر إذا وجد خشناً، ويتقصف بسرعة، فهو شعر ميتة، ويمنعون من استعمال الغرابيل إلا في الجهة غير المصبوغة، وألّا تعمل الغرابيل إلا من جلود البهائم المذبوحة ويجب عليهم تنظيفها وغسلها جيداً [3]، وأضاف الماوردي: وأن تكون طارة الغربال قوية عالية الجودة ويابسة، فإذا صنعت طرية أرخت الغربال وفسخ جلده، وفسدت الحاجة لاستخدامه، فيراقب المحتسب كل ذلك[4].

ويأمرهم أيضاً بالرفق والرأفة في الدواب التي يستخدمونها في مهنتهم، وأن يريحوها في كل يوم لحاجتها إلى الراحة والسكون [5].

وكان المحتسب لا يتدخل وقت الرخاء بما يشتريه التجار من القمح والغلال لوفرته للجميع، فيشتري كل منهم قدر ما يريد، ولكنه في أوقات الأزمات كان يتولى بنفسه توزيع كميات الغلال بين التجار[6]، مما يقتضي أن يسيطر على جميع كميات الغلال الداخلة للمدينة لتوزع بالتساوي بين الخبازين والتجار حسب حاجة كل حي، وليعرف مراكز احتكار الغلال[7]، ومحاربة المحتكرين

---

(١) غربل: غربل الشيء: نخله. والغربال: ما غربل به معروف، غربلت الدقيق وغيره، وغربل الحب أي نقاه بالغربال من الشوائب، ابن منظور: **لسان العرب**، مادة غربل، ج١١، ص٤٩١.

(٢) الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، **الرتبة في طلب الحسبة**، تحقيق: أحمد جابر بدران، القاهرة، دار الرسالة، ط١، ٢٠٠٢م/١٤٢٣هـ، ص٣٦٣؛ ابن الاخوة: معالم القربة، ص٣٣٤.

(٣) الماوردي: الرتبة في طلب الحسبة، ص٣٦٣ ؛ ابن الاخوة: **معالم القربة**، ص٣٣٤.

(٤) الماوردي: الرتبة في طلب الحسبة، ص٣٦٣.

(٥) ابن الأخوة: **معالم القربة**، ص١٥٢ ؛ ابن بسام: نهاية الرتبة، ص٦٠.

(٦) المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر ، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج٦، ص٤٠٥.

(٧) التتر، عبد الرحمن نصر هاشم، **ولاية الحسبة في العهد العباسي ودورها في حفظ الحياة الاقتصادية والحياة العامة**، رسالة ماجستير، جامعة الإسلامية بغزة، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ص١١٥.

فإن رأى أحداً يحتكر صنفاً من سائر الأقوات، سبق وأن اشتراه وقت الرخاء ليحتكره وقت الغلاء ألزمه ببيعه إجبارياً، لأن الاحتكار حرام [١]، لما في ذلك من ضرر على العامة، ومثالاً على ذلك، أمر المحتسب بضرب عدد من الطحانين بالسوط لاحتكارهم الدقيق، وشهروا من أجل ازدحام الناس على الخبز، فكان لا يباع إلا مبلولاً.[٢]

وقد ذكرت لنا كتب التاريخ العديد من الحوادث التي نتجت عن نقص الدقيق والخبز عن الناس وما آل إليه الأمر من الفساد بسبب تعطيل حوانيت الخبازين، فذكر أن بعض أصحاب النفوذ في مصر قد احتكروا الدقيق فشحّ الخبز وتزاحم الناس للشراء حتى نهبوا الأفران وارتفع سعر القمح[٣] وغيرها من الأحداث والتي انتهى بعضها بإراقة دماء المحتسب نفسه لاشتراكه في الاحتكار [٤]. وأيضا عندما احتكر خباز أحد السلاطين الدقيق، فقلّ على الناس، وتوقف الخبازون عن العمل فضجت العامة حتى وصل الأمر للسلطان، فاستدعى الخبازين واستمع إليهم، فكانت النتيجة إعدام الخباز تحت أقدام الفيلة [٥].

وينبغي على المحتسب ضرورة مراقبة المكاييل والأوزان التي يستخدمها أصحاب الحبوب لمنعهم من الغش[٦]. ويحلفهم ألّا يخونوا أحداً في قمحه ولا في دقيقه [٧].

---

(١) حسان علي حلاق، **الإدارة المحلية الإسلامية**، ط١، بيروت، دار الراتب الجامعية، (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م)، ص ٢٥.

(٢) المقريزي: أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي العبيدي، **إغاثة الأمة بكشف الغمة**. تحقيق: كرم حلمي فرحات. دار النشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧، ص٤٣.

(٣) العسقلاني: ابن حجر شهاب الدين أحمد بن علي، **إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ**، ط ٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ج٧، ص١٨٥.

(٤) ابن طولون: شمس الدين محمد ،**مفاكهة الخلان في حوادث الأزمان تاريخ مصر والشام**، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة ، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م، ص ٦٢ –ص٧١.

(٥) نظام الملك : الحسن بن علي الطوسي ، **سياسة نامة أو سير الملوك**، قطر، دار الثقافة، ط٢، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م، ص٨٢.

(٦) ابن الأخوة: **معالم القربة**، ص١٥٢-١٥٣ ؛ ابن بسام: نهاية الرتبة، ص٥٩-٦٠.

(٧) ابن بسام : نهاية الرتبة، ص٥٩.

وكان ينبغي للمحتسب أن يتفقد عيار الصنج والحبات وغير ذلك على حين غفلة من أصحابها، فإن منهم من يأخذ حبات الشعير والحنطة فينقعها في بعض الأدهان المعروفة، ثم يغرس فيها رؤوس الإبر، ثم يجففها في الظل، فتعود إلى سيرتها الأولى، ولا يظهر فيها شيء من ذلك [١].

كما كان لا يجوز للمحتسب أن يسعر على الناس الأقوات ولا غيرها في رخص أو غلاء.[٢]

كما يحتسب عليهم تحريم الربا في الحبوب، لحديث عبادة بن الصامت رضي الله فقد قال: "سمعت رسول االله صلى الله عليه وسلم ينهى عن بيع الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، إلا سواء بسواء، عيناً بعين، فمن زاد أو ازداد، فقد أربى" [٣].

والغالب أن كتب الحسبة اكتفت بذكر الخبز والدقيق تخصيصاً والباقي تعميماً، للأهمية التي ذكرناها للمحتسب تجاه البلاد، والحاجة التي لا يمكن استبدالها بغيرها.

(١) ابن بسام : نهاية الرتبة، ص١٩-٢٠.

(٢) الماوردي: الاحكام السلطانية، ص ٢٥٦.

(٣) مسلم: **الصحيح** ،باب الصرف، وبيع الذهب بالورق نقداً، رقم الحديث ٤١٤٥.



المبحث الثالث:

الحسبة على أصحاب الفاكهة (الفكهانين)، والحسبة على أصحاب الخضار (الخضريين).

المبحث الثالث: الحسبة على أصحاب الفاكهة (الفاكهانيين) وعلى أصحاب الخضار (الخضريين):

تعد الفواكه والثمار من الأشياء المحببة إلى النفس البشرية على اختلاف أنواعها حسب درجة حلاوتها وقيمتها الغذائية، ورغم قلة الإشارة إليها في المصادر التاريخية أو قلة الاهتمام بها، فإنه يرجح أن تكون زراعتها منتشرة في أكثر مناطق بلاد الشام والحجاز، حيث وردت بعض الأقوال لأماكن زراعتها، مثل: قول ابن مالك : "كل شيء انبته الفاس في الحرم مثل النخل والرمان والفاكهة والبصل كله مثل الكرات والخس والسلق وما أشبه فلا بأس بقطع ذلك" [1]، وذكر الأزرقي أن هناك سوقا في الحجاز تباع فيها الفواكه بكل أنواعها مثل التفاح والعنب والموز والبرتقال، وأغلبها كانت محلية من الطائف [2] أو جُلبت من بلاد الشام [3] وأيضاً وجدت أسواق في المدينة [4]، واشتهرت الطائف بزراعة بإنتاج الفواكه كالرمان، والعنب، والزبيب، وتصدرها إلى أسواق المناطق القريبة منها خاصة مكة [5]، وذكرت أيضاً أسواق في اليمن تختص ببيع الفواكه المتنوعة، كالموز والعنب والمشمش والكمثرى والتفاح والرمان والتين والسفرجل وغيرها من الفواكه اليمنية التي كانت تزرع في مزارع اليمن [6] وامتاز عنب اليمن بطعمه اللذيذ، وكبر حجمه، وتعدد

---

(١) الأصبحي: مالك أنس بن مالك بن عامر ، **المدونة**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، مج١، ص٤٥١.

(٢) الازرقي: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد ، **أخبار مكة** ،تحقيق رشدي الصالح ملحس ،دار الأندلس للنشر، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ، ج٢، ص٨٦٦ ؛ الفاكهي :محمد بن إسحاق بن العباس أبو عبد الله ، **أخبار مكة**، تحقيق عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر، بيروت، ط ٢، ١٤١٤ هـ، ج٣، ص٤٧٥.

(٣) اليعقوبي: **البلدان**، ج٢، ص١٨١.

(٤) السمهودي: **وفاء الوفاء**، ج٢، ص٢٣٨.

(٥) الاصطخري: **المسالك والممالك**، ص٢٦ ؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٩.

(٦) ابن رسته: أبو علي أحمد بن عمر، **الأعلاق النفيسة** ، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت، ص١٣٢-١٣٣؛ الصنعاني، **تاريخ صنعاء**، ص١٨٠-١٨٢-١٨٧-١٩٤.

أنواعه [1].

وزرع الفلاح العباسي العديد من الأشجار المثمرة التي جادت بمحاصيل لا مثيل لها والتي عرفت بجودتها، وسوف نذكر بعضاً من هذه الأشجار.

الزيتون: تطورت الزراعة عامة، وزراعة الفاكهة خاصة في كل أرجاء دولة الإسلام، وبما أن الحديث عن المشرق الإسلامي فقد تطورت زراعة الفاكهة في المشرق إلى حد بعيد وبنظرة سريعة على كتاب العسجد المسبوك[2]، وكتاب الفلاحة النبطية[3]، وأمثالها في الزراعة نلاحظ أسس الزراعة الحديثة لأنواع الفاكهة والخضار، إنما كانت شبه متكاملة في عصور الإسلام، ولقد كانت حتى أنواع الفاكهة المجففة تصدر إلى أوربا من الشرق، وتذكر المصادر الزراعية الإسلامية كيف كانت عملية تغسيل الأشجار حتى وجدناهم يذكرون أربعة أنواع من الفاكهة في شجرة واحدة[4].

وتشير كتب البلدانين المسلمين عن سواد العراق وبلاد الشام وحوض النيل، وأنهار وأودية خراسان والمشرق عامة عن أنواع العشرات من الفاكهة التي كانت تملأ الأسواق، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الفاكهة المعروفة في بلاد العرب من النخيل والزيتون والتين والأعناب بشجرة مباركة ورد ذكرها بالقران الكريم: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ ﴾ [5]، وفي الكتب التاريخية القديمة، فيذكر أن شجرة الزيتون انتقلت زراعتها من فلسطين إلى مصر خلال العصر الفرعوني [6]، وجاء الاهتمام بزراعة الزيتون لقيمتها الاقتصادية من خلال الإنتاج الوفير لها، ولما للزيتون، وزيته من

---

(١) ابن رسته: الاعلاق النفيسة، ص١٣٢.

(٢) الغساني: الملك الأشرف، **العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك** ، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم، دار البيان، بغداد، العراق، عام ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

(٣) ابن وحشية، أبو بكر أحمد بن علي: **الفلاحة النبطية**، تحقيق: توفيق فهد، دمشق، ط١، ١٩٩٥م.

(٤) الغساني: **العسجد المسبوك**، الورقة ٢٢ ب.

(٥) سورة التين.ايه ١-٢.

(٦) الطاهر: علي نصوح، **شجرة الزيتون تاريخها وزراعتها وأمراضها وصناعتها**، مطبعة الأردن، عمان، ١٩٤٧م ، ص٣-٤.

فوائد طبية جمة [1].

واشتهرت زراعة الزيتون في غالبية جنوب بلاد الشام، في السهول، والجبال، فمعظم سهول وجبال فلسطين مزروعة بشجر الزيتون [2]، ومما اشتهرت به أشجار الزيتون في جنوب الشام بأن غالبيته مغروس منذ زمن بعيد، ونسبه البعض إلى الرومانية[3]، فأشجار الزيتون تعتبر من الأشجار المعمرة.

وكذلك العنب فقد جاء الاعتناء بأشجار العنب منذ القدم باعتبارها مصدراً لصناعة الخمور، وما زالت هذه الزراعة في ازدهار نتيجة لاستثمارها، فلا يوجد بيت إلا وزرعت فيه –على الأقل– شجرة عنب واحدة، وعرفت زراعة العنب أيضاً في الطائف [4] وزرعت أيضاً في جميع أنحاء بلاد اليمن [5].

التين: تعد زراعة التين من أقدم الزراعات المعروفة في العصر العباسي، فقد ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى: {وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ} [6]، فقد عرفت زراعة التين في بلاد الشام، وشواطئ البحر المتوسط[7]. ووجدت زراعته في جبال وسهول فلسطين [8]، وفي

---

(١) ابن سيناء: أبو علي الحسين بن عبد الله بن علي بن سينا ،**القانون في الطب**، شرح وترتيب جبران جبور، قدم له خليل أبو خليل، تعليق أحمد شوكت الشطي، ط١، بيروت، مكتبة المعارف، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ٩٢.

(٢) الاصطخري، **المسالك والممالك**، ص ٤٤ ؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٣، ص٣٦٣.

(٣) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص ١٥٤.

(٤) الأزرقي: **أخبار مكة**، ج٢، ص ٨٦٦ ؛ الفاكهي : ج٣، ص١٠٠.

(٥) ابن رسته: **الاعلاق النفيسة**، ص ١٣٢ ؛ الصنعاني: **تاريخ صنعاء**، ص ١٨٠– ١٨٢، ص١٨٧، ص١٤٩ ؛ ابن المجاور: **صفة بلاد اليمن**: ص٨٧.

(٦) سورة التين.

(٧) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص ٢١، ١٥١ ؛ ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج٥، ص٤٢٨.

(٨) الاصطخري: **المسالك والممالك**، ص ٤٤.

الطائف[1]، وفي بلاد اليمن [2]. وكثرت الأسواق في مدن المشرق الإسلامي في كل مدينة، وقرية، وبلدة، وكوره، كانت مليئة بأنواع الفاكهة والثمار، هذا بالإضافة إلى الباعة الجوالين المنتشرين في الأزقة والأنحاء.

وقد قامت في بغداد سوق خاصة يتجمع فيها التمارون الذين يتجرون بالتمر، وقد أصيبت التمور بكارثة سنة ٣٧٢هـ حتى اضطر التمارون إلى الاستلاف [3]. ويبدو أن سوق التمارين كانت رائجة، حتى فرضت عليها الضرائب[4]. وربما كان بعضهم ميسوراً، فقد خصص أحد التمارين لأعمى ٥ دراهم شهرياً، إلا أن كثيرون منهم كانوا من ذوي البيوع الصغيرة، يحمل الواحد منهم تمره ويتجول في الشوارع منادياً، ومنهم من يجلس في الشارع يبيع تمره وقد وضعه على منسف[5]. وقد تمكن التمارون من أن يتكتلوا لحماية مهنتهم وتمورهم. فتحدث التنوخي عن شيخ التمارين [6] "وقد انتفضوا على الجند الديلم وعلى متضمن رسوم الزوارق التي تحمل التمور من بغداد وإليها، ولحقوا بالمتضمن وقتلوه وأخذوا رأسه ونصبوه في سوقهم" [7]، مما يعني أن مهنتهم كانت تتعرض لرسوم عالية.

واهتم المزارعون بحفظ المنتجات الزراعية وادخارها، واتخذوا في ذلك أساليب مختلفة

---

(١) ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج٣، ص٢٦٧.

(٢) ابن رسته: **الاعلاق النفيسة**، ص ١٣٢ ؛ الصنعاني: **تاريخ صنعاء**، ص ١٨٠- ١٨٢، ص١٨٧، ص١٤٩ ؛ ابن المجاور: **صفة بلاد اليمن**: ص٨٧.

(٣) أبو شجاع: **ذيل مسكويه**، ج٣، ص٦٧.

(٤) الصولي: أبو بكر محمد يحيى ،**أخبار الراضي بالله والمتقي لله**، تحقيق: ج هيورث دن، مصر، مطبعة الصاوي، د.ط، ١٩٣٥ م، ص٢٢٩.

(٥) التنوخي: المحسن بن علي، **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، تحقيق: عبود الشالجي، د.م، د.أ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ج٢، ص٥٩، ج٣، ص٦٠ ؛ الحموي: ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، **معجم الأدباء**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج٣، ص٣٠٤.

(٦) التنوخي: **نشوار المحاضرة**، ج٣، ص٦٠.

(٧) الصولي: **اخبار الراضي**، ص٢٠٦.

ومتنوعة، وذُكر: "أما ادخار الفواكه الرطبة واليابسة، نحو العنب والزبيب والمشمش فذلك في المواضع الباردة الريح النظيفة ولا يقرب الفواكه شيء من حب السفرجل، ولا يخزن معه فإنه يضر بالرطبة"[(١)].

وتعد الخضراوات من النباتات ذات القيمة الغذائية للإنسان والمفضلة لديه أيضاً حسب اختلافها، وقد زرعت الخضراوات بأنواعها في الأراضي العباسية، والمشرق الإسلامي مثل: البصل، والثوم، والكراث، والكرنب[(٢)]، والملوخية، واللفت، والفجل، والباذنجان، والخيار، والقثاء، والباميا، والقرع، والكوسا، واللوبياء، وغيرها من الخضراوات[(٣)]،. وهي من الزراعات التي تحتاج إلى توفر الماء والتربة الجيدة، وأن تكون فترات الري متناسبة دون زيادة أو نقصان، فلا تصلح في المناطق قليلة الماء باستثناء بعضها، وقد تفسدها الأمطار الكثيرة والغزيرة. [(٤)].

أما زراعة أنواع الخضراوات كالبازلاء والقرع، فتنتشر في أغلب أراضي العراق[(٥)]. وتزرع الباقلاء في مناطق سقي الفرات كالأنبار حيث تحتاج إلى أمطار كثيرة لنموها[(٦)]، ونبت في حقول بغداد القثاء والخيار والكمأة بأنواعها العديدة [(٧)].

وقد أشارت كتب البلدان والأدب والأدوية إلى انتشار كل هذه الخضار في أرجاء المشرق

---

(١) النابلسي: **علم الملاحة في علم الفلاحة**، ص١٩٣.

(٢) الكرنب: البقلة، السلق، أو نوع منه أحلى وأغض من القنبيط، والبري منه مر. ابن منظور: لسان العرب، ج١٣، ص ٥٧؛ الأزهري: تهذيب اللغة، ص ٢٣٧؛ الفيروزآبادي: **القاموس المحيط**، ص ١٣٠.

(٣) الدينوري: عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، **عيون الاخبار**، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، ١٤١٨هـ، ج٣، ص٢٨١، ١٩٦-١٩٧ ؛ المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص٧٧ – ٧٩ وص١٥٢ ؛ ناصر خسرو: **سفرنامة**، ص٧٦.؛ البيطار: امينة، **الحياة الاقتصادية في بلاد الشام (١٣٢-٣٥٩هـ/٤٧٩-٩٦٩م)** مجلة الدراسات التاريخية، ع٣، كانون اول، ١٩٨٠، ، ص١٣٥.

(٤) التنوخي: المحسن بن علي ، **الفرج بعد الشدة**، تحقيق عبود الشالجي، بيروت، دار صادر، د.ط، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ج٢، ص٣٨٤-٣٨٥.

(٥) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص١٠٩.

(٦) ابن وحشية: **الفلاحة**، ج١، ص٤٩٤.

(٧) ابن الفقيه: **البلدان**، ص ١٠٣.

الإسلامي يقول القلقشندي عن بلاد الشام: "وبه من أنواع البطيخ والقثاء ما يستطاب ويستحسن، وكذلك غيرها من المزروعات كالقلقاس والملوخية والباذنجان واللفت والجزر والهليون والقنبيط والرجلة والبقلة اليمانية، وغير ذلك من أنواع الخضراوات المأكولة "[1].

وذكر المقدسي وجود زراعة الخضر في الحجاز في كثير من المواضع في كتابه أحسن التقاسيم، مثل قوله: "عرفة قرية فيها مزارع وخضر ومطابخ"[2]، كما ذكر زراعة البطيخ والقثاء في مكة [3]، ويستنتج من رواية الإمام مالك التي ذكرت في مبحث الفواكه أن البقول والخضراوات كانت تزرع أيضاً في مكة، ويقول ابن المجاور أثناء حديثه عن مكة" ويطلع بها من جميع الخضر، مثل البطيخ والخيار والقثاء والباذنجان والكرات.."[4]، وقد وجدت سوق مخصصة لسوق الخضار في الحجاز والتي كانت تجلب من مزارعها، كالخس والجزر والفجل والكراث والبصل [5]، والقرع والخيار والقثاء والباذنجان [6]، وغيرها، وذكر وجود سوق للخضار في مدن اليمن [7]، وذكرنا ذلك على سبيل المثال وإلا فإن مدن المشرق الإسلامي وكوره وفراه، كانت توجد فيها كل أنواع الخضار التي عرفها المسلمين لا سيما الأطباء الذين يدركون فوائدها ويفضلونها على الدواء، فقد أشار فضلاء منهم إلى دورها وأهميتها في المعالجة قبل الدواء.

أما عن طرق زراعتها وفنون ذلك فقد امتلأت كتب الزراعة في المشرق الإسلامي في فصول وأبواب عن فن زراعتها، وسقيها، ومراعاتها في الفصول واختبار أفضل الأراضي لزرعها ثم حصادها، فقد كان هناك من المزارعين وأصحاب الأملاك من يمتلك المزارع التي يعمل فيها الرقيق،

---

(١) القلقشندي: **صبح الأعشى**، ج٤، ص ٨٧.

(٢) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص٧٧.

(٣) ابن حوقل: **صورة الارض**، ص٣٢.

(٤) ابن المجاور، يوسف بن يعقوب: **صفة بلاد اليمن**، ليدن، د.ط، ١٩٥١م، ص٩.

(٥) ابن المجاور: **صفة بلاد اليمن**، ص ٩؛ القلقشندي: **صبح الأعشى**، ج٤، ص٢٥٤.

(٦) ابن المجاور: **صفة بلاد اليمن**، ص٩.

(٧) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص ٨٧-٨٩-١٧٨؛ ابن رسته: **الأعلاق النفيسة**، ص١٣٥.

فتذكر بعض المصادر أن بالحجاز مزارع كثيرة يعمل بها الرقيق [1].

بعض الخضراوات تختلف من ثمرة لأخرى، فمنها ما ينبت دون حاجة إلى زراعته ويعتمد على مياه الأمطار مثل القثائيات مثل الخيار [2].

ولاشك أن زراعة الخضار وحصدها وبيعها ولصناعات القائمة عليها كانت تقوم تحت نظر المحتسب وأعوانه، فقد أشارت المصادر التاريخية وكتب الحسبة إلى أن أسواق المدن في المشرق الإسلامي كثرت فيها الفاكهة والخضار، والثابت أن عملية زراعتها وحصادها ثم بيعها في الأسواق لم تكن تتم كيفما اتفق، بل كان في المسألة نظر ومراقبة ومساءلة، فلم يكن يسمح للمزارعين بسقي مزروعاتهم إلا بالمياه النظيفة تماماً كمياه الأنهار أو العيون أو الآبار، أو تلك الزراعات التي تعتمد على المطر، وكما هو معروف لدى الأطباء بضرورة نظافة الخضار –لا سيما الورقية منها– فلا بد أن تكون زراعتها بمياه طاهرة ونظيفة، فقد أشار ابن جميع إلى أطعمة الاسكندرية وذكر من ذلك خضارهم [3].

الحسبة عليهم :

وكان أصحاب الفاكهة هؤلاء يلتزمون غالباً بآداب التجارة، حيث تقوم أنظمة الحسبة والمحتسب بمنعهم عن بيع ما دوَّد من البطيخ والقثاء والتين والرطب، وما قد زاد في نضجه حتى تلف قشره، وينهاهم عن بيع كل ما سوَّس، مثل الباقلائيين، وعن خلط محصول الامي بمحصول اليوم، ويأمرهم بنثر الملح المسحوق، ليدفع مضاره[4].

---

(١) ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص٣٠؛ الإدريسي: محمد بن إدريس الحسيني الشريف،**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٢هـ /٢٠٠٢م، ص٢٠.

(٢) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص١٤٠.

(٣) ابن جميع: أبو العشائر هبة الله بن زين بن حسين بن جميع، **طبع الإسكندرية**، تحقيق: مريزن عسيري – سعد البشري، معهد البحوث بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٧هـ /١٩٩٧م، ص١٦.

(٤) الشيزري نهاية الرتبة، ص١١٦ ؛ ابن بسام: نهاية الرتبة، ص٣٣.

وكان عليه أن يلزم تجار البطيخ والتبن والبلاط والكبريت وغيرها من التجارات الثقيلة بإنزال الأحمال عن الحيوانات عند توقفها، وعدم المتاجرة على ظهورها لأن البهائم تتضرر بحمل الاثقال وهي واقفة (١)، لأن النبي ﷺ نهى عن تعذيب الحيوان لغير مأكله (٢). ويمنع المحتسب الفكهانين من إلقاء النفايات وبواقي المبيعات كقشور البطيخ (٣).

وينبغي على المحتسب مراقبة أصحاب المخللات "فإنها كثيرة التغيير والاستحالة، فيخرجونها ويستحلون بيعها، فإن وجد منها شيء عتيق أو تغيير رمي على المزابل" (٤). وعلى المحتسب أن يراقب أوعيتهم "التي عندهم من الأوساخ والتهاون بتركها مكشوفة، ولا يمكنون من ذلك" (٥). كما يجب عليه مراقبة دكاكين أصحاب الخضار فيأمرهم ببيع البقول مغسولة، منقاة من الحشيش، والطاقات المصفرة، ويأمرهم بقطع أصول الخس والفجل، وينهاهم عن غسل البصل والثوم الرطبين، فإن الماء يزيدهم زفرة ونتونة وإذا بات في دكاكينهم شيء من ذلك فلا يخلطونه بالطري المحصول في اليوم التالي، وكان يحتسب على أهل الفاكهة والخضار في نواع ما يقدمونه للناس من بضائع، وكانوا ينهون عن الغش وبيع التالف منها، وأواني حمل بضاعتهم وضرورة نظافتها، ومداومة رشها بالماء لدى أصحاب الدكاكين من الخضريين حتى تبقى طيبة نضرة (٦).

---

(١) الشيزري: نهاية الرتبة، ص ١١ ؛ ابن الاخوة: معالم القربة، ص٩٣.

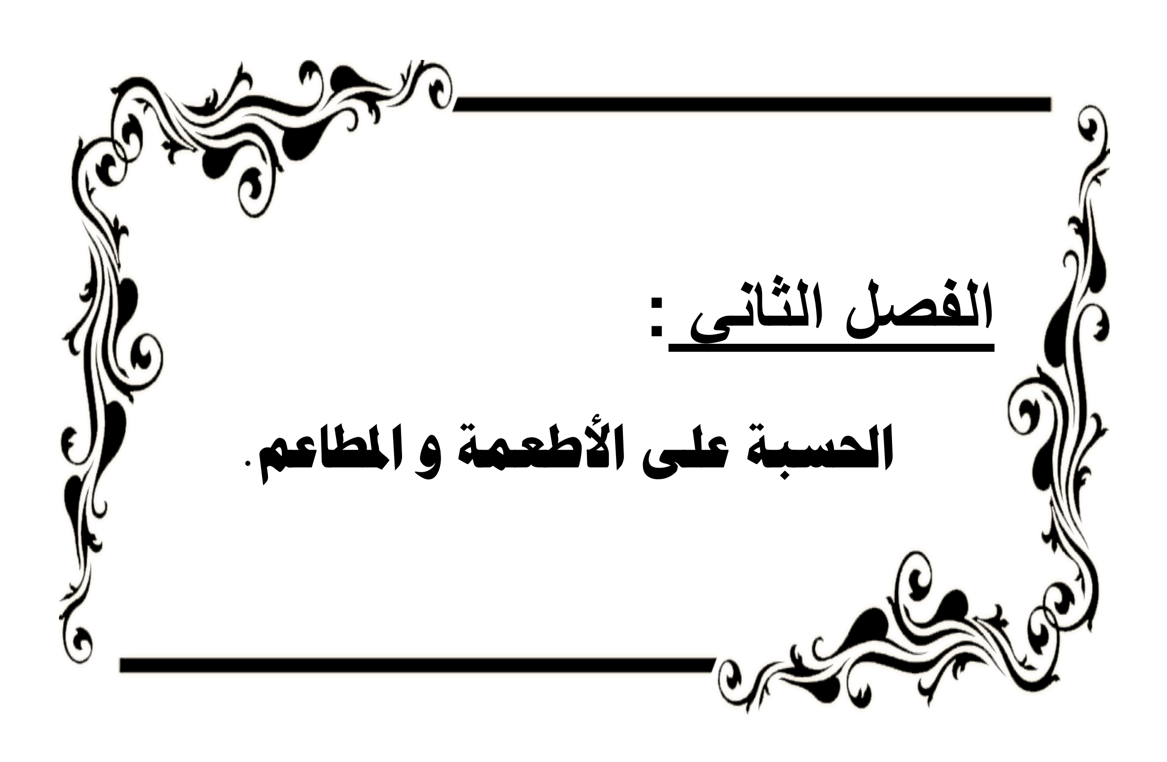
(٢) الدميري: محمد بن موسى بن عيسى بن علي ، **حياة الحيوان الكبرى**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٤هـ، ج٢، ص٤٩٣.

(٣) ابن الاخوة: **معالم القربة**، ص٩١.

(٤) ابن بسام: نهاية الرتبة، ص٣١.

(٥) ابن بسام: نهاية الرتبة، ص ٣٢.

(٦) ابن بسام: نهاية الرتبة، ص٣٢ ؛ الملاح: **الحسبة في الحضارة الإسلامية**، ص١١٨.



الفصل الثاني :

الحسبة على الأطعمة و المطاعم.

الفصل الثاني: الحسبة على الأطعمة والمطاعم:

كانت المهن والحرف وما زالت ميزان تقدم الأمة، والمهارة في إتقانه مقياس الحضارة، والوفاء بالعمل هو أساس الإصلاح الاجتماعي، وقد تعرض القرآن الكريم إلى المهنة والعمل بالكثير من الآيات ومنها: قوله تعالى: {قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم}(١)، وقوله سبحانه: {إن خير من استأجرت القوي الأمين}(٢)، وعد الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- العمل خير الكسب بقوله: "ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده"(٣).

وقد أولت كتب الحسبة عناية كبيرة بالحديث عن الحسبة على الحرف والصنائع الغذائية وذلك بسبب صلتها الوثيقة بحياة الناس المعيشية، فهي من الضروريات لعامة الناس التي لا يمكن الاستغناء عنها، فقد تحدث عنها الشيزري وفصلها في أبواب وهي الحسبة على الحبوبيين والدقاقين، والحسبة على الخبازين، والحسبة على الفرانين، والحسبة على صناع الزلابية، والحسبة على الجزارين والقصابين، والحسبة على الشوائين، والحسبة على الرواسين، والحسبة على قلائي السمك، والحسبة على الطباخين، والحسبة على الهرائسيين، والحسبة على النقائقيين، والحسبة على الحلوانيين، والحسبة على الشرابيين، والحسبة على السمانين (٤). وقد أضاف ابن الاخوة إلى هذه الأبواب والحسبة على الكبوديين، والحسبة على البواردیين، والحسبة على اللبانيين (٥). وأضاف ابن بسام أيضاً الحسبة على الباقلانيين، والحسبة على طباخي الولائم، والحسبة على معاصر الزيت (٦).

ومن خلال هذا السرد سوف نتحدث عن الحسبة على بعض هذه الصنائع ودور المحتسب في الرقابة عليها..

---

(١) سورة يوسف آية ٥٥.

(٢) سورة القصص آية ٢٦.

(٣) البخاري: محمد بن إسماعيل ،**صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر)**، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ط٣، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، رقم الحديث (١٩٦٦)، ج٢، ص٧٣٠.

(٤) الشيزري: **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، ص٤.

(٥) ابن الاخوة: **معالم القربة في أحكام الحسبة**، ص ٤٧- ص ٤٨.

(٦) ابن بسام: **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، ص٤ — ص٨.



المبحث الأول:

الحسبة على الخبازين.

المبحث الاول : الحسبة على الخبازين[1]

تأتي حرفة الخبازين في مقدمة الحرف المهمة التي يحتاج إليها الناس ومن ضروريات يومهم. وقبل أن نورد الحسبة عليها نتطرق لصناعة الخبز وأنواعه.

ويمثل الخبز جانباً حيوياً ورئيساً في غذاء الإنسان، على مر العصور والأزمان، ولا يزال يتمتع بنسبة كبيرة من هذه الأهمية إلى اليوم، وقد صور أبو الشمقمق[2] أهمية الخبز في أبيات كتبها يشكي فيها حال أبنائه وحاله من الفقر:

ما جمع الناسُ لدنياهمُ ... أنفع في البيت من الخُبز

والخبز باللحم إذا نلته ... فأنت في أمن من الترز

وقد دنا الفطر وصبياننا ... ليسوا بذي تمر ولا أرز

كانت لهم عنز فأودى بها ... وأجدبوا من لبن العنز

فلو رأوا خُبزاً على شاهق ... لأسرعوا للخبز بالجمز

ولو أطاقوا القفز ما فاتهم ... وكيف للجائع بالقفز [3]

وتشمل عملية صنع الخبز عدة مراحل تبدأ من غربلة الحبوب وطحنها ونخل الدقيق وعجنه وخبزه وبيعه بشرط أن يكون الخبز صحيح الوزن معلوم السعر [4].

---

(١) من الفعل خبز، وخبزه خبزاً، واختبزه: عمله .ابن سيده: علي بن إسماعيل أبو الحسن، **المحكم والمحيط الاعظم**، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ج٢، ص٣٠٧. والخباز الذي مهنته ذلك وحرفته الخبازة .ابن سيده: **المخصص**، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، ج١، ص٣٨٠؛ ابن سيده: **المحكم والمحيط الأعظم**، ج٢، ص٣٠٧.

(٢) مروان بن محمد بصري المنشأ والمربى، خرساني الأصل، من موالي الأمويين ومعنى الشمقمق الطويل، ويقال كان قبيح المنظر، ضيف: شوقي ، **تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الاول)**، ج٣، القاهرة، دار المعارف، ط٨، ص٤٣٦

(٣) شوقي ضيف: **تاريخ الأدب العربي**، ج٣، ص٤٣٩.

(٤) ابن عبدون: **الحسبة المذهبية** ص٤٨.

وقد كانت الحبوب تطحن بشكل جيد قبل أن تخبز في التنور أو الصاج من قبل النساء.

ويصنع الخبز بأشكال مختلفة ومن مواد مختلفة وأكثر ما كان يصنع قديماً من الحنطة والشعير والأرز (١)، ومنه الحوارى وهو خبز الرقاق (٢)، وخبز الخشكار (٣).

ويصنع من القمح ما يسمى الكشك والذي يصنع من القمح الصلب (٤).

وقد دخل الخبز ضمن وجبات الطعام اليومية ولا يمكن لأحد الاستغناء عنه سواء كان غنياً أم فقيراً (٥)، وكان يصنع في البيوت، أو يصنع في السوق في دكاكين خاصة ويباع بها.(٦)

وكان للخبز آداب منها أن يقدم على المائدة قبل الأدم، والشروع في أكله دون انتظار غيره من الأُدم (٧)، وإكثار الخبز على الموائد.

فقد ذكر الجاحظ أن "الناس كانوا يبخّلون من قلّ عدد خبزه، ورأوا أرض خوانه"(٨).

وقد اختلفت أسعاره من مدينة إلى أخرى ومن وقت إلى آخر (٩)، ويبدو أن هناك أنواعاً من الخبز يأكلها الزهاد والفقراء كخبز الحنطة (١٠) وخبز الشعير، بينما يأكل الأغنياء خبز

---

(١) زيات: حبيب، **خبز الأرز**، الخزانة الشرقية، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٧ م، ج٢، ص١١٩.

(٢) ابن منظور: **لسان العرب**، ج١، ص٧٥١.

(٣) الجاحظ: **البخلاء** ،ص٥٣٠.

(٤) الجبوري، سعد رمضان محمد: **الحبوب في العراق خلال العصر العباسي الأول**، مجلة التربية والعلم، مج ١٨، ع ٤، ٢٠١١.ص٢٠٣.

(٥) الاطرقجي: رمزية ، **الحياة الاجتماعية في بغداد منذ نشأتها حتى نهاية العصر العباسي الأول**، ط١، ١٩٨٢م، بغداد، مطبعة جامعة بغداد ، ص ٢٥٩.

(٦) ابن الجوزي: **المنتظم**، ج٨، ص٢٤١.

(٧) زيات :**الخبز**..ص٢٤

(٨) الجاحظ: البخلاء، ج٤، أ.

(٩) ناصر خسرو: سفرنامة، ص١٥٤– ص ١٥٥.

(١٠) فهد: بدري محمد، **العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري**: بحث تاريخي في الحياة الاجتماعية لجماهير بغداد.، د. م.، د. ن، ١٩٦٧م / ١٣٨٧هـ بغداد، مطبعة العاني، ص١٢٤– ص ١٢٥.

السميذ[1].

وعرف أهل العراق صنع الكعك من الطحين الأبيض[2]، وكان يصنع الكعك المحشي بالجوز والسكر أو ما يعمل من أنواع الفطير [3].

وعرف أيضاً خبز الأرز بأنه قوت الفقراء والبخلاء لرخص سعره [4]، ويسمى من يخبزه بالخبزارزي.[5]

واستعمل طحين الحمص لإنتاج الخبز رغم عدم جودته وعدم تذوق الناس له، إلا أن الفقراء كانوا يتناولونه لمدة تتراوح بين شهرين إلى ثلاثة أشهر في السنة في الأوقات التي تقل فيها المواد الغذائية [6].

وكانت فارس من الأقاليم التي اهتمت بالخبز [7]، فقد دخل ضمن المواد التي تدفع كضرائب للدولة [8]، وكانت أكثر حبوبهم بعد القمح والشعير الأرز حتى أنهم ليخبزونه ويأكلونه وهو قوت لهم، وبعضهم قد تعود أكل خبز الأرز طول أيام السنة [9]، وقد انتشر صنع الخبز من

---

(١) الجاحظ: البخلاء، ص٥٣٠، القزويني، **آثار البلاد وأخبار العباد**، ص٤٦٦. والسميذ، أفضل الخبز وأكثره غذاء ولكنه أبطأ هضماً لقلة نخالته، ابن البيطار، **الجامع لمفردت الأدوية والأغذية**، ج١، ص ٤٩.

(٢) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٩، ص٢٤٢.

(٣) الصابئ، أبو الحسين، أو أبو الحسن، هلال بن المحسن الحراني، **رسوم دار الخلافة**، ص ٢٨.

(٤) الدينوري: عبد الله بن مسلم ، **عيون الأخبار**، شرحه وضبطه وعلق عليه ورتب فهارسه يوسف طويل، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ج١، ص٢٢١ ؛ ابن بطوطة: محمد عبد الله اللواتي ، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار رحلة ابن بطوطة**، قدم له وحققه محمد عبد المنعم العريان راجعه وأعد فهارسه مصطفى القفاص، ط١، بيروت، دار إحياء العلوم، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص٢٢٦.

(٥) السمعاني: عبد الكريم بن محمد بن منصور ، **الأنساب**، المحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط١، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م، ج٢ ص٣١٩.

(٦) البغدادي: **تاريخ بغداد**، ج١، ص١٢١.

(٧) الاصطخري: **المسالك والممالك**، ص٦٣ ؛ ابن حوقل: **صورة الارض**، ص٢٣٦.

(٨) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٤٥٢.

(٩) الاصطخري: **المسالك والممالك**، ص٦٣ ؛ ابن حوقل **صورة الارض** ٣٦٩.

الأرز في بلاد ما وراء النهر رغم وجود الخبز المصنوع من الحنطة والشعير [١].

وصنعوا نوعاً آخر من الخبز هو خبز الأبازير، وهو عجين يتخذ من الدقيق والعسل وبعض الابازير المعطرة، تضاف عليه قطع الفواكه المرباة، ويصنع على أشكال متنوعة غاية في الحسن والطيب، ومنه ما كان يغشى بطبقة من السكر الابيض[٢].

واشتهرت أنواع أخرى من الخبز كخبز الحوارى [٣]، وخبز الفطير[٤]، وخبز الطابق[٥]، وخبز المغول، وخبز القطائف، وخبز الطابون، على الحصى[٦].

وقد عرفت النساء بممارسة حرفة الخبازة حيث وردت دلائل تشير وتؤكد ذلك منها أنه كان هناك قوم من بغداد كانت لديهم خبازة تخبز لهم بأجر [٧].

وعن كيفية الاحتساب على الخبازين فينبغي على المحتسب أن يعرف عليهم عريفاً ثقة من أهل صناعتهم ويأمره أن يكتب له جريدة بأسمائهم وعدتهم ويطالبون برسومهم في كل يوم.

ولا يسامحوا منها بشيء، ومتى سامحوا منها بشيء كان ذلك سببا للاضطراب في الأسواق وفساد الأحوال [٨].

وبعد ذلك تذكر لنا الشروط الواجب توافرها في مخابز الخبازين فتذكر "ينبغي أن ترفع سقائف حوانيتهم، وتفتح أبوابها، ويجعل في سقوف الأفران منافس واسعة يخرج منها الدخان،

---

(١) المقدسي: **أحسن التقاسيم** ص ١٢١.

(٢) زيات حبيب: **خبز الأبازير**، ، بيروت، الخزانة الشرقية، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٣٧م. ص ١٢٢

(٣) الجاحظ: البخلاء، ص١٢٩، ص٢٠٣، ص ٢٢٩؛ ابن الجوزي: **المنتظم**، ج٩، ص ٢٤٢.

(٤) الصابئ: **رسوم دار الخلافة**، ص ٢٨.

(٥) الجاحظ: البخلاء، ص ١٢٩ ؛ السمعاني: الانساب، ج٢، ص٣٢.

(٦) زيات: **خبز الأرز**، ج٢، ص١١٩.

(٧) ابن الجوزي: **المنتظم**، ج١٧، ص٣٢٤.

(٨) الشيزري: **نهاية التربة في طلب الحسبة**، ص٢٢-٢٣؛ ابن الاخوة: **معالم القربة**، ص٩١-٩٢؛ ابن بسام: نهاية الرتبة، ص٢١.

لئلا يتضرر بذلك الناس، وإذا فرغ الخباز من إحمائه مسح داخل التنور بخرقة نظيفة، ثم شرع في الخبز" [(١)].

وثم تنتقل إلى ذكر شروط الخباز التي يلزمه المحتسب بالعمل بها، فـ"يأمرهم بنظافة أوعية الماء وتغطيتها، وغسل المعاجن ونظافتها، وما يغطى به الخبز، وما يحمل عليه، ولا يعجن العجان بقدميه ولا بركبتيه ولا بمرفقيه، لأن في ذلك مهانة للطعام، وربما قطّر في العجين شيء من عرق إبطيه وبدنه، فلا يعجن إلا وعليه مِلْعَبَةٌ أو بشت مقطوع الأكمام، ويكون ملثماً، لأنه ربما عطس أو تكلم، فقطر شيء من بصاقه أو مخاطه في العجين، ويحلق شعر ذراعيه لئلا يسقط منه شيء في العجين، وإذا عجن في النهار فليكن عنده إنسان في يده مذبة يطرد عنه الذباب، هذا كله بعد نخل الدقيق بالمناخل السفيقة مراراً " [(٢)].

ويحتسب عليهم ما يغشون به الخبز بأن يمنعهم أن يضعوا البورق — نوع من الملح — لأنه مضر، فقد كانوا يستخدمونه في تحسين وجه الخبز، وألّا يخبزوا الخبز حتى يختمر، فإن الفطير ثقيل في الوزن والمعدة، وكذلك إذا كان قليل الملح، فيمنعهم المحتسب من فعله، فإنهم يقصدونه لأجل زانته في الميزان"[(٣)].و "ينبغي على الخبازين أن ينشروا على وجهه —يقصد الخبز- الأبازير —أي التوابل— الطيبة الصالحة له، مثل الكمون الأبيض، والشونير —الحبة السوداء-، والسمسم، والمصطكي، ونحو ذلك، وألَّا يخرجوا الخبز من التنور حتى ينضج حق نضجه، من غير احتراق فيه"[(٤)].

ويضيف الماوردي: "ويعتبر عليهم المحتسب ما يغشون به الخبز من الكركم، والزعفران وما

(١) الشيزري: **نهاية التربة في طلب الحسبة**، ص٢٢-٢٣؛ ابن الاخوة: معالم القربة، ص٩١-٩٢؛ ابن بسام: نهاية الرتبة، ص٢١ ؛ الماوردي: **الرتبة في طلب الحسبة**، ص ١٨٦.

(٢) الشيزري: **نهاية التربة في طلب الحسبة**، ص٢٢؛ ابن الاخوة: **معالم القربة**، ص١٥٤-١٥٥؛ ابن بسام: نهاية الرتبة، ص٢١ -٢٣؛ الماوردي: **الرتبة في طلب الحسبة**، ص ١٨٦.

(٣) الشيزري: **نهاية التربة في طلب الحسبة**، ص٢٣؛ الماوردي: **الرتبة في طلب الحسبة**، ص ١٨٦-١٨٧.

(٤) الشيزري: المصدر السابق، ص٢٣ ؛ الماودي: المصدر السابق، ص١٨٧.

يجري مجراه، فإنهما يحمران وجه الخبز وهو من الداخل على خلاف ذلك، ومنهم من يغش الخبز بالحمص والباقلاء" [١].

ومن أجل توفير الخبز للناس فإن المحتسب يقوم بتحديد لكل حانوت من حوانيت الخبازين "مقداراً معيناً يخبزه كل يوم بما يلبي حاجة الناس دون أي خلل أو نقصان" [٢].

وكان المحتسب يفرض مقداراً معيناً من الإنتاج على أهل الأصناف فيجعل على الحبوبيين والدقاقين مقادير معينة من الطحين، يرفعونها إلى الخباز كل يوم [٣].

وقد حرص العامة على إنشاء علاقات خاصة بأصحاب الأفران لكي يعتنوا بخبزهم، ونظراً لانشغال الرجال في الحوانيت داخل الأسواق تولت النسوة التردد على الأفران ولهذا كان على المحتسب أن يراقب أخلاق أصحاب الأفران وأن يمنعهم من استخدام صبية لهم فوق سن البلوغ لأن هؤلاء الأجراء يدخلون على النساء أثناء غياب أزواجهم[٤].

ويحتسب على الفرانين بأن يفرقوهم "على الدروب والمحال وأطراف البلد، لما فيهم من المرافق وعظم الحاجة إليهم"[٥]، ويراقبهم ويرى مدى التزامهم بشروط الصنعة ومواصفاتها "فيأمرهم بإصلاح المداخن، وتنظيف بلاط الفرن في كل ساعة من اللباب المحترق والشرر المتطاير والرماد المتناثر، لئلا يلصق في أسفل الخبز منه شيء، ويجعل الفران بين يديه أجانة نظيفة للماء، فإذا فرغ من الخبز أراق ما بقي فيها، فإذا بقي فيها تغيرت رائحته، ثم يغسلها من الغد... وإذا كثرت عنده أطباق العجين للناس، أخرج خبز كل واحد منهم بعلامة يتميز بها على غيره، لئلا يختلط الجميع

---

(١) الماوردي: المصدر السابق، ص ١٨٦.

(٢) الشيزري: **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، ص ٢١.

(٣) القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي القاضي ، **أخبار العلماء بأخبار الحكماء**، تصحيح محمد الخانجي، مصر، ١٩٠٨م، ص ١٩١.

(٤) الشيزري: المصدر السابق، ص٢٤ ؛ ابن الاخوة، المصدر السابق، ص١٥٤-١٥٥ ؛ ابن بسام: المصدر السابق، ص٦١-٦٢.

(٥) الشيزري: المصدر السابق، ص ٢٤؛ ابن بسام: المصدر السابق، ص٦١-٦٢ ؛ الماوردي: المصدر السابق، ص١٨٧.

فلا يعرف" [1].

وينبغي أن يكون للفران مخبزان، أحدهما للخبز والآخر للسمك، ويجعل السمك بمعزل عن الخبز لئلا يسيل شيء من دهنه على الخبز[2].

وبهذا يكون للمحتسب دور في حفظ حقوق العامة من الغش وحفظ حقوق المهنيين والصناع.

---

(١) الشيزري: المصدر السابق، ص ٢٤؛ الماوردي: المصدر السابق، ص ١٨٧.

(٢) الشيزري: المصدر السابق، ص ٢٤؛ الماوردي: المصدر السابق، ص ١٨٧.



المبحث الثاني:

الحسبة على الطباخين..

المبحث الثاني : الحسبة على الطباخين:

اعتمد سكان المشرق الإسلامي عامة بما توفر لديهم من ثروات زراعية وحيوانية، وفقا لطبيعة الأرض، فاعتمدوا على ما يستخرجونه أو يزرعونه أو يرعونه أو يصطادونه في صناعة الطعام.

فقد كان الطعام يصنع ويباع في الأسواق لعامة الناس، وكانت الأطعمة تصنع لتقدم في ولائم الخلفاء والوزراء والقادة والأثرياء، الذين أصبحوا قدوة في طعامهم لباقي فئات المجتمع العباسي[١].

يمكن أن نقسم الطعام إلى عدة اقسام، فمنه ما هو رخيص وبسيط وهو طعام الفقراء والمعوزين، وآخر معقد التركيب يحتاج إلى مطيبات وأجهزة وآلات لتصنيعه ويدخل ضمن هذا القسم أطعمة الخلفاء والأمراء والأثرياء، ونوع ثالث لعامة الناس يمكن أن نطلق عليه اسم "الطعام الشعبي"، لأنه شائع بين كل طبقات المجتمع رغم الاختلاف في مستوياتهم الاقتصادية والمعيشية[٢].
والمعيشية[٢].

وتعد اللحوم من مواد الطعام الأساسية للسكان، نظراً لكثرة الإبل والغنم والبقر، وتقدم كذلك غذاء لضيوفهم، لا سيما البدو الذي اقتصر طعامهم على الخبز واللحوم والألبان، وما يعمل منها من جبن وسمن وإقط [٣]، كما صنعوا من اللحوم أطعمة عديدة كالثريد [٤]، وكان شواء اللحوم هو الطريقة الشائعة منذ القدم في طبخ اللحوم عند العرب، وفي الوقت ذاته يعد من أسهل الطرق في طهيها، حيث توقد النار ثم يوضع اللحم عليها حتى تنضج وتصبح صالحة للأكل

---

(١) فهد: بدري محمد، **المجتمع العراقي في العصر العباسي**، سلسلة حضارة العراق، ج٥، ص٧٢.

(٢) ركزية الاطرقجي: **الحياة الاجتماعية في بغداد**، ص ٢٥٥.

(٣) ابن المقرب: **ديوان ابن المقرب**، ص٨٢-٤٠٩ ؛ على الخربوطلي: **الحضارة الإسلامية**، ص١٢٥.

(٤) السيف: عبد الله، **الحياة الاقتصادية في نجد والحجاز في العصر الأموي**، كلية الآداب، جامعة الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٢٨٨ ؛ الخربوطلي: المصدر السابق، ص١٢٥.

[1]. كما يقوم السكان يجمع الكمأة في بعض المواسم التي ترتبط بالأمطار الموسمية، وتؤكل مطبوخة ويختلف حجمها بحسب أنواعها[2].

أما سكان السواحل فاعتمدوا في طعامهم على الأسماك، والتي تمثل أيضاً الغذاء الرئيس للسكان وتتصدر قائمة اللحوم بالنسبة لهم، وقد استخرج صيادو المنطقة من مياه الخليج الأسماك المختلفة الأصناف والأشكال والأحجام [3]، ونظراً لعدم وجود وسائل لحفظ الأسماك، فقد لجأ السكان إلى التجفيف والتمليح [4]، حتى أن أهالي عمان حملوا كميات كبيرة من الأسماك والأجبان إلى بغداد، لتصنع منها ألوان مختلفة من الأطعمة التي اشتهر أهالي بغداد بإعدادها والتفنن في طهيها[5]، أما طريقة طهي السمك وتقديمه فقد كانوا يشوون السمك على أوراق الشجر، ويقدمون مع الأرز الذي يستوردونه من الهند [6].

وكان طعام الفقراء يتكون من اللحم والخبز والدبس والزعفران، والخل [7]، أما الأصناف المترفة فهي الأطعمة التي يتناولها الخلفاء والوزراء والتجار إذ تجلب بعض الأصناف والمطيبات من الأقاليم والبلاد الأخرى زيادة على جلب الطباخين وهذه الأطعمة المعقد تحتاج فعلا إلى ما ذكرناه من أدوات وآلات لتحضيرها، لمواد معينة للطعام تزيد من نكهته، وقد امتازت هذه الأكلات بكونها غالية الثمن.

---

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٥، ص٥٦.

(٢) ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج٨، ص٧ ؛ ابن المقرب: ديوان ابن المقرب، ص٢٦٦.

(٣) الطوخي: أحمد، **شرقي الجزيرة العربية في العصور الوسطى في كتابات الرحالة المسلمين**، مركز الوثائق، قطر، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص٥٢.

(٤) عبد الله أبو عزة : الخليج العربي، ص ٢٧١.

(٥) حسن محمود: العالم الإسلامي، ص ١٨٠.

(٦) ابن بطوطة: الرحلة، ص ٢٦١-٢٦٢ ؛ أحمد الطوخي، **شرقي الجزيرة العربية**، ص٥٢.

(٧) بدري فهد: **العامة في بغداد**، ص ٩٨.

السماج وهو طعام من لحم وبيض وبصل[١]، والشبارفات [٢]و هي شرائح مشوية من اللحم[٣].

أما النوع الثالث فهي الأكلات الشعبية وهي كثيرة ومتنوعة، وأكثر شيوعاً كونها تناسب كل الطبقات والمستويات [٤]، كالهريسة [٥]، وكانت تباع في الأسواق كوجهات للفطور عند الصباح الباكر [٦]، والعصيدة[٧]، والأرز مع اللبن والأرز مع السكر أو مع السمن، والكباب، والرؤوس والأكارع[٨].

وقد اشتهر الدجاج، فقد كان من أساسيات المائدة، واختلفت طرق طهيه حسب رغبات الآكلين، رغم ارتفاع سعره [٩].

ومن الطعام أيضاً المضيرة [١٠]، حيث يقطع اللحم السمين مع الإلية، وتوضع في قدر، ثم يضاف إليها ماء وملح حتى تغلي، فإذا قاربت النضج أضيف البصل والكمون، فإذا نضج وجف ماؤها ولم يبقَ سوى الدهن، غرف في إناء، وأضيف إليه الليمون والنعناع، ثم يُترك على نار حتى

---

(١) الجاحظ: البخلاء، ص٢٤ ؛ شوقي ضيف: **العصر العباسي الأول** ص٥٢.

(٢) الجاحظ: المصدر السابق، ص ٢٠٣.

(٣) الجواليقي: أبو منصور مرهوب بن أحمد ،**المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، تحقيق أحمد شاكر، مطبع دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦١هـ، ص٢٠٤.

(٤) ابن بطوطة: الرحلة، ٢٢٨.

(٥) الهريسة من الأكلات الشعبية المشهورة في العصر العباسي، وقد أبدت كتب الحسبة عناية بإعدادها ومراقبة تحضيرها، وبضرورة اتباع نظام معين بتحضيرها وطبخها والعناية بنظافتها. الشيزري، نهاية الرتبة ص٣٦ ؛ ابن بسام: **نهاية الرتبة**، ص٣٩، وسميت بالهريسة لأنها تهرس. الدنيوري: أبو محمد بن مسلم، **أدب الكاتب**، تحقيق محمد محي الدين، القاهرة، مكتبة السعادة، ١٩٦٣م، ص ١٤٣.

(٦) ابن الجوزي: **المنتظم**، ج ٧، ص٧٤.

(٧) سميت بذلك لأنها كانت تعصد. الدنيوري: أدب الكاتب، ص١٤٣.

(٨) ابن الجوزي: المنتظم، ج٧، ص٧٤

(٩) الخوارزمي: **مفاتيح العلوم**، ص ١٠٠ ؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي ، **أخبار الحمقى** والمغفلين، ت عبد القادر المغربي، مطبعة التوفيق، دمشق، ١٣٤٥هـ، ص ٣٣.

(١٠) البغدادي: محمد بن الحسن بن محمد الكاتب ، **الطبيخ**، دار الكتب الجديدة، بيروت، ١٩٦٤م، ص٢٤.

يغلي قليلا، وأضيف إليه التوابل ثم يترك حتى يهدأ[1].

ومما لاشك فيه أن بعض الأطعمة الفارسية تسربت إلى المنطقة، لصلة العباسين ببلاد فارس، فاختلطوا بأهلها لمعايشتها الوافرة وخصب أرضها ورخائها، مما أضاف إلى موائدها العديد من الأطعمة الفارسية، منها السكباج، فيقطع اللحم السمين، ويوضع في قدر، ثم يضاف إليه الملح وعود الدار صيني، ويبقى على النار حتى يغلي، وبعدها تضاف إليه الكزبرة اليابسة والبصل والجزر أو الباذنجان [2].

وعرف أيضاً صنف الاسفاناخية، وهي أن يقطع اللحم ويلقى في الدهن، ويضاف إليه الماء الساخن مع الملح، فإذا قرب من النضج أضيف اليه الكسفرة –الكزبرة– اليابسة والكمون والفلفل، وعندما يغلي يضاف إليه الأرز حسب الحاجة، ثم يترك على نار هادئة، ويكون قد أعد له لحم أحمر مدقوق ناعم، يعمل منه كبب تلقى في الدهن، ومن ثم يخرج للأكل[3].

ومن أشهر أكلات طبقة الأغنياء: الرخامية[4] والاطرية[5]، والطباهجة[6]، والألية [7]، وأما أطعمة العامة فتتألف من اللحم والخبز والدبس والخل والسمك المشوي[8] والمقلي والمطبوخ[9].

وتعتبر الباقلاء من الأكلات الشعبية الواسعة الانتشار[10]، وكذلك الثريد [11]، فهو عبارة

(١) البغدادي: المصدر السابق، ص ١٠٧.

(٢) البغدادي، المصدر السابق، ص١٣؛ حسن: حسن إبراهيم، **تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي**، دار الأندلس، بيروت ج٤، ١٩٦٧م، ص٦٣٧.

(٣) البغدادي: **الطبيخ**، ص٢٧.

(٤) البغدادي: **الطبيخ**، ص٢٨.

(٥) البغدادي: المصدر السابق، ص٢٩.

(٦) البغدادي: المصدر السابق، ص١٦.

(٧) البغدادي: المصدر نفسه، ص١٦.

(٨) القزويني: **آثار البلاد**، ص ٤٤٦.

(٩) النويري: **نهاية الإرب**، ج١٠، ص٣٠٧.

(١٠) فهد: **العامة في بغداد**، ص١١٢.

(١١) البغدادي: الطبيخ، ص١٧.

عن خبز أضيف إليه مرق اللحم، وربما كان الفقراء يضعون الباقلاء بدل اللحم [1].

والعصيدة كانت تصنع من التمر والماء، فبعد أن تغلى بالماء، تمرس باليد ويضاف إليها السكر والعسل والزعفران، ثم تحرك حتى تنضج، فتوضع بين رقاقتين، وقد تعمل بدون سكر ولا عسل [2].

وكانت الرؤوس والأكارع من أكثر الأكلات الشعبية انتشاراً في العراق، فبعد كشط شعر الرأس عن الجلد، يوضع بالماء على النار حتى ينضج[3].

ومن الأطعمة الكباب، حيث يشرح اللحم ويوضع عليه الملح، وبعدها يشوى على النار، ويقلب حتى ينضج [4].

ولابد لنا أن نذكر الأقاليم الشرقية للدولة الإسلامية، فقد اهتم فيها الناس بإعداد الطعام وتحسين الموائد وكثر أنواع الأطعمة المصنعة، والحلويات والمقبلات والمشهيات قبل الطعام، مما دفعهم إلى الاهتمام والاعتناء بفن الطبخ، والبحث عن أفضل وأمهر الطباخين والحلوانيين [5].

واهتم أهل الشام أيضاً بالطعام، فقد كان المطبخ الشامي —وما زال- غنياً بأنواعه وبطرائق تحضير الطعام، وأحب أهله أيضاً تناول أنواع متعددة من الأطعمة، واعتمدوا في أطعمتهم مبدأ التغميس وأكثروا من طبخ الثريد أو تحضير الغمة -وهي طعام يحضر بالاعتماد على رأس الذبيحة وأمعائها ومعدتها- وكانت أفراد الأسرة يلتفون حول خوان واحد يستخدمون أياديهم عوضا الملاعق وغيرها من أدوات الطعام[6].

---

(١) إسماعيل: **الحياة الاجتماعية**، ص١٠٦.

(٢) البغدادي: الطبيخ، ص٧٢.

(٣) ابن سيدة: المخصص، ج٤، ص١٤٣.

(٤) حسن ابراهيم: **تاريخ الإسلام**، ج٤، ص٦٣٧.

(٥) الاصطخري: **المسالك والممالك**، ص ١٤٩-١٦٢.ابن حوقل: **صورة الارض**، ص ٢٥٤.

(٦) الشيزري: المصدر السابق، ص ٣٢؛ ابن الاخوة: المصدر السابق، ص١٧٦-١٧٧؛ ابن بسام: المصدر السابق، ص ٣٩-٤٠.

ويبدو أنهم لم يهتموا كثيراً بأكل الأسماك وكانوا يؤثرون بعض أنواع الحساء خاصة ما حمل اسم الهريسة [١]. وأقبل الناس على صنع النقانق وابتياعها لسهولة طبخها ويسر استخدامها [٢].

وأشتهرت العصيدة [٣] -دقيق يُلت بالسمن ويطبخ [٤]- في المدينة بالإضافة إلى الوجبة الرئيسية، وهي التمر مع الحليب.

وأشتهر أيضاً طبق الفريك -طعام يفرك ويلت بسمن وغيره- وكان أغلب ما يقدم في الموائد لديهم الثريد [٥].

وأشتهر عامة أصفهان بعنايتهم الخاصة للطعام -ولا سيما أصحاب الطبقة العليا من المجتمع- حيث كانوا يطبخون طعامهم بالحرير[٦].

وأشتهر أيضاً السويق [٧]، وهو طعام يؤخذ من مدقوق الحنطة والشعير [٨]، والذي عرف أيضاً بطعام المسافر [٩].

ومن الأطعمة التي توفرت مكوناتها من البيئة الزراعية والرعوية؛ كالحريرة وهي الحساء من الدسم والدقيق، وهو الذي يطبخ بلبن، ويستخدم السمن في إعداده [١٠].

---

(١) الشيزري: المصدر السابق، ص ٣٦-٣٧.

(٢) الشيزري: المصدر السابق، ص ٤٠-٤١. ابن الاخوة: المصدر السابق، ص١٨٠-١٨٤؛ ابن بسام: المصدر السابق، ص ٤٧-٤٩.

(٣) ابن الجوزي: **المنتظم**، ج٩، ص٨٧.

(٤) مصطفى: إبراهيم، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة، استانبول، ١٩٨٩م، ج١، ص٦٠٤.

(٥) ابن بطوطة: **الرحلة**، ص ١٦٢.

(٦) ابن بطوطة: الرحلة، ج ١، ص ٩١.

(٧) النزوي: **المصنف**، ج٩، ص١٢٢.

(٨) ابن منظور: لسان العرب ، ج٣، ص٣٧٠.

(٩) ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج٨، ص٦.

(١٠) ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج٨، ص٥ ؛ ابن سيده: **المخصص**، ج٤، ص١٤٥ ؛ ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص٥٨.

وتعد حرفة الطباخة من الحرف التي زاولتها المرأة في المشرق العربي الإسلامي في العصر العباسي [١] والتي تدخل ضمن نطاق التجارة بالطعام، والطبخ حرفة من اختصاص النساء وهي من الحرف التي فضلن بها على الرجال[٢]، وقد وصف بديع الزمان الهمذاني [٣] (ت:٣٩٨هـ)، وصفاً دقيقاً لطباخة بغدادية حاذقة بعملها وهي تنتقل بين الدور لممارسة عملها وذلك على لسان زوجها الذي أثنى عليها واصفاً حذقها في صناعتها وتأنقها في طبخها، ويقول (يا مولاي، لو رأيتها والخرقة في أستها، وهي تدور في الدور، من التنور إلى القدور، ومن القدور إلى التنور، تنفث بفيها النار، وتدق بيديها الأبزار).[٤]

أما الاحتساب على الطباخين فيجب على المحتسب أن يؤكد وجوب مراعاة شروط النظافة في العمل، والأمانة في الخدمة، والابتعاد عن الغش وبما يتفق وطبيعة كل حرفة من الحرف[٥]، وقبل ذلك عليه أن يولي عليهم عريفاً عالماً بصنعتهم.

وأيضاً على المحتسب أن يأمرهم "بتغطية أوانيهم، وحفظها من الذباب وهوام الأرض، بعد غسلها بالماء الحار والاشنان، وألا يطبخوا لحوم الماعز مع لحوم الضأن، ولا لحوم الإبل مع لحوم البقر، لئلا يأكلها ناقة من المرض فتكون سبباً لنكسه"[٦]، ويعتبر المحتسب عليهم كثرة الإدام وقلة اللحم، فإن أكثرهم يسلون الدهن ويفرغونه في القدر، فيطفو على وجه الطعام، فيغتر به الناس، ويظنونه من كثر اللحم.

وعلامة لحم المعز في القدر سوادها وزهومتها، ودقة عظامها، ويعتبر عليهم غش المضير بالدقيق، فيزيد في وزنها ويعقدها؛ ومنهم من يعقدها بدقيق الأرز والسميذ الناعم، وينبه الشيزري

---

(١) ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي، **أحكام النساء**، دمشق، الدار الدمشقية، ٢٠٠٣م، ص٩٣.

(٢) ابن الجوزي: **أحكام النساء**، ص ١٠١.

(٣) الهمذاني: أحمد بن الحسين بن يحيى، **مقامات الهمذاني**، بيروت، دار المشرق، ١٩٧٣، ص١٠٠-١٠١.

(٤) الجواليقي: **المعرب**، ص١٩.

(٥) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص٣٢-٣٥.

(٦) الشيزري: نهاية الرتبة، ص ٣٤.

المحتسب على ضرورة مراقبتهم ومنعهم منها يقول: "لولا أني أخاف أن أنبه من لا دين له على غش الأطعمة، لذكرت من ذلك جُملاً كثيرة في اختلاف أشياء من عناصرها، ولكني أعرضت عن ذكرها مخافة ممن يتعلمها فيعلمها الناس، وقد ذكر يعقوب الكندي في رسالته المعروفة باسم (كيمياء الطبائخ) ألوان لحم تطبخ من غير لحم، وقلي كبود من غير كبود، ومخ من غير مخ، ونقانق وطردين من غير لحم، وعجة من غير بيض، وجواذب من غير أرز، وحلاوة من غير عسل ولا سكر، وألوانا كثيرة من غير عناصرها يطول شرحها، لا يهتدي إليها الطباخون فأمسكت عن ذكرها، فيعتبر المحتسب عليهم ذلك، لئلا يكون أحد يعرفه، والله أعلم" [(١)].

وأورد الشيزري وغيره في كتبهم أن الغش في الأطعمة كان واسع الانتشار في زمنهم، لذا فإنهم تحدثوا بالتفصيل عن ذلك، فعلى سبيل المثال، عند الحسبة على الهرائسيين قاموا بوصف كامل لكيفية عملها ونبهوا المحتسب على وسيلة مراقبة الغش فيها، فيقول الشيزري: "أوسط عيار الهريسة –وهي طعام من خليط القمح واللحم– من غير حيف على الهرائسيين ولا تعسير الناس، لكل صاع من القمح ثماني أواق من لحم الضأن، ورطل من لحم البقر، ويكون لحم الهريسة سميناً فتياً، نقياً من الدرن والغدد والعروق والأعصاب، طرياً غير غث ولا متغير الرائحة، وينبغي أن يُجعل في الماء والملح ساعة حتى يخرج ما في بطنه من الدم، ثم يخرج ويغسل بماء غير ذلك، ثم ينزل من القدر بحضرة العريف، ثم يُختم بخاتم المحتسب، فإذا كان وقت السحر حضر العريف وكسر الخاتم، وهرسوها بحضرة العريف، لئلا يستلوا اللحم منها، ويعيدوه إليها في الغد فأكثرهم يفعل ذلك إذا لم يختم عليه القدر، ومنهم من يغش الهريسة بالقلقاس المدبر، ومنهم من يبتاع الرؤوس المغمومة –أي المطبوخة– همد كسادها رخيصة، ثم ينسل لحمها ويجعلها في الهريسة، ومنهم من يسلق لحم البقر أو لحم الجمل، ثم يجففه ويدخره عنده، فإذا أمكنه العمل نقعه في الماء الحار ساعة ثم وضعه في الهريسة، وربما بقي عنده في القدور فضلة، فخلطوها في الهريسة من الغد، فيراعي المحتسب جميع

---

(١) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص٣٤.

ذلك بالختم" [1].

وعلى الرغم مما تقدم، فقد كان هنالك صراع المثال والواقع، بين الشروط المثالية التي وضعها الفقهاء للحسبة والمحتسبين، وبين واقع السوق وطبيعة عمل أصحاب الصنائع والحرف وحرص الكثير منهم على تحقيق الربح والمنفعة ولو جاء ذلك عن طريق الغش والتدليس واستخدام الرشوة في إفساد المحتسبين ومساعديهم[2].

وفي مراقبة الشوائين ينبغي على المحتسب أن يزن عليهم الحملان قبل إنزالها في التنور، ويكتب في دفتره وزنها حتى عند إعادة وزنها بعد عملية الشوي يتأكد له أن الشواء في حالة نقص ثلثه فيكون قد تناهى نضجه، وأن كان دون ذلك أعاده في التنور[3]، والعبرة من وزنه لحماً نيئاً حتى لا يُخفوا فيه صنج الحديد وأثقال الرصاص، كما ينبغي للمحتسب أن يكون عارفاً بنوعية اللحم الناضج، كما يشق ورك الذبيحة فإن ظهر فيها عروق حمر ونزل منها ماء اللحم فهو نيئ ولم ينضج[4].

ومن غشوشهم أن بعضاً منهم يدهن الحملان بالعسل ثم ينزلها بالتنور فإنها تحمر بسرعة ويظهر فيها نضج وعند النظر إليها تظهر وكأنها نضجت ومن غشهم أيضاً أن بعضهم يذبح حملاناً كثيرة فيختار أجوافها ويحملها إلى المحتسب ويخفي الباقي ليغش به الناس، كما يزجرهم المحتسب بعدم وضع الشواء مغطى ولا أن يضعوه في أوانٍ من الرصاص أو النحاس في حالة إخراجه من التنور لأنه يصبح سماً على الناس، ويأمرهم المحتسب أن يطينوا تنانيرهم بطين حرق قد عجن بماء طاهر، لأن الطين الموجود أمام حوانيتهم مختلط بالدم والفرث وفي ذلك نجاسة[5].

---

(١) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص ٣٦ ؛ ابن الاخوة: **معالم القربة**، ص١٧٦؛ ابن بسام، **نهاية الرتبة**، ص ٣٩؛ الماوردي: **الرتبة في طلب الحسبة**، ٢٠٩-٢١٠.

(٢) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص٢٩.

(٣) الشيزري: نهاية الرتبة، ص٣٠

(٤) الشيزري: المصدر السابق، ص ٣٠-٣١.

(٥) الشيزري: المصدر السابق ص٣٠ ؛ الماوردي: **المصدر السابق**، ص ٢٠٦-٢٠٧.

ومن غشهم أيضاً بيع الشواء المرضوض بعد أن يخلطوها بالكلى والكبود ولحم الرؤوس، وجميع هذه الغشوش على المحتسب أن يراقبها ويلزمهم بعدم الاستمرار فيها، ثم يأمرهم بنثر الملح على الأرض حتى لا تلعقها الكلاب وتسير عليها الحشرات[1].

ويضيف ابن بسام ضرورة مراقبة الشوائين من ناحية الأمانة إذ إن قسماً منهم يلجأ إلى سرقة أجزاء من ذبائح الناس عند شوائها، فضلاً عن سرقة بعض المواد التي يحشى بها الشواء كالسمن والأرز واللبن[2].

كما يوصي بضرورة إلزام الشوائين بالتقيد بالمواعيد، فيأمرهم المحتسب "بألّا يؤخروا أشوية الناس عنهم في أوقاتها، وإن أخر عن الناس أطعمتهم في هذه الأوقات المحدودة فقد أضر بهم واستحق عند ذلك الأدب بعد الإعذار إليه"[3].

ويحتسب على قلائي الجبن "أن يلصقوا الجبن دفعتين في ماء حار، ويطاهر الثالثة حتى تطلع الجبنة من الطاجن نفسه، ولا يقلى إلا بالشيرج الطري، وكذلك الجبن المشوي، ولايباع إلا مؤخراً ناشفاً من الماء، ويأخذ عليهم إذا شووه ألّا يطهروه إلا بالماء الحار لئلا يبرد، وإذا اشتكل عليه ما قلي به الجبن يعتبر عليهم ذلك في الجبن الحار.[4]

وهكذا نرى الدور الذي يقوم على عاتق المحتسب وأعوانه في الحسبة على الطباخين ومن في حكمهم ومدى أثره في الحفاظ على الحياة العامة واتصاله بروح الإنسان وصحته، حتى أن الأطباء كانوا يشخصون مرض الإنسان من غذائه، وكان أطباء الخلفاء ينظمون وجبات الخليفة ويشرفون على طريقة طبخها وما يوضع فيها.

---

(١) الماوردي: المصدر السابق، ص ١٨٩.

(٢) ابن بسام: المصدر السابق، ص ٣٧-٣٨.

(٣) ابن بسام: المصدر السابق، ص ٣٨.

(٤) الماوردي: المصدر السابق، ص ٢٣٣.



المبحث الثالث:

الحسبة على الحلوانيين.

المبحث الثالث : الحسبة على الحلوانيين:

عرفت صناعة الحلويات طريقتها إلى المنطقة لوفرة المواد الأولية وإعدادها سواء كانت زراعية أو حيوانية، فضلاً عن تأثر مجتمع الشرق بالمجتمعات الأخرى وخاصة الفارسية، ولا شك أن وفرة دبس التمر قد ساعد في صناعة أصناف مختلفة من الحلويات[1]، كما أن ازدهار زراعة قصب السكر والتمر ووفرة الدقيق والسمن كانت عوامل مساعدة في صنع الحلويات، فضمت الموائد أصناف عدة، على رأسها الفالوذج الذي يصنع من لباب البر المخلوط مع العسل والسمن[2]، والربيكة التي تصنع من البُر والتمر[3]، والعصيدة[4] وهي عبارة عن دقيق يلت بالسمن ويطبخ [5]، ويستخلص من شجرة النارجيل سائل كالعسل تصنع منه أنواع مختلفة من الحلوى، ولكثرته فإنه يصدر إلى الهند والصين حتى يستفاد منه في إعداد أصناف فاخرة من الحلوى[6].

ولكثرة إنتاج مجتمع المشرق الإسلامي للفواكه -كما ذُكر في الفصل الأول- حيث اشتهرت الكثير من المناطق بزراعتها على اختلاف أصنافها وجودتها، كالرمان والموز والعنب والخوخ ووالمشمش والتوت والجوز وغيرها [7]،إلى جانب تناول الفواكه المجففة والزبيب [8].

وقد صُنعت الحلويات المطيبة بالمسك والعنبر والعود والزعفران [9]، وتقدم الحلوى بعد الطعام ، وقد كان منها ما هو بسيط، ومنها معقد التركيب كالزلابية [10]، وأصابع

---

(١) البكري: **المسالك والممالك**، صج١، ص٣٧٢. د

(٢) الأبشهي: **المستطرف**، ج١، ص٢٦٠.

(٣) ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، ج٨، ص٤.

(٤) النزوي: **المصنف**، ج٣، ص٢٦٥.

(٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٨، ص٤؛ ابن منظور: **لسان العرب**، ج٤، ص٣٤٩.

(٦) ابن بطوطة: **الرحلة**، ص٢٥٦.

(٧) الإدريسي: **نزهة لمشتاق**، ج١، ص١٥٥؛ الحميري: **الروض المعطار**، ص ٤١٣.

(٨) الجنحاني: **التحول الاقتصادي**، ص ٥٤.

(٩) شوقي ضيف: **العصر العباسي الأول**، ص٥٣.

(١٠) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص٢٥.

زينب [١]، والخباص بأنواعها [٢]، فضلاً عن اللوزنج [٣]، والخشكناج [٤]، والفنيذ [٥].

وصنع في العراق نوع من الحلوى يسمى الخبيص –ويصنع من دقيق الحنطة– [٦]، وهو أنواع منها: خبيص القرع، خبيص اللوز، خبيص الجزر[٧]، ومن الحلوى القطائف والفطائر، ولقم القاضي[٨]، والصابونية [٩]وغيرها.

ولوجود أنواع كثيرة وأصناف مختلفة من الحلوى، فقد كان للمحتسب دور في الإشراف على الحلوانيين لمنعهم من الغش، ولم يكن من السهل ضبطها بعيار محدود يكون دليلاً يعتمد عليه، وإنما يكون ذلك الأمر معروفاً لدى المحتسب ونائبه [١٠].

ولذلك كان ينبغي على المحتسب أن يعرف عليهم ثقة لأن غش هذه الصنعة كثير جداً فمن ذلك أن العسل النحل إذا غلا سعره، أبدلوه برُب العنب ويعرف إذا طبخ على النار، فإن رائحة الرب تظهر وتتميز، وكذلك عسل القصب إذا غلا بدلوه بالدبس، فإن النوى يوجد أسفل الوعاء، ويُحلّف صانع الفالوذج ألا يطرح لكل رطل عسل إلا أوقيتين من النشا، وأن يكثر فالوذه، وألّا يحشيه.

---

(١) وهي نوع من الحلوى كانت تعمل ببغداد تشبه أصابع النساء المنقوشة. الابيشي، **المتطرف**، ج١، ص١٧٨.

(٢) الخبائصي: طعام يعمل من التمر والسمن، وبعد ذلك يعمل من العسل بدلا من التمر. الجاحظ: **البخلاء**، ص ٤٠١ ؛

(٣) اللوزنج: حلوى من النشا وعسل التمر والسمن. التنوخي، **نشوار المحاضرة**، ج٧، ص١٤١ ؛ شوقي ضيف: **العصر العباسي الأول**، ٥٧.

(٤) الشيزري: المصدر السابق، ص٤١. والخشكنانج: ما يعمل من أنواع الفطير كالبقلاوة وغيرها. الجواليقي: **المعرب**، ص١٣٤.

(٥) ضيف، شوقي: **العصر العباسي الثاني** ، ط٢، دار المعارف، القاهرة ، ص٧٥

(٦) البغدادي: **الطبيخ**، ص٧٣.

(٧) البغدادي: المصدر نفسه، ص٧٤

(٨) البغدادي: المصدر نفسه، ص٨٠.

(٩) البغدادي: المصدر نفسه، ص٧٥.

(١٠) الديري: **الحسبة في الإسلام**، ص١٢٥.

و"منهم من يغش البسندود بالفتيت، وربما عملوه بدقيق العدس".

و"منهم من يغش كعب الغزال والمشاش بالقند، وعلامة غشه ميله إلى السمرة والسواد، ومنهم من يغش الزلابية المشبكة بالقند المحلول، عوضاً عن العسل، وقد يغشون الخبائص الناعمة والرطبة والصابونية بالنشا الخارج عن الحد، وعلامة غشها أنها تتفتت، وإذا باتت خمرت وغيرها، فيعتبر عليهم المحتسب ذلك وينبههم" [١].

ويأمرهم المحتسب –أو من ينيبه– بأن تكون الحلوى تامة النضج غير نيئة ولا محترقة، ولا يترك المذبة من يده أبداً ليطرد بها الذباب [٢].

أما صناع الزلابية فيحتسب عليهم أن يكون مقلى الزلابية من النحاس الأحمر الجيد، ويكون ثلث دقيق الزلابية ناعماً، وثلثاه سميذاً خشكنانيا، وأجود ما يقلى به الشيرج، فإن لم يكن فزيتاً صافياً، ولا يشرع في قليها حتى يختمر عجنها، فيعتبر عليهم المحتسب جميع ذلك[٣].

---

(١) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص٤١ ؛ ابن بسام: **نهاية الرتبة**، ص٤٧ ؛ الماوردي: **الرتبة في طلب الحسبة**، ص٢١٣.

(٢) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص٤٠ ؛ ابن بسام: نهاية الرتبة، ص٤٧ ؛ الماوردي: **الرتبة في طلب الحسبة**، ص٢١٢.

(٣) الشنزري: المصدر السابق، ص٢٥-٢٦ ؛ ابن بسام: المصدر السابق، ص٤١-٤٣ ؛ الماوردي: المصدر السابق، ص٢١٣.



المبحث الرابع:

الحسبة على أصحاب الأشربة.

المبحث الرابع : الحسبة على أصحاب الأشربة :

أما الأشربة فقد شحت المصادر بالحديث عنها، لكن طبيعة الأراضي وفرت لسكانها العديد من الأشربة كاللبن الذي يعد الشراب الأساسي للعرب لوفرته، وقيمته الغذائية، فكان محبباً إليهم، ويقدمونه إلى ضيوفهم [١]، كما استفاد السكان من تنوع الفواكه في استخراج أنواع مختلفة من العصائر التي يسهل تحضيرها وإعدادها، كعصير الجزر، والتفاح، والتمر هندي، والإجاص وعرق السوس[٢]، وعصير العنب أو الزبيب. ومن الأشربة التي عرفت شراب يشبه الحليب في لونه وطعمه يستخرج من النارجيل[٣].

وأنتجت أنواع النبيذ كالنبيذ العنبي، والزبيبي، والعسلي والتمري[٤] وكان المثل يضرب بنبيذ قطر، وكان أحد محال بغداد يسمى بالنبيذ القطربلي[٥].

وصنع الشرابون الفقاع، وهو شراب يصنع من السكر الأبيض بعد تذويبه بالمسك وتبريده بالثلج أو يصنع من العسل أو ماء الزبيب الحلو، أو من الدبس بعد إجراء العملية التي أجريت على السكر[٦].

ويصنع أيضا من الشعير أو الخبز أو مايعمل منه بماء الرمان يحفظ بكيزان وسمي الفقاع لارتفاع الزبد على سطحه بما يشبه الفقاقيع [٧].

---

(١) الخربوطلي: **الحضارة الإسلامية**، ص١٢٥.

(٢) الاصطخري: **المسالك والممالك**، ص ٦٤؛ المقدسي :**أحسن لتقاسيم**، ص٤٤٢؛ ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص٣١٠.

(٣) ابن بطوطة: الرحلة، ص ٢٥٦.

(٤) الغزولي: **مطالع البدور**، ج٢، ص٨٨. والنبيذ يسمى نبيذا يعني نبذ أي ترك حتى أدرك. ابن قتيبة: **أدب الكاتب**، ص١٣٩.

(٥) التنوخي: **نشوار المحاضرة**، ج٥، ص١٧٥.

(٦) الغزولي: **مطالع البدور**، ج٢، ص ٣٨.

(٧) الصابي: **رسوم دار الخلافة**، ص٦٨؛ الغزولي: **مطالع البدور**، ج٢، ص٨٨؛ متز: **الحضارة الإسلامية**، ج٢، ص٢٣٥.

ويصنع نوع من الشراب المعتق يسمى الشراب الخسروي [١]، ويرجح أنه من إنتاج بلاد فارس، واستعمل عصير العنب المطبوخ بالنار كأحد أنواع الخمور الجيدة[٢].

وكان لخمور العراق شهرة واسعة، فقد كان يرسل من هذه الخمور كميات كبيرة إلى جزيرة سرنديب، إذ إن ملك الجزيرة كان يشرب الخمور العراقية بكثرة[٣]، وصنعت الخمرة بكثرة في بلاد ما وراء النهر وكانت تصدر إلى بلاد الهند والأقاليم الإسلامية الأخرى [٤].

ولا بد من الإشارة إلى شهرة الأقاليم الشرقية بمنتجات الألبان كالأجبان بأنواعها[٥]، وكأحد المراكز الرئيسية لتجفيف الفاكهة وتصديرها إلى المناطق الأخرى كالمشمش والتين والزبيب[٦].

أما أهم الأواني التي كانت تستعمل للشراب فكانت الأكواز والأكواب[٧]، وهي جميعاً آنية يشرب بها، غير أن الأول يكون بعروة على خلاف الكوب لا عروة له [٨]، كذلك استعملوا الأقداح وهي تروي رجلين، وتكون من الخشب أو البلور[٩]، واشتهر الشرب بآنية الزجاج، والنحاس والصفر[١٠].

أما الحسبة على أصحاب الأشربة فقد ذكر ابن بسام: "ينبغي أن يعرف عليهم عريف،

---

(١) أبو نواس: **ديوان أبي نواس**، ص٢٤٩.

(٢) أبو نواس: **ديوان أبي نواس**، ص ٢٦٤.

(٣) ابن خرداذبه: **المسالك والممالك**، ص٦٧.

(٤) الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ج١، ص٤٩٠.

(٥) الاصطخري: المسالك والممالك، ص١٢٠؛ المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢١٦.

(٦) الاصطخري: المسالك والممالك، ص ١٤٩؛ المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص٤٤٢-٤٤٣.

(٧) التنوخي: **نشوار المحاضرة، ج٨**، ص٢٥٣.

(٨) ابن منظور: **لسان العرب**، ج٥، ص٤٤٨-٤٥٠.

(٩) التنوخي: **نشوار المحاضرة**، ج، ص ٢٥٣؛ ابن منظور: **لسان العرب**، ج٥، ص٢٠٦؛ الفيروز أبادي: **القاموس المحيط**، ص ٢٣٥.

(١٠) الكندي: بيان الشرع، ج٥، ص١٩٥.

ويعرفه أنه لما كانت الأحواج تجيب الأوساخ والأقذار إلى الشطوط وجب أن يكون السقاؤون يدخلون في الماء، إلى أن يبعدو عن الأوساخ، وألا يسقون من مكان يكون قريبا من سقاية، ولا مستحم، ولا مجراة حمام، ومن اتخذ منهم راوية جديدة، فلينهل به الماء إلى الطين أياما فان ماءها يكون متغير الطعم والرائحة من أثر الدباغ، فإذا زال التغير أذن له المحتسب في بيع مائها"[1].

ويحتسب عليهم نظافة الأدوات المستخدمه، الزير، والقربة ويمنعهم من سقي المرضى المجذومين والمصابين بالبرص وأصحاب العاهات والأمراض الظاهرة، لما في ذلك تنفير لباقي العامة وإلحاق الضرر بهم وبالصحة العامة للسكان [2].

وفي الحسبة على السمانين يقول الشيزري: "يعتبر المحتسب عليهم المكاييل والموازين والأرطال، وينهون عن خلط البضاعة الرديئة بالجيدة، إذا اشتروا كل واحد منها على انفرادها بسعر، وعن خلط عتيق التمر والزبيب بالجديد، وألا يرشوا الماء على التمر والزبيب ليرطبه ويزيد في وزنه، وألا يدهنوا الزبيب بالزيت، ليصفى لونه ويحسن منظره. ومنهم من يمزج العسل القصب بالماء الحار، ويرشه على الرطب، ومنهم من يغش الزيت وقت نفاقه بدهن القرطم، ومعرفة غشه أنه إذا ترك على النار يكون له دخان عظيم يخنق. ومنهم من يخلط الشيرج لوقته، ومنهم من يمزج الزيت الذي قد ترك فيه الجبن في الخوابي بالزيت الصافي، ومعرفة غشه أنه يفقع في السراج، ويكون زفراً. وأكثرهم يغش الخل بالماء، ومعرفة غشه أن الخالص إذا صب منه شيء على الأرض نش، والمشوب بالماء لا ينش، وأيضا إذا وضعت فيه حشيشة الطحلب فإنها تشرب الماء دون الخل، وكذلك اللبن المشوب بالماء إذا طرحت فيه هذه الحشيشة فصلت بين الماء واللبن، وأيضا يعرف غش اللبن بالحليب بأن يغمس فيه شعرة، ثم يخرجها فإن لم يعلق عليها شيء من اللبن يكون مغشوشاً بالماء، وإن علق اللبن كان خالصاً[3].

---

(١) ابن بسام: نهاية الرتبة، ص ٢٥.

(٢) ابن بسام: **نهاية الرتبة** ص ٢٥-ص٢٦.

(٣) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص ٥٨-٥٩.



الفصل الثالث :

الاحتساب

على المهن و الصنائع.

الفصل الثالث: الاحتساب على المهن والصنائع..

كان الازدهار في النشاط الصناعي بسبب استخدام أنواع متعددة من الصناعات، حيث أدى هذا الأمر إلى ازدياد عدد الصناع في الدولة العباسية، وسعى الخلفاء إلى تطوير الصناعات، والحفاظ عليها، لما له من فائدة على الفرد والمجتمع على حد سواء، وأدى هذا الأمر إلى قيام المدن، وازدهار الإنتاج في الدولة، حيث تشكل مصدراً مالياً مهماً للدولة، وتسهم أيضا في زيادة الثروة والرخاء.

وفرت الدول للصناع في العراق والمشرق الإسلامي ومصر والشام كل ما يحتاجونه من موارد أولية، وذلك من أجل زيادة الإنتاج، والحفاظ عليه، والسعي في تطويره.

وأدى توسع رقعة الدولة العباسية وترامي أطرافها إلى قيام صناعات متعددة، وزادت هذه الصناعات بزيادة المدن التي بنيت حديثاً آنذاك وجلب إليها أهل المهن والحرف ووفر لهم ما يحتاجون[١].

وأصبحت المدن مستقراً لكل صاحب عمل أو حرفة ومهنة، بسبب وجود سوق المستهلك لعملهم وصناعاتهم، ومعروضاتهم، وكذلك التجار الذين يقومون بنقل هذه المنتجات خارج المدن وإليها، وكان للريف الدور الكبير في زيادة الإنتاج الصناعي، وذلك من خلال تموين القطاع الصناعي بما يحتاج إليه من موارد أولية تستخدم في عملية الإنتاج[٢].

وتنقل الكثير من الصناع من إقليم إلى إقليم ومن مدينة لأخرى، فانتقل أهل مرو وبخارى وخوارزم إلى بغداد وذلك لتوفر المواد الأوليه لحرفتهم [٣].

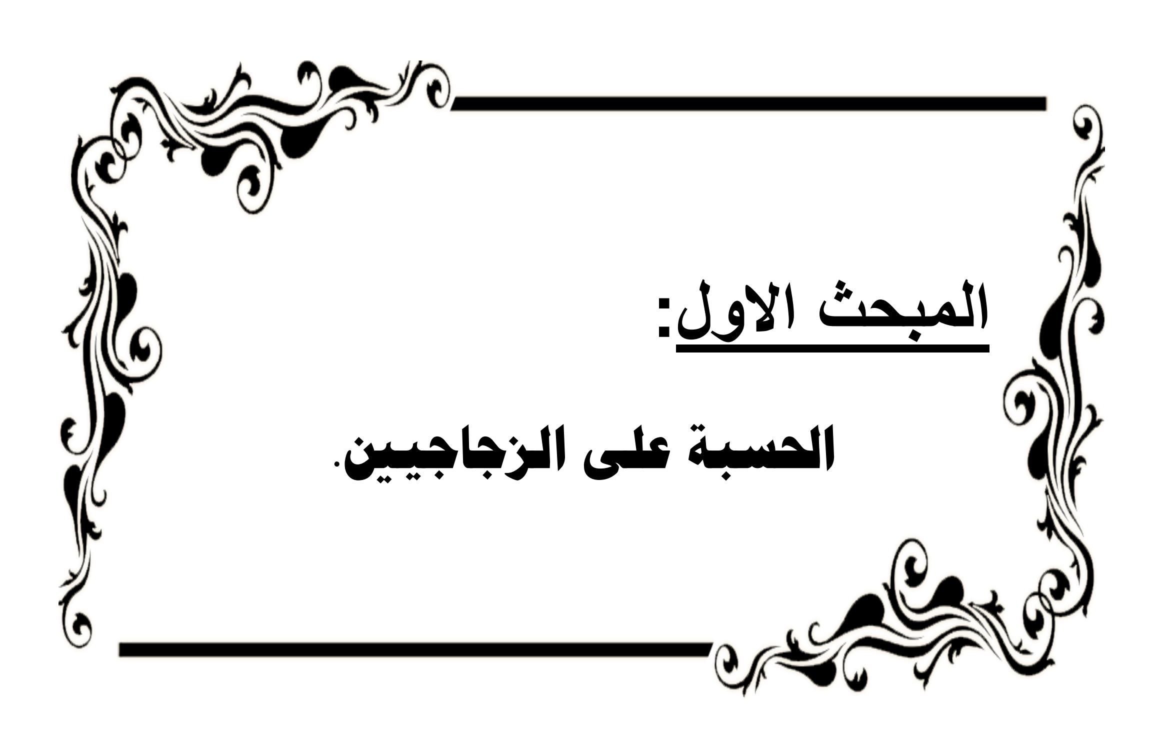
---

(١) اليعقوبي: **البلدان**، ٢٦٤.

(٢) اليعقوبي: **البلدان**، ص ٢٦٤.

(٣) الحموي: معجم البلدان، ص ٢٥١-٢٥٢.

وكان للصناعة نصيب كبير من عناية خلفاء العصر العباسي، فعينوا مسئولا كانت مهمته مراقبة الأسواق يسمى المحتسب كما ذكرنا في الفصول السابقة، فقد كانت تقع عليه مهمة مراقبة أصحاب الصناعات والمهن، وجعل لكل صاحب صنعة أو حرفة سوقاً خاصة بهم وعريفاً عليهم وسوف نذكر في هذا الفصل أبرز الصناعات وأهمها ودور الدولة والمحتسب في الرقابة عليها..



المبحث الاول:

الحسبة على الزجاجيين.

المبحث الأول: الحسبة على الزجاجين.

تعد صناعة الزجاج من الصناعات المعقدة والدقيقة من بين الصناعات الكيميائية، من حيث موادها الأولية وأساليب الصناعة فيها فضلاً عن أنها تحتاج إلى أيد صناعية ماهرة[1].

وأزدهرت هذه الصناعة كما هو حال الصناعات الأخرى في العصر العباسي، وانتشر الزجاج فيما بعد وأصبح من المواد الاستهلاكية الشائعة، واشتهرت وتعددت مراكز صناعة الزجاج في العراق والمشرق الإسلامي [2].

وكان العراق من المراكز الرئيسية لصناعة الزجاج والتي وصفها ابن الفقيه (المتوفى عام ٢٩٠هـ/ ١٩٠٢م) بقوله (ولهم.. الزجاج المحكم من الأقداح والأقحاف والكاسات والطاسات)[3].

وترد عدة إشارات حول وجود معامل للزجاج في مدن العراق، فكانت بغداد مركزاً لدور صناعة الزجاج تصل إلى أربعة آلاف مصنع [4]. وعلى ما يبدو أن هذا الرقم مبالغ فيه نظرا لعدم قدرة أي مدينة من احتواء مثل هذه العدد من المصانع فضلاً عن توفر أعداد كبيره من العمال الماهرين، ويرجع تأسيس أول مصنع في بغداد إلى العصر العباسي الأول [5].

وقيل في وصف ما ينتج في بغداد من الزجاج والبلور: (زجاجا مليحاً ما بين بلور مخلوط،

---

(١) الشكري: **الطب الصيدلة الكيمياء حضارة وتأثير**، ج٣، ص٤٠١. والزجاج عادة ينتج من خلط الرمل والحجر الجيري، وكربونات الصودا، مع إضافة بعض الأكاسيد أحيانا للحصول على اللون المطلوب، ثم تصهر في درجة حرارة تقدر ١٥٠٠ درجة مئوية بأفران خاصة فتتحول إلى عجينة بالإمكان تشكيلها حسب الرغبة. عبد الخالق هناء، **الزجاج الإسلامي**، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩م، ص٢٨١.

(٢) عبد الخالق: **الزجاج الإسلامي**، ص٢٥٢

(٣) ابن الفقيه: **مختصر كتاب البلدان**، ص ٢٥٢.

(٤) حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام**، ج٢، ص٢٧٠؛ الكبيسي، **أسواق بغداد** ص٢١٧.

(٥) حقي: **تاريخ العرب**، ج٢، ص٩٩ وص٤٢٥.

ومحكم مجرود، ومينا أخضر) [١].

كما حازت البصرة موقعا ممتازاً في ميدان صناعة الزجاج مما دفع الخليفة المعتصم عند بدء بناء مدينة سامراء باستقدام من يعمل الزجاج من البصرة [٢]، وكان في القادسية [٣] مصنع للزجاج[٤] ولمدة من الزمن في سامراء [٥].

وبلغت صناعة الزجاج أوج تقدمها في العصر العباسي، وبرع الصناع المسلمون بصنع الأواني الزجاجية وصنعوا الكؤوس والقناني والأباريق والقناديل من الزجاج [٦]. وأنتجت زجاجات الزينة لحفظ العطور [٧]، واستعمل الزجاج المنقوش للشبابيك بصورة فنية واستخدموا الجبس لتثبيته، وزينوا الأدوات الزجاجية وخاصة الأقداح برسوم تمثل أنواع من النباتات والطيور والحيوانات فضلاً عن بعض الكتابات [٨].

وبلغ تقدم فن صناعة الزجاج في المشرق الإسلامي أن تمّكن الصنّاع من إنتاج الزجاج الملون، كالأبيض، والأخضر، والأزرق، والأسود، والفيروزجي، ولا يختلف هذا النوع عن البلور في صفاته[٩]، واستعمل الزجاج الملون للكتابة والنقوش والرسوم على جدران وسقوف قصور الخلفاء والأمراء في بغداد وغيرها من المدن الإسلامية [١٠]، وعرف الزجاج العراق خارج حدود هذا الإقليم

---

(١) ابن الجوزي: **مناقب بغداد**، ص ٢١.

(٢) اليعقوبي: **البلدان**، ص٢٩؛ الحميري: **الروض المعطار**، ص٣٠١.

(٣) القادسية، قرية كبيرة من نواحي دجيل بين حربي وسامراء. الحموي: **معجم البلدان**، ج٤، ص٢٣٩.

(٤) الحميري: **معجم البلدان**، ج٤، ص٢٩٣؛ أبو الفدا: **تقويم البلدان**، ص ٢٩٩

(٥) اليعقوبي: **البلدان**، ص٣٩.

(٦) الجاحظ: البخلاء، ص٣٧؛ الأصفهاني: **الأغاني**، ج٣، ص٤٧.

(٧) الشكري: **الطب الصيدلة الكيمياء**، أصالة وتأثير، ج٣، ص٤٠١.

(٨) الدوري: **تاريخ العراق الاقتصادي**، ص١٠٩؛ الزبيدي: **العراق في العصر البويهي**، ص٥٠.

(٩) البيروني: **الجماهر في معرفة الجواهر**، ص٢٢٢.

(١٠) المدور، **حضارة الإسلام في دار السلام**، ص٢٦.

حتى بلغت شهرته بلاد الأندلس إذ كان يسمى (الزجاج العراقي) [1]. ووصف ابن جبير قناديل عراقية شاهدها في مكة مهداة من الحكومة العباسية بأنها مزينة بالنقوش الجميلة [2]، وشاهد ابن بطوطة ثريات الزجاج العراقي بأماكن مختلفة من بلاد الروم [3]، وأواني الزجاج العراقي في بلاد خوارزم [4]. وبقيت صناعة الزجاج حية في العراق منذ العهد العباسي [5].

وبرع العباسيون في صناعة البلور وهو صنف من الزجاج [6]، يحتوي على نسب متفاوتة من أكاسيد الرصاص، يعرف بالكريستال، وصنع العرب البلور صناعة نفيسة [7]. وكان البلور يصنع في النجف ولشهرة هذا المكان سمي بدر النجف وكان يتخذ من هذا الحجر مناور مختلفة الشكل بما يسمى الثريات [8]، وكان يصنع من الخواتيم، وبعض أدوات الزينة [9].

ومن المحتمل أن تكون بغداد قد صنعت الزجاج البلوري النقي المزين بزخارف محفورة حفراً غائراً والذي عثر عليه في سامراء ويعود إلى القرن الثالث هجري / التاسع الميلادي [10].

وقد وصفت الأقداح المصنوعة من البلور في مدينة البصرة، مما يؤكد دقة صنعها ونعومة ملمسها وجمال طلائها وتعدد أشكال النقوش عليها [11]. وبلغ ولع بعض الخلفاء باقتناء البلور

---

(١) البيروني: **الجماهر في معرفة الجواهر**، ص٢٢٢.

(٢) المدور: **حضارة الإسلام في دار السلام**، ص٢٦.

(٣) ابن جبير: **الرحلة**، ص٨١.

(٤) ابن بطوطة: **الرحلة**، ص٣٧٦.

(٥) غنيمة: **صناعات العراق في عهد العباسيين**، ص٥٧٢؛ الدوري: **تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير** ص٣٦٢.

(٦) الأبشيهي: **المستطرف**، ج٢، ص١٧٤؛ عواد: **صناعة الزجاج والبلور**، ص٣.

(٧) الشكري: **الطب الصيدلة الكيمياء أصالة التأثير**، ج٣، ص٤٠٢.

(٨) غنيمة: **صناعات العراق في عهد العباسين**، ص٥٧٢-٥٧٣

(٩) الدوري: **تاريخ العراق الاقتصادي**، ص١١٠.

(١٠) ديماند: **الفنون الإسلامية**، ص٢٣٠، ص ٢٣٣- ص ٢٣٤ .

(١١) الأزدي: **حكاية أبي القاسم**، ص٤٦.

مبلغاً كبيرا ويصف الصولي ذلك بقوله: "ما رأيت البلور عند ملك أكثر منه عند الراضي (٣٢٢هـ-٣٢٩هـ/٩٣٤-٩٤٠م) ولا عمل ملك منه ما عمل ولا بذل أثمانه ما يقال حتى اجتمع له ما لم يجتمع لملك قط" [١].

أما الأقاليم الشرقية للخلافة العباسية فارس وبلاد ما وراء النهر فقد عثر في مختلف أنحائها على قطع زجاجية ذات أشكال جميلة تعود إلى العصر العباسي ومن المناطق التي عثر على الزجاج فيها هي في الغالي، جرجان[٢]، والري ونيسابور وإقليم لورستان في غرب فارس [٣].

ومن النماذج التي عثر عليها أوان زجاجية تشبه إلى حد بعيد الأواني الزجاجية التي عثر عليها في مدينة سامراء [٤]. وقد برع الفرس في الصناعات كافة ومن بين أجمل النماذج التي وصلت من الزجاج المذّهب والمموه بالمينا نماذج أنتجها رجال من أهل فارس. وكان صنّاع فارس كغيرهم من الصنّاع المسلمين في استعمال الزخارف على الزجاج وكذلك الكتابات الكوفية [٥]، وعثر في نيسابور على عدد من الكؤوس والقناني والأباريق من القرن الثالث هجري / التاسع ميلادي تزينها زخارف محفورة [٦]. وقد تنوعت منتجات صنّاع فارس وبلاد ما وراء النهر من الزجاج فأنتجوا القناني والمصابيح الملونه والكؤوس وغيرها [٧].

ومن هذه النماذج تحف زجاجية عثر عليها في مدينة الري التي ترجع إلى القرنين الرابع

---

(١) الصولي: **أخبار الراضي والمتقي بالله**، ص٢٠.

(٢) جرجان: تقع في الشمال الشرقي لإيران بين دائرتي عرض ٣٦و٤٥ وبين خطوط الطول ٥٤و٥٦، يحدها من الجنوب جلال البرز ومن الغرب بحر مازندران، ومن الشمال نهر جرجان، ومن الشرق ناردين،. هـ. ل. رابينو: **مازندران واسترأباد**، ترجمة: غلامعلي وحيد مازندرانى ،ط٣، شركت أنتشار علمي وفرنكي، تهران، ١٣٦٥هـ.ش، ص ٧، ١٢٣؛ يحيى شامي: **موسوعة المدن العربية**، ص ٢٦٢؛ عبد الحكيم العفيفي: **موسوعة ألف مدينة**، ص ١٩٤.

(٣) زكي محمد حسن: **الفنون الإيرانية**، ص٢٠.

(٤) زكي محمد حسن: **الفنون الإيرانية**، ص ٢٦٠.

(٥) هناء عبد الخالق: **الزجاج الإسلامي**، ص ١٠٧.

(٦) ديماند: **الفنون الإسلامية**، ص٢٣٢.

(٧) عبد الخالق: **الزجاج الإسلامي**، ص١١٠-١١٢.

والخامس للهجرة، وعرف صنّاع المشرق أسلوب طلاء الزجاج بالمينا كما يظهر من النماذج التي عثر عليها في مدن المشرق كشيراز[1] وهمدان وسمرقند والري.

إن صناعة الزجاج في الأقاليم الشرقية لم تلق ما لقيته سائر الصناعات من عناية، ولعل أكثر النماذج التي عثر عليها المنقبون في مدن فارس وبلاد ما وراء النهر ليست من صناعة البلاد نفسها [2].

والاحتساب على الزجاجين، ينبغي أن يعرف عليهم عريفا، ويحلفوا ألّا يخرجوا الزجاج من الكور إذا فرغ حتى يمضي له يوم وليلة، فإذا تشرب دخانه أخرجه بعد ذلك وباعه، وإن عجل في إخراجه قبل أن يشرب دخانه يصدع ويهلك على سائر من اشتراه. ويأمر المحتسب العريف أن يختم على الكور، فإذا تشرب فتحه، وكذلك يصنع بصناع المثاقيل الزجاج ويحملها عند فتحها إلى المحتسب يعيرها قبل بيعها، لأن فيها الزائد والنقص [3].

---

(١) شيراز: بلد عظيم قصبة بلاد فارس تقع في وسطها، أول من تولى عمارتها محمد بن القاسم الثقفي، شبهة بجوف الأسد؛ لأنها تجلب إليها الميرة من سائر البلاد، ولا تخرج منها الميرة أبدًا، وهي الآن مدينة إيرانية شهيرة في منطقة فارس إلى الجنوب الغربي. الحميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، ص ٣٥١؛ شامي: **موسوعة المدن العربية والإسلامية**، ص ٢٦٧.

(٢) ز حسن: **الفنون الإيرانية**، ص٢٦١-٢٦٣.

(٣) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ابن بسام: **نهاية الرتبة**، ص١٥٧.



المبحث الثاني:

الحسبة على الفخاريين.

المبحث الثاني: الحسبة على الفخارين:

أنتج الخزف[1] في العالم الإسلامي بكثرة، وتعود صناعته إلى عهود قديمة إذ كانت الأدوات المعمولة من الفخار تستعمل في الحياة اليومية كأدوات أساسية قبل استعمال المعدن والزجاج، وقد شاع استخدام الكثير من الأدوات الضرورية للاستعمال المنزلي كالجوار لخزن الماء والنبيذ، وكذلك الحباب والكؤوس والأواني [2]، تعمل من الفخار غير المزجج [3]، وكانت بسيطة ومزينة بالنقوش [4].

ومن الخصائص المميزة للخزف الإسلامي أن صناعته كان الهدف منها الإيفاء بحاجات الاستعمال اليومي، إذ أصبح الإنتاج الإسلامي من الخزف جزءا من الحياة اليومية للمجتمع. أي أنهم لم يصنعوا الخزف لمجرد العرض كما فعل الصينيون [5].

ويعد فن صناعة الخزف أحد أبرز الإنجازات في العالم الإسلامي، إذ تطور عما كان عليه قبل الإسلام. ولم يعد مقتصراً على أواني الطبخ والخزن، بل تعداها إلى أداة تضاهي أفضل أنواع الخزف العالمي شدة، من حيث الابتكار في أسلوب الصناعة، ومن حيث الخلق الفني [6]. وكان الفتح الإسلامي لبلاد المشرق بداية عهد جديد في تاريخ فنون الخزف، إذ ابتكر الخزافون المسلمين أساليب جديدة في زخرفة الخزف [7].

---

(١) الخزف: واحدته خزفة: طين تصنع منه أوعية أو أوقنية وبلاطات يطلى بمواد مزججة وأصباغ ومعادن ومشتقاتها، أو يعجن مع بعضها قبل إدخاله الفرن مرة واحدة كالفخار، فهو منه وله خصائصه، ولكن غالبًا ما يشوى قبل المعالجة بتلك المواد. عبد الرحيم غالب: **موسوعة العمارة الإسلامية** ،ط١، بيروت، جروس پرس، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص١٥٩.

(٢) الدوري: **تاريخ العراق الاقتصادي**، ص١٠٨؛ فهد، **تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير** ص٣٧٢.

(٣) الجاحظ: **البخلاء**، ص ٢١٨؛ غنيمة، **صناعات العراق في عهد العباسيين**، ص٥٦٩-٥٧٠.

(٤) غنيمة: **صناعات العراق الاقتصادي**، ص٥٦٩.

(٥) روم: **الإسلام والعرب**، ص٢٣٥.

(٦) واطسن : **كنوز الفن الإسلامي**، ص٢٠٦.

(٧) ديماند، **الفنون الإسلامية**، ص١٦٤.

ويتصدر الخزف في العصر العباسي المحلى بالزخارف ذات البريق الذي يحتل المكانة الأولى بين زخارف العالم الإسلامي [1]، إذ تفنن العرب المسلمين في صناعة الخزف، وكان لهم خلال القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ابتكارات رائعة سواء في الزخارف أو الألوان أو في الأساليب الصناعية [2].

وتفنن الصنّاع في العراق والمشرق الإسلامي بصناعة الخزف، واكتسبت مصنوعاتهم شهرة خاصة، فكان يضرب المثل بالخزف البغدادي [3]، إذ كانت صناعة الخزف والأواني الخزفية من الصناعات المشهورة ببغداد [4]، وكانت هناك محلات خاصة لبيع الجرار المفخورة [5]، وقد تعددت وكثرت مصانع الخزف في بغداد في العصر العباسي [6]. ويتحدث الأزدي عن غضائر[7] بغداد ذات الألوان الزاهية، فقد وصل إلينا من الخزف العراقي ما فاق باقي أنواع التحف، وتميز الإنتاج العراقي بتنوعه، فكانت الكوفة أحد المراكز الرئيسية لإنتاج الخزف في العصر العباسي، ونجح الكوفيون في تطوير هذه الصناعة نجاحاً كبيراً، نجحوا في إبداع أنواع فاخرة من الطلاء لتزيين الفخار ورسم النقوش عليه. وأنتجت الحيرة الأواني الفخارية والجرار ذات الألوان الزاهية[8].

وكان للبصرة نصيب في صناعة الخزف [9]، واشتهرت بلدة (نهر الدير) قرب البصرة بصنع

---

(١) عواد: **صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي**، ص٣٩.

(٢) ديماند **الفنون الإسلامية**، ص١٦٤، زكي محمد حسن: **فنون الإسلام**، ص٢٥٨.

(٣) الدوري: **تاريخ العراق الاقتصادي**، ص١٠٨.

(٤) السمعاني: **الأنساب**، ج٢، ص٢٦١.

(٥) البغدادي: **تاريخ بغداد**، ج١، ص٢٧٠.

(٦) حسن: **تاريخ الإسلام**، ج٢، ص٢٧٠.

(٧) الغضائر: نوع من أنواع الفخار الجيد تصنع منه الكيزان. ابن الأخوة: **معالم القربة**، ص٢٢٣. ابن بسام: **نهاية الرتبة**، ص١٩٩.

(٨) الأزدي: **حكاية أبي القاسم**، ص٣٧.

(٩) اليعقوبي: البلدان، ص ٢٩؛ الحميري: **الروض المعطار**، ص٣٠١.

الغضائر [١].

وكان خزف واسط في العصر العباسي يتفق مع الخزف الموجود في أنحاء العالم الإسلامي آنذاك في رقته وإبداع ألوانه وجمال زخرفته [٢]، وعثر المنقبون في واسط على أوان منزلية مطلية بالدهان الأبيض مع تشطيبات خضر أو زرق [٣]. واستمر إنتاج واسط في العصور العباسية على النمط نفسه، مع تحسينات على الألوان بإضافة سائل الرصاص إلى الدهان المستخدم في التلوين [٤]. ويبدو أن خزف واسط في العصر العباسي لم يتأثر بصناعة الخزف في الأمصار والأقاليم الأخرى واحتفظ بمميزات خاصة[٥].

وابتدع الصانع المسلم في سامراء طريقة جديدة عرفت بالإبريق المعدني الذي يكسب الإناء لمعانا، وذلك بإضافة مادة زجاجية على الإناء أثناء حرقه بدرجات حرارة عالية مما يؤدي إلى ظهور طبقة معدنية رقيقة شفافة لامعة[٦].

وشهد العراق قمة إنتاجه من الفخار والخزف في القرنين الثالث والرابع هجر القرن التاسع والعاشر ميلادي، مقروناً بجمال الصنعة وفن التزجيج والتعامل مع الألوان، واحتلت هذه الصناعة مكانا كبير وبلغت أقصى غايتها في جمالية الفن والصنعة في مدينة سامراء[٧].

واشتهرت الموصل بفخارها المتنوع من مزجج ومزخرف بأسلوب الصب أو الحفر.

وتشكل أواني الفخار والخزف في المقاطعات الشرقية من بلاد فارس وبلاد ما وراء النهر

---

(١) الحموي: **معجم البلدان**، ج٥، ص٣٢٠.

(٢) حسن: **فنون الإسلام**، ص٢٦٠.

(٣) المعاضيدي: **واسط في العصر الأموي**، ص٤٨٨.

(٤) بحشل: **تاريخ واسط**، ص٤٢.

(٥) حسن: فنون الإسلام، ص٢٦٠.

(٦) عبد العزيز: محمد الحسيني، **الحياة العلمية في الدولة العربية الإسلامية**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٣م، ص٧٩.

(٧) الدوري: **تاريخ العراق الاقتصادي**، ص١٠٨.

استثناء رئيسيا في الخزف الإسلامي كونها لم تتأثر بالحافز الصيني [1]. وكانت الري من أشهر المراكز لصناعة الخزف في المشرق الإسلامي، إذ تأثرت صناعتها بصناعة الخزف المصرية، وابتكرت أنواع من الزخرفة في الحفر والحز والرسم فوق الدهان وتحته [2].

وبرع الخزفيون بمدينة الري في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي إلى صناعة الخزف ذي البريق المعدني المسمى (مينائي) [3].

وكشفت حفريات في سامراء خزفاً شبيها بما وجده المنقبون في الري ببلاد فارس [4]، مما يؤيد وحدة الأساليب الصناعية للخزافين المسلمين في أنواع إنتاجهم كافة وكشفت الحفاير في منطقة نيسابور شرقي بلاد فارس أهمية تلك المدينة كإحدى المراكز الكبيرة لصناعة الخزف في العالم الإسلامي [5].

وأصبحت كاشان من مراكز الخزف المزدهرة أيام السلاجقة والدولة الخوارزمية [6]، وأصبحت بلاد ما وراء النهر من أزهى الأقاليم الإسلامية في عصر الدولة السامانية (٢٦١-٣٨٩هـ-٨٧٤-٩٩٩م)، وأصبحت سمرقند عاصمة الدولة وذاع صيتها جنبا إلى جنب مع بخارى في العالم الإسلامي. وأنتجت في هذه الفترة تحفا خزفية تمتاز ببساطتها واتزانها وجمال ألوانها، وكانت هاتان المدينتان، وريثتي صناعة الخزف القديمة التي اشتهرت بها مدينة الشاش، والتي ذكر المقدسي بأنها تنتج وتصدر الخزف [7]، وازدهرت في سمرقند صناعة الأواني الخزفية ذات الكتابات الكوفية التي تتخذ موضوعات زخرفية، إذ عثر على مجموعة من الخزف المرسومة وكانت مفضلة في

---

(١) واطسن: **كنوز الفن الإسلامي**، ص٢٠٨.

(٢) ديماند: **الفنون الإسلامي**، ص١٨١ – ١٨٢.

(٣) حسن: **الفنون الإيرانية**، ص٢٤.

(٤) حسن: زكي محمد، **الفن الإسلامي في** مصر، مطبعة السعادة، دار الكتب العلمية، القاهرة، ١٩٣٥م، ص٣٤.

(٥) ديماند: **الفنون الإسلامية**، ص١٦٥.

(٦) ديماند: المصدر السابق، ص١٩٠.

(٧) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص٣٢٦.

مشرق العالم الإسلامي ويمكن إرجاعها إلى القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي [1]، ووجد طيق خزفي من صناعة سمرقند عليه كتاب بالخط الكوفي الجميل. فضلاً عن مدينة افراسياب[2] التي عثر فيها على كميات وافرة من الخزف[3].

ولا يفوتنا أن نذكر أن بلاد فارس بشكل عام والري بشكل خاص كانت من أعظم مراكز إنتاج الخزف في العصر السلجوقي، إذ ظلت هذه المدينة مزدهرة حتى القرن السابع الهجري، منتجة أنواعا دقيقة وبديعة من الخزف الذي أكسب بلاد فارس شهرة لا تدانيها شهرة في هذا الميدان[4].

وكانت أهم مصنوعات الخزف في الأقاليم الشرقية للدولة العباسية الأواني المنزلية على اختلاف أنواعها والمزهريات التي كانت تزين بالزخارف والكتابات والأزهار ورسوم الحيوانات والطيور في بعض الأحيان [5].

كان من الطبيعي في مجال تطور صناعة الخزف أن تكون الأقاليم الشرقية للخلافة هي بلاد الخزف بامتياز لكثرة أعداد الصنّاع المتخصصين بهذه الصنعة، وهي البلاد التي اشتهرت بإنتاج الخزف المزجج بالبريق المعدني كما أسلفنا، رغم اختلاف الباحثين في أصول البريق المعدني، ولا بأس أن يكون الإسلام قد أحيا فنون هذه الصناعة خصوصاً في العراق وبلاد فارس في العصر العباسي، فقد شع الفن العباسي بنوره على فنون أقاليم الإسلام المختلفة [6].

لم تقتصر صناعة العراق وبلاد فارس وما وراء النهر على الخزف وحدها، وإنما كان إلى جانبها صناعة القاشاني[7] (الكاشي) الذي استعمل في أغراض شتى كالبناء وغيرها، وكان

---

(١) ديماند: **الفنون الإسلامية**، ص ١٧٠-١٧١.

(٢) افراسياب: إحدى مدن ما وراء النهر بينها وبين سمرقند ثمانية فراسخ. أيمن عبد الحق: **مراصد عبد الحق**، ص ١٠٢.

(٣) حسن: **الفنون الإيرانية، ص١٦٧**.

(٤) ديماند: **الفنون الإسلامية**، ص٤٥.

(٥) الزبيدي: **العراق في العصري البويهي**، ص١٤٧.

(٦) زغلول: **تاريخ العمارة والفنون التشكيلية**، ص٤٦٤.

(٧) القاشاني: من أنواع الخزف النقي، ينسب إلى مدينة قاشان. المرجع السابق، ص ٣٠٨.

القاشاني العراقي من الشهرة إلى درجة أن أرسلت كمية منه لتزيين جامع القيروان عام (٢٣٨هـ/٨٥٢م) وما يزال هذا القاشاني يحتفظ ببريقه لحد الآن [١].

وتشكل صناعة القاشاني الذي يعد مظهرا بارزاً من مظاهر الزخرفة الإسلامية وفرعاً مهماً من فروع الخزف الإسلامي، وكان يستعمل لتغطية واجهات المساجد أو جدران الغرف أو أرضيات أقنية الدور، وتتجلى أناقته في بعض من نماذجه ذات البريق المعدني ويبدو أن إقليم فارس من الأقاليم التي نشأت فيها هذه الصناعة منذ فترة مبكرة [٢].

وبذلك نكون قد وقفنا على هذه الصناعة وذكرنا تفصيلا موجزاً لأهم المدن التي برع صنّاعها في الخزف أو الفخار.

وأما عن الاحتساب عليهم فينبغي للمحتسب أن يؤخذ عليهم ألا يبيعوا قدور الخزف والكيزان والأواني، وألّا يطلون ما كان مثقوباً منها، أو مشقوقاً، أو معمولاً بالجبس المعجون بالشحم، وبياض البيض، والخزف الأحمر المسحوق، ويبيعونه على أنه سالم، فإذا وجد عند أحد منهم خزفاً على هذه الصفة أدبه ليكون ردعاً[٣].

يؤخذ على باعة قدور الخزف والكيزان والأواني الفخار كله أنهم لا يأخذوا إلا طينا غير نجس، وألّا يعجنوا إلا بماء طاهر، ويجب أن يدعوه يختمر جيداً، ويبقى لفترة طويلة ليطول أطول فترة زمنية لا ينكسر، وألّا يضعوا في عجينه زبل الحمير فإنه نجس.

وإذا وجد أحد منهم يفعل ذلك أدبه عليه، ويمنعهم أيضا من مشاكلة النساء في بيعهم إياهم فإن أكثر معاملتهم معهن [٤].

---

(١) الدوري: **تاريخ العراق الاقتصادي**، ص١٠٩.

(٢) الدوري: **المصدر السابق**، ص ١١٤.

(٣) ابن الأخوة: **معالم القربة**، ص ٣٢٥؛ الماوردي: **الرتبة في طلب الحسبة**، ص٣٥٧.

(٤) الماوردي: **المصدر السابق**، ص٣٥٧.

أما الحسبة على الفخارنيين والغضارين فعليه أن يعين عليهم عريفاً عالما بصنعتهم وعالما بطرق غشهم وتدليسهم، وألّا يصنعوا الزبادي إلا من الحصى المسحوق، وأن تكون الآنية معتدلة، كاملة الدهن، وأن يعمل في صباغ الزبادي القلي الأزرق والتوبان المعنفر، وإذا ظهر من الكوز شيئاً معيبا فردوه وباعوه لغير الطعام، ولا يداووه ويدلسوه على المشتري. وأضاف الماوردي: "ويشترط عليهم أيضا ألّا يقدوا عليه بالقوسان وهو روث ابن آدم ولا بشيء من سائر الأزبال لأنه نجس بل بالحلفا وبالحطبا والكلس ويشترط على باعة الغضار ألا يباع غضار الكوز إلا مفرداً من غضار التنور، ولا يخلط كوز بتنور إلا ما كان متقارباً ويعينه للمشتري، وعلى الغضارين إذا جاءهم الزبون ليشتري منه مئة جام لا يقتصر على أن يريه جاماً واحداً ويبيعه من هذه العين ثم يعطيه من غيرها، وهذا تدليس لا بد أن يعين له المبيع بكماله ويعاقده عليه، ويشترط على الحماليين معاونة الزبون من الغرباء وغيرهم، وأن يستوفوا لهم حقوقهم على ما تقدم ذكره في الأصباغ وقلع المعيب وعدة ما يشتريه والله أعم [1].

(١) الماوردي: **الرتبة في طلب الحسبة، ص** ٣٥٨، ابن الأخوة: **معالم القربة**، ص٣٢٦-٣٢٧.



المبحث الثالث:

الحسبة على الأطباء و الصيادلة ومن في حكمهم.

المبحث الثالث: الحسبة على الأطباء[1] والصيادلة ومن في حكمهم:

إن المقصد من الأحكام في الشريعة الإسلامية والحرص على تطبيقها ومراقبة كل من يريد الإخلال بها هو تحقيق مصالح الناس والحرص على تحقيق ضروريات العيش في بيئة توفر حاجاتهم، لكي تقوم عليه حياتهم وتستقيم به مصالحهم، واذا فقدت ضرورياتهم ولم تستقم مصالحهم كان أدعى أن تنتشر الفوضى بينهم ويعم الفساد [2].

وحرص خلفاء الدولة العباسية على الاهتمام بالرعاية الصحية للمجتمع المسلم، والحرف المتعلقة بالصحة متعددة وكثيرة منها الأطباء والجراحون والكحالون والحجامون، والمجبرون والبياطرة والصيادلة وغيرها سوف نعرفها فيما بعد.

وكان الاهتمام الصحي والطبي على رأس أولويات الخلفاء آنذاك ومن بين المجالات العلمية التي تميز العصر العباسي[3]، علوم الطب والصيدلة[4].

تعد مهنة الطب من المهن التي تتعلق بمقصود عظيم من مقاصد الشريعة وهو حفظ النفس، وفي ذلك يقول ابن القيم: (وأما طب الأبدان: فجاء من تكميل شريعته، ومقصوداً

---

(١) الطب لغة: هو علاج الجسم، والنفس، ويقال: طبّه، طبا إذا داواه، وأصل الطب الحذق في الأشياء، والمهارة فيها، وبذلك يُقال لن حذق الشيء وكان عالماً به: طبيبا، وجمع الطبيب أطباء، وأطبة، الأول جمع كثرة، والثاني جمع قلة. الزبيدي: **تاج العروس**، مادة طبب، ج٣، ص ٢٥٩-٢٦٠؛ الجوهري: **الصحاح**، ج١، ص١٧٠؛ الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، ج١، ص٩٦؛ ابن منظور: **لسان** العرب، ج٢، ص٧٩؛ الفيومي: **المصباح المنير**، ص٢٣٤؛ **المعجم الوسيط**: ص ٥٤٩، أما اصطلاحاً: فله معان كثيرة والاعم تعريف ابن سينا وهو علم يعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة مايصح، ويزول عن الصحة ليحفظ الصحة حاصلة، ويستردها زائلة. ابن سينا، الحسين بن عبد الله بن علي: **القانون في الطب**، لبنان، بيروت، دار الفكر، دت، ج١، ص ٣.

(٢) ابن قيم الجوزية: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أيوب الزرعي الدمشقي ، **الطب النبوي، دار الفجر للتراث**، القاهرة، مصر، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ص ٢١

(٣) مريزن سعيد عسيري: **علم الطب أهميته وشرفه ومعاييره الأخلاقية والعلمية عند المسلمين**، مكة، ١٤١٦هـ، ص٢٣-٢٥.

(٤) ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، ص ٤٣١؛ الزركلي: **الأعلام**، ج٢، ص١١-١١٣.

لغيره)[1].

ويعتبر علم الطب من العلوم المهمة في حياة الناس؛ لأنه يحقق الكثير من المصالح العظيمة، التي منها حفظ الصحة ودفع الضرر من الأبدان من سائر الأمراض، ويحتاج الناس في مختلف العصور إلى وجود الأطباء، فوجودهم ضروري لبقاء المجتمع سالما وخاليا من الأمراض، وبذلك يجب على الدولة أن تهيئ لرعاياها حاجتهم من الأطباء في شتى المجالات.

وقد عنى المسلمون بالصحة بشكل عام سواء أكانت للإنسان أم للحيوان كما كتب كثيرون عن الطب والأطباء والبيمارستانات (المستشفيات) فكتب ابن خلدون في مقدمته فصلا عن حرف الطب، وذكر أن هذه الصناعة من ضرورات المدن والأمصار، لما عرف من فائدتها فإن ثمرتها حفظ الصحة للأصحاء، ودفع المرض عن المرضى بالمداواة وحتى يحصل لهم البرء من أمراضهم "بإذن الله" [2].

وقد اهتم خلفاء الدولة الإسلامية، وخاصة خلفاء الدولة العباسية الأولى بالأطباء وكان لهم أطباء متخصصون بعلاجهم، فكانوا يجزلون لهم العطاء، فقد ذُكر أن المنصور أصابه في أواخر ١٤٨ هـ مرض في معدته، فكان القائمون على خدمته يعالجونه ولا يجدي علاجهم نفعا فجمعهم يوما وقال لهم هل تعرفون من الأطباء في سائر المدن طبيباً ماهرا؟

فقالوا: ليس في وقتنا هذا أحد يشبه جورجيس رئيس أطباء جنديسابور وهو جورجيس بن بختيشوع فبعث إليه المنصور في طلبه على عجل فجاء ومعه اثنان من تلامذته هما إبراهيم وعيسى بن شهلا، وقام بعلاج المنصور ثم أقام في بغداد وكان قد خلف امرأته في جنديسابور وليس عنده في بغداد من يخدمه، فأرسل إليه المنصور ثلاث جوار روميات وثلاثة آلاف دينار فقبل الدنانير ورد

---

(١) ابن قيم الجوزية: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أيوب الزرعي الدمشقي ، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، دار الفجر للتراث، القاهرة، مصر. ط٢، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ج٣، ص ٧٦.

(٢) ابن خلدون: **المقدمة**، ص٤١٥.

الجواري[1]، ثم تتابع اهتمام الخلفاء بالطب والأطباء في عصر الدولة العباسية الأولى.

ويذكر المؤرخون أن جبرائيل بن بختيشوع طبيب الرشيد حصل من الأموال ما لم يحصله غيره ففي يوم واحد حصل خمسمائة ألف درهم، وجعله الرشيد رئيسا للأطباء ولما توفي الرشيد وتولى محمد الأمين وهبه أموالا جليلة أكثر مما كان قد وهبه له [2].

ويبدو أن الأطباء في العصر العباسي الأول كان غالبهم من أهل الذمة من اليهود والنصارى، وقد اهتمت الدولة العباسية اهتماما بالغا بالطب والأطباء، وترجمة الكتب الطبية إلى اللغة العربية حتى ازدهر الطب ولم يمض وقت طويل حتى أصبح الطب له مكانته في الدولة العباسية.

وقام بهذه الترجمة علماء مهرة مجددون كان أغلبهم من غير المسلمين، فكان منهم السوريون واليهود والفارسيون ممن يدينون بالمسيحية واليهودية والمجوسية [3].

وقد تطور الطب وعلومه في العصر العباسي الأول بسبب تشجيع الخلفاء للأطباء، وكثرة الترجمات الطبية من اللغات الأخرى كاليونان والفارسية والسريانية ولم يمر وقت طويل في عمر الدولة العباسية حتى صارت تتبوأ مكانة عالمية في مجال الطب [4].

ولأهمية الترجمة في مجال الطب فكانت أول ما اهتم به الخلفاء العباسيون فقد أولوها عناية كبيرة وأوكلوها إلى علماء عرب وسريان من أهل سوريا والعراق وفارس، وكان أولهم أسرة بختيشوع، وهي أسرة من السريان النساطرة لبراعتهم باللغة اليونانية [5]. واشتهرت في الدولة العباسية وتوارثت

---

(١) ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ص١٨٣ - ١٨٥ .

(٢) ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص ١٨٨ — ١٨٩.

(٣) السبكي: **معيد النعم**، ص ١٣٠.

(٤) محمد الصادق عفيفي، **تطور الفكر العملي عند المسلمين**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ١٧٢– ١٧٦.

(٥) بطرس البستاني: **أدباء العرب في الأعصر العباسية حياتهم، آثارهم، نقد آثارهم**، دار مارون عبود (د.م، ١٩٧٩) ص١٧٢.

الطب حوالي ثلاثة قرون وكان لهم خلالها حظ وافر، وكان لأفرادها منزلة ومكانة عند الخلفاء العباسيين فانتفعوا من الخلفاء، ونفعوا الخلفاء وغيرهم بطبهم وتأليف الكتب الطبية، وقيامهم بأعمال البر والصدقات، وتفقد المرضى والأخذ بأيدي الضعفاء وغيرها من أعمال الخير [١].

لقد شجعت الدولة العباسية حركة الترجمة تشجيعاً كبيراً، وكان لتشجيع بعض الخلفاء الدور البارز في تقدمها وازدهارها [٢]، فكان لهم شغف بالعلوم والآداب والمعارف والثقافات، إذ إن الدول التي امتد إليها سلطان العباسيين كانت ذات علوم ومعارف، كالفرس والروم بمعنى أن أهم الأسباب التي ساعدت على ترجمة العلوم إلى اللغة العربية ما آلت إليه الدولة العباسية من حضارة، مما استلزم تشجيع العلوم والآداب. ومن هنا نشطت حركة الترجمة [٣]، فكان للخلفاء والحكام اهتمام بنشر المعرفة وتشجيع العلم والعلماء واقتناء الكتب وإنشاء المكتبات والإنفاق عليها، حيث حرص الخلفاء والأمراء على اجتذاب العلماء من كل الملل إلى بلاطهم، وأجزلوا لهم العطاء مع الرعاية والتقدير، وتكريماً للعلم وأهله، دون فرق بين مُسلمين وغير مُسلمين، فاحتل غير المسلمين منهم مكانة مرموقة في الدولة الإسلامية [٤].

وقد كان أول من اهتم بأمر العلم الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور [٥] حيث أمر طبيبه جورجيس بن بختيشوع، رئيس أطباء جنديسابور بترجمة العديد من الكتب من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية [٦]. وأيضا يوحنا بن البطريق الذي قام بترجمة العديد من الكتب من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية [٧].

---

(١) أحمد الشطي: المرجع السابق، ص٥٥.

(٢) عامر النجار: المرجع السابق، ص٥٦.

(٣) محمد عبد المنعم خفاجي: **الآداب العربية في العصر العباسي الأول**، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢، ص٥٢-٥٣.

(٤) سماح سامي: **الطب والصيدلة عند العلماء العرب**، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧، ص٦٧.

(٥) حاجي خليفة: **كشف الظنون، ج١**، ص٣٤.

(٦) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص١٨٣.

(٧) النديم: المصدر السابق، ص٣٠٤؛ كذلك ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص٢٨٢.

أما عصر هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م) كان عصر الازدهار والحضارة، وأصبحت فيه بغداد عاصمة العالم، وتفوقت في النواحي السياسية والثقافية والاقتصادية، كما نشطت في عصره العلوم [١]، فقد كان محباً للعلم والأدب وموقراً لأهله [٢]، وكان مهتماً بتحصيل المعارف العربية في الدين والأدب مع بعض الترجمات.

أما في عصر المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م) فقد قويت حركة الترجمة من مُختلف اللغات إلى اللغة العربية في مُختلف العلوم، وبلغت مساندة المترجمين والعلماء والأطباء بالشكل الرسمي أوجها في خلافته، حيث كان مولعاً بالعلوم شغوفاً بمناقشة المسائل الفلسفية والمسائل الدينية [٣]. فقد أرسل إلى ملوك الروم يطلب منهم إرسال ما عندهم من كتب الفلسفة والطب وغيرها من المؤلفات، وأحضر لها أمهر المترجمين لترجمتها، فقاموا بترجمتها على أحسن ما يمكن [٤]، وازدهر في عصره "بيت الحكمة "[٥] ازدهاراً كبيراً وبمرور الوقت أصبح أكبر وأعظم مركز ثقافي [٦].

والجدير بالذكر أن العناية بالترجمة لم تكن مقصورة على الخلفاء أو الوزراء في العصر العباسي، بل اهتم بها أيضا ذوو اليسار ممن كان لهم اهتمام بترجمة العلوم إلى اللغة العربية [٧]،

---

(١) أحمد الشطي: المرجع السابق، ص٥١.

(٢) أحمد يوسف القرماني: **أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ**، دراسة وتحقيق أحمد حطيط، وفهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٢م، ج٢ /ص٨٣.

(٣) سماح سامي: المرجع السابق، ص٦٨-٦٩.

(٤) النديم: المصدر السابق، ص٣٠٤-٣٠٥.

(٥) بيت الحكمة أو (خزانة الحكمة) كانت أكبر مكتبة في العصر العباسي أسسها الخليفة هارون الرشيد، وكان بها العديد من العلماء من مختلف الثقافات لترجمة الكتب اليونانية، ولها رئيس له أعوان، وكانت الكتب اليونانية فيه تترجم وتنسخ، وفي عصر الخليفة المأمون تسع بيت الحكمة وازدهر. للمزيد ينظر: أحمد أمين: المرجع السابق، ٦١/٢-٦٦.

(٦) عامر النجار: المرجع السابق، ص٥٧.

(٧) نافع العبود: المرجع السابق، مجلة المؤرخ العربي، ص١٥٣.

ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: محمد وأحمد والحسن أبناء موسى بن شاكر[1] المنجم، الذين بعثوا إلى بلاد الروم من يقوم بإحضار الكتب والعلوم القديمة، فجاؤوهم بأظرف الكتب وأغرب المصنفات في مختلف العلوم من طب وفلسفة وموسيقى وهندسة [2].

لقد استطاع علماء العرب والمسلمين أن يضيفوا إلى الطب الكثير من اكتشافاتهم، والتي كانوا السبَّاقين إلى معرفتها وإضافة إلى ذلك اهتموا بالجانب الإنساني من الطب، حيث كانوا أيضا السبَّاقين إلى إنشاء المشافي[3] والتي تطورت مع الطب وانتشرت في جميع أنحاء الدولة الإسلامية[4].

المشافي أو البيمارستانات (دور الشفاء):

تطورت فكرة إنشاء المشافي طوال العصور الإسلامية حتى كان العصر العباسي فقد كان من الضروري أن يقابل التطور الحضاري والاهتمام بالعلوم، وما قدموه في علمي الطب والصيدلة وتقدم وسائل العلاج ووفرة الأطباء الماهرين وتزايد الكتب الطبية المؤلفة والمترجمة وجود مبان تجمع علم الطب والصيدلة وتسخرها في خدمة العامة فظهرت المشافي أو الدور أو ما يسمى بالبيمارستان أو المارستانات وهي المستشفيات في الوقت الحاضر والبيمارستانات :وهو لفظ فارسي مُعرب [5]. والمارستان أصلها بالفارسية بيمارستان بفتح الراء وسكون السين، مركبة من بيمار بمعنى مريض وستان بمعنى مكان، ثم اختصرت فصارت مارستان [6]. والمارستان يعني دار المرضى [1]. والبيمارستان والمارستان محل مُعد لمعالجة المرضى وإقامتهم، وهو المستشفى [2]، في

---

(١) هم بنو موسى أبناء شاكر ثلاثة إخوة اشتهروا بعلم الحساب والهيئة، وكانوا يشرفون على حركة الترجمة وجلب المخطوطات من آسيا الصغرى، ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، هامش ١/٢٦٠.

(٢) النديم: المصدر السابق، ص٣٠٤. كذلك القفطي: المصدر السابق، ص٢٠٨.

(٣) فتحي علي يونس: **أثر العرب والمسلمين في الحضارة الأوروبية**، مطابع سجل العرب ،القاهرة، ١٩٩٦م،ص١٣.

(٤) عبد الغني ماجد السروجي: **تاريخ طب الأسنان**، وأصول مزاولة المهنة، المطبعة الجديدة ،دمشق، ١٩٨٦م، ص٣٥.

(٥) إبراهيم أنيس وآخر: **المعجم الوسيط**، ص٧٩.

(٦) الجواليقي: **المُعرب من الكلام**، ج٧، ص٣٦٠؛ ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ص٤٧.

جميع أنحاء الدولة الإسلامية بعد القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي [٣].

ولم يكن الغرض من إنشاء المشافي ليس فقط مداواة المرضى والجرحى فحسب، بل كانت أيضا أماكن تعليم للطب، ومعاهد علمية يتخرج منها الأطباء على اختلاف اختصاصاتهم، فكان لها الأثر العلمي في تقدم علم الطب إلى جانب أثرها الخيري، واهتم بها الخلفاء إلى جانب كبار الأطباء بعلم الطب مما أدى إلى تقدم وازدهار هذه العمارة وانتشارها ونظمت هذه المشافي وأيضا طرق العمل بها من دروس طبية، واختيار الأطباء والصيادلة ثم ترتيبهم واختبارهم وشروط إجازتهم كل ذلك دل على اهتمام العباسيين بها، فقد كانت بمكان الجامعات الطبية ففيها الدروس النظرية إلى جانب الدروس العملية. كما كان الطلاب يتعلمون بمنهج علمي تطبيقي على المرضى أكثر مما يتعلمونه من الكتب، فقد ألف الطبيب علي بن العباس كتابه (الملكي) والمشتمل على الطب النظري والطب العملي اعتمد فيه إلى ما شاهده في المشافي لا مما تعلمه من الكتب.

وسارت في العصر العباسي على وفق نظام إداري وتقني رفيع المستوى ولما تتمتع به من مكانة واهتمام بالغين فكانت تبنى بأمر صادر من الخليفة أو الحاكم والسلطان، وتحت إشرافه مباشرة أو ينوب عنه، كما يقوم بتعيين الطبيب المسئول وفي بعض الأوقات يترك له مهمة اختيار موقع إقامة المستشفى واختيار الأطباء من بعده. فقد أمر الرشيد أمر جبرائيل بن بختيشوع ببناء بيمارستان له [٤]، وكان من نتائج اهتمام الخلفاء بالطب والصيدلة وعنايتهم بالأطباء وبالمشافي وبالترجمة والتأليف في الطب والصيدلة أن استوعب العرب المسلمون المعارف الطبية استيعاباً تاماً، فتربع الأطباء العرب المسلمون في أقصر وقت ممكن على عرش الطب حاملين لواءه ممسكين بزمام تقدمه خلال العصور الوسطى لما تميزوا به من متابعة الدراسة ورغبة في التعلم والتعليم والإفادة من

---

(١) طه باقر: **موجز في تاريخ العلوم والمعارف**، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ،د.م، د.ت، ص١٦٧.

(٢) لويس معلوف اليسوعي: **المنجد في اللغة والآداب والعلوم**، المطبعة الكاثوليكية ،بيروت، د.ت، ص٥٥.

(٣) عباس محمود العقاد: **أثر العرب في الحضارة الأوروبية**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة، ١٩٩٨م، ص٣٧.

(٤) ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء، ص٢٤٥** .

العلم مهما علت منزلتهم العلمية، فقد كان الأطباء يعملون ويتعلمون ويؤلفون ويعطون الدروس لذلك ألف أكثرهم في جميع الاختصاصات الطبية[(1)]

أما عن النظام داخل المشافي فقد كان يتمثل في الكثير منها بتقسيم المبنى إلى قسمين منفصلين، الأول للذكور والآخر للإناث [(2)]، وكل قسم مجهز بما يحتاجه من الآلات وعدة وخدم وفراشين من الرجال والنساء ومشرفين[(3)]. أما رئيس الأطباء، فيقوم باختيار مجموعة من الأطباء وباختصاصات متعددة يأذن لهم في التطبب كل حسب اختصاصه وكان لكل قسم رئيس مختص يُشرف على طائفة من الأطباء في قسمه [(4)].

أما فيما يخص أقسام هذا البيمارستان، فإن أبي أصيبعة أورد معلومات فذكر أنه قد احتوى على أقسام تخصصت في علاج المحمومين والمرضى العقليين والأمراض الباطنة[(5)].

وكانت المشافي تؤثث بأحسن الأثاث حتى قيل إن أثاث بعضها يوازي أثاث قصور الخلفاء والأمراء من فخامته .

وكانت تخضع المشافي للتفتيش والرقابة من المحتسب وكان على الأطباء والكحالين والجراحين والمجبرين والصيادلة أن يؤدوا اليمين أمامه بل وأن ينجحوا في الامتحان المقدم من قبله[(6)].

وكل ما سبق ما هو إلا استكمال لدور الخلفاء في مجالس العلم والعمل في العصر العباسي الذي يعتبر من أزهى العصور الإسلامية والحضارية، فقد اهتم خلفاؤه بالعلوم الطبية وتشجيعهم

---

(١) مريزن سعيد عسيري: **تعليم الطب في المشرق الإسلامي نظمه ومناهجه حتى نهاية القرن السابع الهجري،** مكة، ١٤١٧هـ، ص١٣.

(٢) ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص ٢٢٤-٣٥٢.

(٣) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج٢، ص ١٥٥.

(٤) ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ج١، ص ١٢٦.

(٥) ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص٧٣٢.

(٦) المقريزي:السلوك ، ج٢، ص ٤٠٥.

للأطباء إذ دعوا إلى عقد المجالس الطِّبية التي حضر إليها الأطباء من البلاد الأقاليم التابعة للدّولة كافة [١]. فقد ذُكر أن أبي جعفر المنصور حثَّ على إنشاء البيمارستانات فأنشأ بيمارستاناً للعميان، وداراً للأيتام والقواعد، وخصصّ مكاناً للمجانين يتلقون في العلاج، واهتم باستقطاب الأطباء واستقدام جرجوريوس الطبيب، واهتم بالناحية الصّحية والنفسية. وكان للمحتسب دوره في الخدمات الطبية والصحية، ففي سنة (٣١٩ هـ)، طلب الخليفة المقتدر بالله من سنان بن ثابت الطبيب، امتحان جميع الأطباء ببغداد، وكانوا ثمانمائة وستين طبيباً لمعرفة مدى إتقانهم لمهنتهم، وأمر المحتسب بعدم السماح لطبيب أن يمارس مهنته الا بعد أن يمتحنه سنان بن ثابت [٢].

وتعددت المدارس الطبية وتنوعت بين مدارس نظرية ومدارس تجمع بين الدراسة نظرية والدراسة التطبيقية وتوزعت في أنحاء المشرق العباسي[٣] والتحق بها الكثير من طلاب الطب ونهلوا من علومها وتتلمذوا على أشهر الأطباء وأخرجت أطباء لهم دورهم في الحضارة الإسلامية.

أما عن الطبيب وصفاته، فقدكان هناك صفات يجب على الطبيب أن يتحلى بها ليكون أهلا لممارسة مهنة الطب فبعد اجتيازه لاختبار التخصص، يجب عليه أن يكون حسن الهيئة، كامل الخلقة، صحيح البنية فلا يعالج مريض مريضاً آخر، نظيف الثياب لأن الأوساخ قد تضر بصحة المريض، إذاكان مجروحا أو محروقا فقد تؤثر عليه، متقد البديهة نبيهاً، ومستعدا ذهنياً، يسر من ينظر إليه، وتقبل النفس على تناول الدواء من يديه. وأن يكون قوي الإيمان بدينه، لا يقبل الرشوة ولا يتبع هواه في ما يضر المرضى وأن يبتعد عن الشهوات والملذات [٤]، وأن يكون منظماً لوقته، ملازماً لأساتذته، ويجب عليه أن يعرف علة المريض قبل أن يصرف له الدواء[٥]، كما ينبغي

---

(١) مزيران سعيد عسيري: **تعليم الطب في المشرق الإسلامي نظمه ومناهجه حتى نهاية القرن السابع الهجري**، مكة، ١٤١٧هـ، ص٢٦

(٢) مريزن عسيري: **علم الطب**، ص٢٦.

(٣) مريزن عسيري: تعليم الطب، ص ٥٧-٦٤.

(٤) مريزن عسيري: علم الطب، ص٧٤ — ٧٥.

(٥) مريزن عسيري: **تعليم الطب**، ص ١٦-١٩.

عليه أن يكون مداوماً على كتب الطب وأن يستزيد بكل ما استجد من علومها ودروسها[1].

وظهرت في العصر العباسي بعض **التخصصات في الطب**، فحينما كان الأطباء يدرسون الطب والرياضيات والفلسفة، انصرف بعضهم إلى دراسة فرع واحد من فروع الطب وتعمق فيه وأصبح يعمل ويؤلف فيه،كما هو الحال في الوقت الحاضر، وسوف نتطرق لبعض هذه التخصصات وبعض وسائل الاحتساب عليهم:

الأطباء الجَرَّاحون: وتُسَمِّيهم كتب الحسبة: (الجرائحيين) وهؤلاء كان متوجباً عليهم معرفة كتاب جالينوس المعروف (بقاطاجانس) في الجراحات والمراهم، وكتاب الزهراوي (التصريف لمن عجز عن التأليف) وأن يعرفوا تشريح أعضاء وأجزاء جسم الإنسان وأن تكون لديهم جميع الأدوات اللازمة لصناعتهم[2].

الكحَّالون: وهم من نسميهم اليوم بأطباء العيون وتعطيهم كتب الحسبة أهمية كبيرة لكثرة أمراض العيون آنذاك، ولذا فإن المحتسب كان يُشرِف على امتحانهم بكتاب حنين بن إسحاق (العشر مقالات في العين) فإذا نجح في الامتحان أجازه المحتسب بمزاولة هذه المهنة وقد جاء في كتب الحسبة العديد من الشروط التي يجب أن تتوفر في الكحال ليمارس مهنته على الوجه المطلوب.[3]

ومن الجدير بالذكر أنه إلى جانب أطباء العيون (الكحَّالين) المجازين، كان هنالك كحَّالون غير مجازين أسْمَتْهم كتب الحسبة بكحَّالي الطرقات ووصفتهم بأن أكثرهم لا يوثق به، إذ لا دين لهم يصدهم عن الاعتداء على أعين الناس بدون علم فلا يركن إلى شيء من أكحالهم وأشيافهم ولذا فإن المحتسب كان يلاحقهم عن طريق أعوانه ويختبر سلامة أكحالهم فإذا ثبت غشها أو عدم

---

(١) مريزن عسيري: تعليم الطب، ص ١٥.

(٢) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص ٩٩ – ١٠٠.

(٣) ابن الأخوة: **معالم القربة**، ص ١٦٨.

جدواها تَعَرَّض (كاحل الطرقات) للعقوبة [1].

البيطريون: اهتم المسلمون بعلاج الإنسان واهتموا بعلاج الحيوانات، فقد برعوا أيضا من البيطرة، وهي الطب المتعلق بعلاج الحيوانات وكان المعالج للحيوانات يخضع أيضا لمراقبة المحتسب، فيجب على البيطار أن يكون على حذق وبصيرة بعلل الدواب، لأنه يعالج حيوانا لا يعبر عما به من ألم ولا يتعاطى البيطرة إلا من له دين يصده عن التهجم على الدواب بفصد أو قطع أو كي، وما أشبه ذلك، فيؤدي إلى هلاكها، وقد برع المسلمون أيضا في هذه الحرفة حتى أن أحدهم قد عدد علل الدواب فبلغت ثلاثمائة وعشرون علة ذكر بعضا منها الشيزري في كتابه نهاية الرتبة [2]. ولا شك أن هذه الحرف كانت مصدراً من مصادر الدخل والرزق الحلال لأبناء الأمة. وأعطت أنظمة الحسبة اهتماماً خاصاً لكل ما يتعلق بالمعالجات البيطرية، وقد قال الشيزري في هذا المجال: (البيطرة علم جليل سطَّرته الفلاسفة في كتبهم ووضعوا فيه تصانيف كثيرة، فلا يتعاطى البيطرة إلا من له دين يصده عن التهجم على الدواب بقصد أو كَيٍّ وما أشبه ذلك بغير خبرة فيؤدي إلى هلاك الدابة أو عطبها)[3].

الفصَّادون: تَدُلُّنا كتب الحسبة على أن الفصادة كان يمتهنها أناس يخضعون –قبل الترخيص لهم بمزاولة هذه المهنة– لشروط كثيرة ومشددة، منها أن يكونوا عارفين بتشريح أعضاء جسم الإنسان وشرايينه وأوردته وعضلاته لئلا يقع مبضعهم على عرق غير مقصود فيؤدي ذلك إلى عطب المريض أو هلاكه.

وقد حددت أنظمة الحسبة عشر حالات (أمزجة) لا يجوز للفصَّادين فيها أن يمارسوا أية عملية من عمليات الفصد إلا بعد التشاور مع الطبيب، وبينت الحسبة الأدوات التي كان على الفاصد أن تكون بحوزته، كما أوجبت على ممتهني الفصادة أن تكون لديهم دوماً الأدوية القاطعة

---

(١) الحصونة، رائد عبدالحسين: **الحسبة في الإسلام**، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م، ص ٢٥٧.

(٢) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص ٨٠.

(٣) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص ٨٠.

للنزيف.

وقد كان الشيزري معجباً برجلين من الفصادين بحلب أحدهما أمسك بالمبضع بإبهام رجله اليسرى ثم فصد يده والثاني غطى يده بقطعة من القماش وانغمس في حوض من الماء ثم فصد يده في قاع الماء من فوق قطعة القماش.[١]

الحجَّامون: والحجامة عظيمة المنفعة، وهي أقل خطراً من الفصادة. وينبغي أن يكون الحجَّام خفيفاً رشيقاً، خبيراً بالصناعة، فيخف يده في الشرط ويستعجل ثم يعلِّق المحجمة. وتكون التعليقة الأولى خفيفة سريعة القلع، ثم يتدرج إلى القلع بإبطاءٍ وإمهال. وكان للحجامة أيضا أناس متخصصون فيها، والحجامة هي امتصاص الدم الفاسد أو الزائد، وقد أوجبت أنظمة الحسبة أن تستبعد الحجامة في أول الشهر وآخره وذلك تأمينا لتوازن أخلاط البدن، وكانت تفضل أن تكون الحجامة في وسط الشهر عندما يكون القمر بدراً وخاصة في النصف الأول من النهار.[٢]

ومن مراجعة صلاحيات الحجامين نرى أن الحسبة سمحت لهم بأن يقوموا بأعمال الختان ولذا كان عليهم أن يقتنوا موساً ومقصاً قاطعَيْن لهذا الغرض، وتشير كتب الحسبة إلى أن الختان كان وارداً بالنسبة للنساء أيضا، ومن الواضح أن الحجامة والختان للنساء كان يقوم بها نساء ممتهنات.

المجبِّـرون: وهم الذين يمارسون جبر الكسور وخلع المفاصل، وكانوا يخضعون لامتحان يشرف عليه المحتسب قبل الترخيص لهم بمزاولة هذه المهنة، ولا يجوز لأحد منهم أن يمارس ذلك إلا بعد أن يكون على علم تام بكناش بولص الأجانيطي وخاصة المقالة السادسة منه، كما كان عليه أن يعرف عدد عظام الإنسان وهي مائتا عظم وثمانيةً وأربعون عظماً وصورة كل عظم منها حتى

(١) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص ٩٥.

(٢) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص ٨٩ – ٩٤.

يستطيع جبر كسور العظام وَرَدَّ المخلوع منها إلى موضعه.[1]

ولعل تلك العلوم تجعلنا نتطرق لأبرز من برع في علمي الطب والصيدلة خلال فترة العصر العباسي وبعض مؤلفاتهم فمنهم..

الكندي يعقوب بن إسحاق (ت ٢٥٧ هـ)، اهتم بعلوم الطب والصيدلة والكيمياء وكتب عدة مقالات في الغذاء والأدوية والمسهلات وفي علاج البرص وفي النقرس وفي وجع المعدة وفي الحميات والتهاب الطحال، ومن أهم كتبه: (الطب الأبقراطي، الغذاء والدواء المهلك والأدوية الشافية من الروائح المؤذية، كما ألف رسالة في كيمياء العطور)[2].

وسابور بن سهل الكوسج (ت ٢٥٥ هـ)، صاحب (الأقرباذين الكبير) الذي كان يعمل بموجبه الصيادلة والعطارون ويشتمل هذا المؤلف على عشرين باباً ذكر فيها الأدوية مرتبة بحسب أشكالها الصيدلانية [3].

علي بن سهل بن ربن الطبري (ت ٢٥٥هـ)، صاحب كتاب (فردوس الحكمة وكتاب منافع الأدوية والأطعمة والعقاقير وكتاب حفظ الصحة) وغيرها [4].

أبو بكر الرازي (ت ٣٢٠ هـ)، يعتبره المؤرخون من أعظم أطباء القرون الوسطى وترك الرازي الكثير من المؤلفات أهمها كتاب (الحاوي) الذي يعد من أهم ما كتب في علمي الطب والصيدلة وصف فيه الأمراض المنتشرة ودون مشاهداته وخبراته فيها. ثم يليه كتاب (المنصوري) وغيرها الكثير من المؤلفات في الطب والصيدلة والكيمياء، وامتاز الرازي بوفرة الإنتاج وقد سلك في

---

(١) ابن الأخوة: **معالم القربة**، ص ٦٩.

(٢) حسين، محمد كامل، **الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب**، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، تونس، ص٣٦٥.

(٣) حسين: **الموجز في تاريخ الطب**، ص ٣٧٢.

(٤) الكيالي، طه اسحق: **تاريخ الطب والأطباء في حلب وأطباء الأسنان والصيادلة**، ج١، وزارة الإعلام، دمشق، ١٩٩٩م، ص ٣٣٥.

أبحاثه مسلكاً علمياً سليماً، فأجرى التجارب، واستخدم الرصد والتتبع في علم الكيمياء وقد طبق معلومات في حقل الطب [(١)].

علي بن العباس الأهوازي (المجوسي) (ت ٤٠٠ هـ): يعتب كتابه (كامل الصناعة الطبية) من أهم مؤلفاته حيث بقي مرجعاً لعلماء الشرق والغرب على حد سواء، وظهر فيه دوره الهام في حقل الصيدلة، ويمتاز في تأليفه بلغته السليمة وتعابيره الجميلة. وأطلق على الكتاب اسم (الملكي) وأهداه لملك بغداد عضد الدولة البويهي [(٢)].

ابن سيناء (ت ٤٢٨ هـ): يعد ابن سينا شخصية فذة وعبقرية نادرة، فقد ترك ما يزيد على مائة مؤلف في مختلف العلوم والفنون، كتبت كلها باللغة العربية، عدا كتاب واحد تكلم فيه عن النبض ودونه بالفارسية [(٣)]. واهتم ابن سينا اهتماماً بالغاً بدراسة الأعشاب لاستخراج الأدوية التي تستخدم لعلاج المرضى وقد نجح في ذلك، وكانت أعماله في العقاقير الطبية أساساً متيناً في وضع علم العقاقير والصيدلة، كان كتاب (القانون) أشهر مؤلفاته فقد كان مرجعاً رئيساً لطلاب الطب والصيدلة في البلاد الإسلامية والأوروبية حتى نهاية القرن الثامن عشر[(٤)].

أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (ت ٤٤٣هـ): كانت له مراسلات مع ابن سينا وضعها في كتاب أسماه "الآثار الباقية من القرون الخالية" [(٥)]، ويعتبر كتابه "الصيدلة في الطب" من أهم مراجع الصيدلة [(٦)].

---

(١) الرازي: أبو بكر محمد بن زكريا، **صيدلية التداوي من كتاب الحاوي**، مجربات الرازي في الطب والتداوي، شرح محسن عقيل، دار المحجة البيضاء، ط٤، ٢٠٠٤م، ص٥؛ عسيري: **تعليم الطب**، ص٧٩-٨١.

(٢) عسيري: **تعليم الطب**، ص٨٣-٨٤؛ الدفاع، علي عبد الله، **إسهام علماء العرب والمسلمين في الصيدلة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ص ٢٨٥-٢٦٥.

(٣) عسيري: **تعليم الطب**، ص٨٨؛ الدفاع: المصدر السابق، ص ٣٠٢.

(٤) مريزن عسيري: **تعليم الطب**، ص٨٨؛ الكيالي: **تاريخ الطب والأطباء**، ص ٣٠٧.

(٥) الكيالي: **تاريخ الطب والأطباء**، ص ٣٣٨.

(٦) الدفاع: **إسهام علماء العرب والمسلمين في الصيدلة**، ص ٣٣٥.

أمين الدولة ابن التلميذ البغدادي (ت هـ): عرف باسم ابن التلميذ النصراني، ترأس البيمارستان العضدي ببغداد، كما أنعش حقل الصيدلة بمصنفاته الثلاثة: أقرباذينية العشرين باباً، وأقرباذينية الموجز البيمارستاني وهو ثلاثة عشر بابًا. والمقالة الأمينية في العضد [1]. وغيرهم الكثير من من كان لهم ولمؤلفاتهم دور في تطور علمي الطب والصيدلة.

وبعد ذلك نصل إلى الاحتساب على الأطباء ودور المحتسب في الرقابة على مهنة الطب بكل فروعها.

الاحتساب على الأطباء ومن في حكمهم:

يعتبر نظام الحسبة في الإسلام من أروع النظم التي طبقت في تاريخ البشرية للحفاظ على المصالح العامة، وكان من نتائج نظام الحسبة في المجال الطبي أن منع دخول المتطببين الجهلة إلى ميدان الطب لكيلا يضروا بالناس ويغروا المرضى ويوهموهم أنهم أطباء وهم لا يعرفون من الطب شيئاً. فلم يكن المحتسب أو من يقوم مقامه يسمح للطبيب بالممارسة إلا بعد أن يمتحنه كبار الأطباء ويصدرون له إجازة بالممارسة[2].

ولم يكتف المحتسب بذلك بل كان يراقب أعمال الأطباء والصيادلة والغشاشين وأضرابهم حتى لا يحدث خلل أو خطأ. وله سلطات واسعة في معاقبة المتعدي عند ثبوت عدوانه. وله أن يمنعه من مزاولة المهنة.

وكان على من يود ممارسة مهنة البيطرة أن يقدم امتحاناً تحت إشراف المحتسب ليكون مجازاً بهذه المهنة. وقد كانت حرفة الطب تخضع للأشراف من قبل المحتسب فيجب على الطبيب بذل النصح، والرفق بالمريض وكان المحتسب يحذره من الاستعجال وعدم الفهم وجلوسه لطب الناس

---

(١) الدفاع: المرجع السابق، ص ٣٥٦.

(٢) مريزن عسيري، **المرجع السابق**، ص٨٧.

قبل استكماله الخبرة والأهلية العلمية [١].

ويُنصح الطبيب أثناء معالجته للمرضى أن يعالج بالأغذية ما أمكن دون الأدوية لا سيما المركبة، وألّا يلتفت إلى الأدوية المجهولة، وألّا يعالج بها إلا بعد التجربة والمشاهدة [٢].

ويجب على المحتسب أن يخوفهم ويعظهم وينذرهم بالعقوبة والتعزير وتخضع عقاقيرهم للمراقبة في كل أسبوع [٣].

إن المتطلبات العلمية والعملية التي كان يحتاج إليها الطبيب ليصبح مؤهلا لممارسة الطب كثيرة وصعبة، وقد ذكر ما ذكره الشيزري في كتابه، أن من لم يحصل على هذه المؤهلات "فلا يحل له مداواة المرضى، ولا يجوز له الإقدام على علاج يخاطر فيه، ولا يتعرض إلى ما لم يحكم علمه من جميع ما ذكرناه" [٤].

وكان رجال الحِسْبة يُنتخبون من بين الأشخاص الذين يوثق في دينهم وأخلاقهم، وكان عملهم في البداية مقتصراً على إسداء النصح بصورة عامة، وحثهم على عدم الغش والخداع، ولا يحق له أن يقاضي الناس إنما عليه أن ينذرهم بالعقوبة وأن يخبر القاضي بالمخالفين لأوامر الدين، ولما ازداد أصحاب المهن الطبية، وشاع الغش، أصبح من الضروري وضع حد لذلك، وتحول نظام الحِسْبة من إسداء النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى نظام تفتيش ومحاسبة وامتحان، وأُمر المحتسب بعدم السماح لطبيب أن يمارس مهنته الا بعد أن يمتحنه سنان بن ثابت (٥). فينبغي للمُحْتسِب أن يُحلف الأطباء بالله، وكذلك قسم أبقراط وعلى أن لا يعطوا أحداً دواءً قاتلاً ولا مضراً، وأن يمتحنهم بكتاب يوحنا بن ماسويه المعروف بـ "محنة الطبيب"، وأيضا كتاب جالينوس

---

(١) السبكي: **معيد النعم**، ص ١٣٣.

(٢) مريزن عسيري: **تعليم الطب**، ص ٨٣.

(٣) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص ٤٢.

(٤) الشيزري: المصدر السابق، ص ٤٢.

(٥) مريزن عسيري: **علم الطب**، ص٢٦.

المعروف أيضا بـ "محنة الطبيب"[(١)].

وقد كان على المحتسب محاسبة الأطباء كلاً في مجال تخصصه وهي كالتالي:

الحسبة على الفصاديين: فينبغي أن لا يقوم بالفصد إلا من اشتهر بمعرفته تشريح الأعضاء، والمفاصل والعروق والشرايين[(٢)] ومعرفة تركيبها وكيفيتها، حتى لا يؤدي بعدم معرفتها إلى هلاك المفصود [(٣)]. وقد أكدت كتب الحِسْبة ومنها الشيرازي في كتابه "نهاية الرتبة في طلب الحسبة" بأنه على المحتسب أن يتأكد بأن الجراح يعرف التشريح وأعضاء جسم الإنسان [(٤)]. ولأهمية تشريح الأعضاء وتلافي الخطر، فيجب على من يقوم بالفصد بأن يتعلمونه على أوراق السلق حتى تستقيم أيديهم [(٥)]، وأن يأخذ عليهم العهد ألا يفصدوا إلا في الأمزجة التي اتفقوا عليها، وليحذر من يقوم بذلك إلا بعد مشاورة الأطباء [(٦)]، أما بالنسبة للحجامة فهي ذات منفعة عظيمة، وأقل خطراً من الفصد، وينبغي على الحجام أن يكون خفيف اليد خبيراً بها [(٧)].

الحِسْبة على الكحالين (أطباء العيون): فيجب أن يمتحنهم المحتسب بكتاب حُنين بن إسحاق (العشر مقالات في العين) فإن كان عارفاً بتشريح عدد طبقات العين السبعة وعدد رطوباتها الثلاث وعدد أمراضها الثلاث، وما يتفرع من هذه الأمراض، فإن كان خبيراً وعالماً بها، ومعه جميع الآلات الخاصة بجراحتها مثل صنانير السبل والظفر ودرع المكاحل، وغير ذلك سمح له بممارسة عمله [(٨)].

---

(١) ابن بسام: **نهاية الرتبة** ص١٠٨-١٠٩.

(٢) الشريان: بفتح السين وكسرها وجمعها شرايين وهي العروق النابضة ومنبعها القلب = الرازي: **مختار الصحاح**، ص٣٣٧.

(٣) ابن بسام: المصدر السابق، ص١١٠.

(٤) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص ٧٥.

(٥) المصدر نفسه، ص٧٥.

(٦) ابن بسام: المصدر السابق، ص١١٠-١١١. كذلك الشيزري: المصدر السابق، ص ٧٥.

(٧) ابن الأخوة: المصدر السابق، ص٧٧.

(٨) ابن بسام: المصدر السابق، ص١١٩. كذلك ابن الأخوة: المصدر السابق، ص٢٢٧-٢٢٨. نقولا زيادة: **المحتسب في الإسلام**، المطبعة الكاثوليكية (بيروت، ١٩٦٢)، ص١٠١. حسان حلاق: **الادارة المحلية للمحتسب**، ص٨١.

الحِسْبة على الجراحين: فيمتحنهم المحتسب بكتاب جالينوس المعروف بقطاجانس في الجراحات والمراهم، وأن يكونوا عالمين وخبراء به، مع معرفتهم بالتشريح وأعضاء جسم الإنسان، وما فيه من الشرايين والأعصاب، وإن كان طبائعياً (طبيب باطني) كان أفضل، وإن لم يكن طبائعياً، الأفضل أن يحضر معه طبائعياً، وكذلك المجبر أيضا [(١)]،وقد أكد الزهراوي [(٢)] على ضرورة أن يرتاض الطبيب علم التشريح حتى يقف على منافع الأعضاء وحياتها ومزاجاتها واتصالها وانفصالها ومعرفة العظام والأعصاب والعضلات وعددها ومخارجها. ويجب أن يكون معهم دست المباضع الذي يحتوي على العديد من الأدوات ومرهمدان [(٣)] المراهم، ودواء الكندر القاطع للدم[(٤)].

الحسبة على البياطرة: يجب على المحتسب ملاحظتهم والاهتمام بشؤونهم، فلا يُمكّن أحد من مزاولة هذه المهنة إلا إذا كان له دين يمنعه من التهجم على الدواب بغير خبرة فيؤدي إلى هلاكها [(٥)]، ولا بد للبيطري من الدراية التامة بأمراض المواشي وكيفية علاجها، ويمتحنه الوالي في معرفته بعلل الدواب، وتقليم حوافرها وفصد عروقها وما يحدث فيها من العيوب[(٦)]، فإن ظهرت خبرته أذن له وإلا منعه [(١)]، وعلل الدواب التي ذكرها الحكماء في كتاب البيطرة ثلاثمائة وعشرين

---

(١) الشيزري: **نهاية الرُتبة**، ورقة ٨٢-٨٣. كذلك ابن بسام: المصدر السابق، ص١٢٢.

(٢) هو خلف بن عباس الزهراوي، ولد في مدينة الزهراء بالقرب من قرطبة، وإليها نسبته، من أهل الفضل والدين والعلم، خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة، جيد العلاج، وله العديد من المصنفات في الطب، توفى سنة (٤٢٧هـ/١٠٣٥م). أحمد بن يحيى الضبي: **بُغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري (القاهرة، ١٩٨٩) ٣٥٧/١؛ كذلك ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص٥٠١؛ إسماعيل باشا البغدادي: **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، دار إحياء التراث العربي (بيروت، د.ت) ج١، ص٣٤٨؛ الزركلي: **الأعلام**، ج٢، ص٣١٠-٣١١.

(٣) شريط من القماش يوضع عليه المرهم = ابن بسام: المصدر السابق، هامش رقم (١٤) ص١٢٣.

(٤) ابن الأخوة: المصدر السابق، ص٢٢٨؛ ابن بسام المصدر السابق، ص١٢٢-١٢٣.

(٤) عسيري: المرجع السابق، ص٨٧.

(٥) الشيزري: نهاية الرتبة، ص٨٠؛ ابن الأخوة: معالم القربة، ص ١٥٠.

(٦) نقولا زيادة: المحتسب في الإسلام، ص١١٩

علة [2]، فلا يهمل المحتسب امتحان البيطري خوفا على حياة الدواب وحرصاً على سلامتها [3].

وبهذا كان لدور الحسبة والمحتسب أثر واضح في تطور العلوم جميعها بما فيها علم الطب والصيدلة وكان لحرص الخلفاء على رقابة الطب الدور الكبير في وصول العرب والمسلمين لمنزلة نافست من قبلها من الحضارات، كما وضعوا في جميع هذه الاختصاصات المصنفات الطبية الضخمة والتي تدل على براعتهم ومهارتهم في المجالات كافة..

الحسبة على الصيادلة[4].

الصيدلة مهنة من أشرف المهن، لأنها تعمل على حفظ الصحة، والصيدلانيون[5] هم المتخصصون بهذه المهنة وتحرص على سلامة الناس وعدم تعرضهم للضرر. وقد أدى الاهتمام بالطب وترجمة الكتب الطبية المختلفة إلى تحضير الأدوية وتجهيزها وبذلك نشطت صناعة الكيمياء والصيدلة معاً، ويعتبر المسلمون هم المؤسسون الحقيقيون لمهنة الصيدلة لأنهم رفعوها من مستوى تجارة الأدوية إلى إنشاء الصيدليات وتحضير الأدوية وإقامة الرقابة على الصيدليات والصيادلة وإنشاء المدارس لتحضير كتب الأدوية وصناعة الأدوية[6].

---

(١) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص٨٠-٨١؛ ابن الأخوة: **معالم القربة**، ص ١٥٠-١٥١.

(٢) نقولا زيادة: **المحتسب في الإسلام**، ص١٢٠.

(٣) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص٨٣.

(٤) الصيدلة لغةً: في لسان العرب: مشتقة من صيدن والصيدن حجر الذهب وربما اعطيت بهذا الاسم لنفاستها ودقة العمل، ويقول الفيروزابادي: أنها مشتقة من الصيدل معناها حجارة الفضة فشبهت هذه الحجارة بحجارة العقاقير فنسب إليها الصيدلاني. ويعرفها البيروني بقوله: أن الصيدلاني مشتقة من الصندل. ابن منظور: **لسان العرب**، ج١٣، ص ١٤٠؛ الفيروز أبادي: **القاموس المحيط**، ج٤، ٢٤١. وشرعا هي علم الصيدلة يعرف بعلم صناعة الأدوية وما يتصل بأسمائها وتصنيفها واكتشافها وأصحابها وتاريخها ولها صلة وثيقة بعلم الاعشاب (النبات) وبعلم الحيوان وعلم الكيمياء لهذا فإن الأدوية نباتية كانت أو معدنية أو حيوانية تحتاج إلى دراية في أصلها وإلى نسب في التراكيب تقتضي معرفة الكيمياء. البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد ، **الصيدلة في الطب**، مراجعة غضنفر التبريزي، مصر، د.ت، ص١٠

(٥) الصيدلانيون: مفردها صيدلاني، وهو المتخصص في جمع الأدوية على أحسن صورها واختيار الأفضل من أنواعها مفردة ومركبة على أحسن التراكيب، ثم يقوم ببيعها للمرضى. البيروني: **الصيدلة في الطب**، ص ٣.

(٦) ابن خلدون: **المقدمة**، ص٤٩٢.

وهكذا نرى أن علم الصيدلة شأنه شأن العلوم الأخرى مرَّ بمرحلة الترجمة ثم مرحلة التلخيص والشرح وأخيرًا وصل إلى مرحلة الكشف والابتكار في العصر الذهبي للحضارة الإسلامية.

وإذا أردنا أن نبحر في هذة الحرفة يجب علينا أولا أن نبدأ **بالشروط الواجب توفرها في الصيدلاني**:

وضعت ضوابط وشروط يجب توافرها فيمن يلي مهنة الصيدلة كونها مهنة إنسانية عظيمة الشأن، لكي تساعده أن يكون مؤهلاً لممارسة مهنة الصيدلة وهي كالتالي، عليه أن يضع الله ومخافته نصب عينيه وأن يخاف الله في عباده(١)، عليه أن يلازم من سبقه في هذا المجال ليتعلم منه أسرار المهنة ويأخذ منهم الخبرة الكافية ويتعلم منهم ويتدرب على العلاج بين أيديهم (٢).

ويجب عليه أن يكون عالماً حذقاً بأنواع الأدوية، وأشكالها، وألوانها، وخواصها، ومخشوشها وأفعال هذه الأدوية وأثرها في بدن الإنسان وهنا يأتي دوره في القضاء على المرض بعد أن يبحث جيدا في علة المريض وأسبابه ويعالجه حتى يتم عافيته (٣). ولحسن خُلق الصيدلي من أبرز الصفات التي يجب أن يتحلى بها لأنها تساعد المريض وتجعل منه مقبلاً على العلاج بعكس لو كان الصيدلي متجهماً فإنه يصد المريض وقد يصاب المريض بحالة نفسية مؤقتة نتيجة مرضه مما يكون للصيدلي دور كبير في زوال هذه الحالة بالتحدث مع المريض وطمأنته عن حالته وإعطائه الأمل في الشفاء (٤).

وإذا توافرت هذه الشروط في الصيدلاني والتزم بها يصبح عنده معرفة تامة ودقيقة بأنواع

---

(١) حاجي خليفة: **كشف الظنون**، ج١، ص ١٨٧.

(٢) ابن ماسويه: يوحنا الدمشقي، **النوادر الطبية**، القاهرة، ١٩٣٤م، ص ٣٢.

(٣) ابن ماسويه: النوادر الطبية، ص ٣٢؛ القزويني : زكريا بن محمد بن محمود ،**مفيد العلوم ومبيد الهموم**، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمة، بيروت، ١٩٨٥ م، ص ٢٥٤.

(٤) ابن أبي أصيبعة: **عيون الأطباء**، ص ٤٦.

الأدوية تتبعها معرفة تامة لجميع الأمراض التي تتكون في أي عضو من جيد المريض عالماً بالعلاج متخذاً الطرق اللازمة لذلك.

أما عن صناعة الأدوية والعقاقير الطبية فلم تذكر المصادر الشيء الكثير مقارنة بالصناعات الأخرى ولكن يمكن استخراج بعض المعلومات عن أهم ما أنتج في هذا المجال [1].

أضاف الكيميائيون في حياة المجتمع العباسي صناعة جديدة تضاف إلى ميدان الأدوية والعقاقير الطبية والعلاجات من خلال أدوية جديدة، فقد اكتشفوا من خلال تجاربهم الكثير من التركيبات التي لها قوة شفائية وعلاجية وحرصا منهم على حياة البشر فقاموا بتجربتها أولا على الحيوانات لمعرفة مستوى منافعها ومضارها [2].

وبهذا فقد برعوا في مجال صناعة الأدوية واستحضار الأشربة والحبوب الطيبة، فأنتجوا شرابا منعشا حلو المذاق، أو مواد مركبة ومغلفة حلوة المذاق ليتقبلها المريض، فقاموا بتغليف حبات الأدوية المرة بغلاف من السكر [3]، كما أضيف السكر والعسل إلى بعض الاشربة، فاستعمل السكر لعلاج بعض التهابات المجاري البولية ويصلح لكل الأعمار[4].

واكتشفوا أيضا أنواعاً من الأشربة [5] كعلاج لمختلف الأمراض وبرعوا في تحضير وصنع وتركيب الضمادات والمساحيق والمراهم ونجحوا في صناعة المراهم التي تجف مع الوقت [6].

واستخرج صيادلة بغداد دهن اللوز الذي يُتخذ في علاج مرض السَل واستعملوا

---

(١) الدوري: **تاريخ العراق الاقتصادي**، ص ١١٢.

(٢) هونكه: **شمس العرب تسطع على الغرب**، ٣٢٨؛ محمد، محمود الحاج قاسم: **ماذا أضاف العرب لعلم الصيدلة**، مجلة المورد، العدد ٣، بغداد، ١٩٧٣ م، ص ٥٠.

(٣) عبد الرحمن: حكمت نجيب، **دراسات في تاريخ العلوم عند المسلمين**، جامعة الموصل، ١٩٧٧م، ص٣٤٠.

(٤) المجوسي، علي بن عباس ، **مخطوط كامل الصناعة الطبية**، ج١، ص٢٠٧.

(٥) خير الله: ابن اسعد، **الطب العرب**ي، بيروت، ١٩٤٩ م، ص ١٨٨.

(٦) المجوسي:**كامل الصناعة الطبية**، ج١، ص ٨٤ وما بعدها.

الخلاصات العطرية في مجال صناعة الأدوية [١].

وقد كان الصيادلة يستوردون الأعشاب والعقاقير من أصل نباتي وحيواني من البلاد التي تتوفر فيها، وعرفوا خصائص العديد من المواد وأهميتها في معالجة الأمراض، مثل القرفة وجوز الطيب والصندل والكافور، والتمر الهندي والسنامكي، وكذلك مركبات الزيت والأفيون[٢]، فقد كانت معروفة عندهم، قبل اشتغالهم بالصيدلة[٣].

كان للمسلمين شرف ابتكار الحلو المستخرج من نبات الكرنب مع السكر ولا يزال يطلقون عليه كلمة (syrop) وهي مأخوذة من كلمة شراب بالعربية، ومن الأدوية أيضا الزنجفر والزنجار والمراداسنج[٤] التي أنتجت في المدن الإسلامية مثل بغداد ونيسابور وغيرها[٥].

وقام الصيادلة العباسيون في مجال التأليف في علم الصيدلة بالالتزام بكتابة أسماء النباتات باللغة العربية وما يقابلها باللغات الأخرى المتداولة آنذاك، وكانت قوائم المواد الطبية تتضمن نصوصاً تستعرض للحالات المرضية وما يوافقها من أدوية وآراء حول هذه الأمراض وطرق علاجها، وطرق تحضير الأدوية الخاصة بذلك.

وقد ألفت الكتب الكثيرة لعدة أسباب أهمها لحماية المستهلك الذي كان يجهل كيفية الغش والتدليس والتلاعب من قبل العطارين والعشابين، وتدريب وتعليم ممارسي المهنة ليتمكنوا من

---

(١) ابن أبي أصيبعة: أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس ، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ٢٠١٠ م، ج١، ص ١٤١؛ المجوسي: **كامل الصناعة الطبية**، ج١، ص٢١١؛ غنيمة: صناعة العراق في عهد العباسيين، ص ٥٨٠؛ الدوري: **تاريخ العراق الاقتصادي**، ص ١١٢.

(٢) الأفيون: عقار مخدر وهو العُصارة المستخرجة من الحبات غير الناضجة لنبات الخشخاش، ويرجع أثره أو مفعوله إلى محتوى المورفين وهو يزيل الألم ويُشعر صاحبه بالنشوة والانتعاش، وله تأثير في جلب نوم عميق لمستخدمه وسهل إيقاظه جابر عبد الحميد وآخر: **معجم علم النفس**، ٢٥١١/٥.

(٣) عفاف الرشيدي الخضر: **الطب العربي من ١٠٠٠ سنة**، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد الخامس، السنة الأولى، دار السياسة للصحافة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م، ص٤٦.

(٤) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص ١٢٨.

(٥) هونكه: **شمس العرب**، ص ٣٢٩.

تحضير الوصفات الطبية بسهولة ويسر، وبذلك نجد الصيدلة كعلم بدأ بالظهور الفعلي بشكل مستقل في العصر العباسي، وأخذ بالتطور وجمع الخبرات وتدوينها.

وقد اهتم المسلمون بالصيدلية، فكانت في بغداد أول صيدلية منظمة تمد الناس بالأدوية كما وضعوا كثيراً من المصنفات والكتب في خواص الأدوية وتركيبها وتصنيفات وفصولها وخواصها(١).

وكانت الأدوية تباع في دكاكين العطارين أيضا، ولما تفشى الغش فيها في العصر العباسي الأول، اضطر المسئولون إلى تنصيب رؤساء للامتحانات وإعطاء الإجازات إلى اللذين يحسنون الصناعة، ونفي الآخرين، وكانت الصيدلية تخضع لإشراف المحتسب وذلك منذ عهد المعتصم سن ٢٢١ هـ (٢).

أما عن الاحتساب عليهم: فكما ذكرنا من أهمية علم الصيدلة وبسبب تعلقها بحياة الناس فقد نظمت الحسبة على الصيادلة، فعليهم أن يراقبوا الله في ما بين أيديهم من حياة وعلى ذلك فيجب على المحتسب أن يفطنهم ويخوفهم بالعقوبة والتعزير ويعتبر عليهم عقاقيرهم كل أسبوع. وأسند إلى المحتسب أمر الرقابة على الصيادلة وذلك لكثرة ما يقع منهم من الغش، وعليه الضرب على أيديهم إذا خالفوا أصول المهنة، وأضافوا إلى عقاقيرهم ما يفسدها ويخرجها عن خواصها العلاجية (٣).

وعلى المحتسب كمثل أي صنعة من الصنائع الأخرى أن يعين عليهم عريفاً عالما بصنعتهم وحاذقا بها، خبيرا بمهنتهم بصيراً بغشوشهم، لأن العقاقير نحو ثلاثة آلاف عقار، ولها أشباه وأمثلة

---

(١) فراج: عز الدين ، **فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية**، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ٢١٤.

(٢) عفيفي: **تطور الفكر العملي عند المسلمين**، ص ١٨٨-١٨٩.

(٣) الشيزري: **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، ص ٤٢؛ ابن بسام: **نهاية الرتبة**، ص ٨٥؛ ابن الأخوة: **معالم القربة**، ص١٦٤.

تدانيها وتقاربها في الصورة وتنافيها [(١)].

وفي غشوشهم قال الشيزري في كتابه: " تدليس هذا الباب والذي بعده كثير ولا يمكن حصر معرفته على التمام، فرحم الله من نظر فيه وعرف استخراج غشوشه فعرفها في حواشيه تقرباً إلى الله تعالى، فهي أضر على الخلق من غيرها لأن العقاقير والأشربة مختلفة الطبائع والأمزجة والتداوي على قدر أمزجتها، فمنها ما يصلح لمرض ومزاج فإذا أضيف إليها غيرها أحرفها فأضرت بالمريض لإمالة فالواجب على الصيادلة أن يرقبوا الله عز وجل في ذلك[(٢)] ".

ومن وسائل الغش لدى الصيادلة في بعض النباتات والأدوية فكانوا يغشون الأفيون المصري بشياف ماميتا [(٣)]، ويغشوه أيضا بعصارة ورق الخس البري ويغشونه أيضا بالصمغ وعلامة غشه، أنه إذا أذيب في الماء ظهرت له رائحة كريهة كرائحة الزعفران أن كان مغشوشاً بالماميتا وإن كانت ضعيفة وهو خشن كان مغشوشاً بعصارة الخس، والذي هو مر صافي اللون ضعيف القوة يكون مغشوشاً بالصمغ [(٤)]. لذلك كان المحتسب يمر على الصيادلة كل أسبوع.

ومن نماذج الغش التي كانت موجودة في ذلك العصر والتي لجأ إليها الصيادلة أنهم قد يغشون الرواند[(٥)] بنبته يقال لها رواند الدواب [(٦)]، وعلامة غشه أن الرواند الجيد هو الأحمر الذي

---

(١) ابن الأخوة: **معالم القربة**، ص ١٦٤؛ ابن بسام: **نهاية الرتبة**، ص ٨٥.

(٢) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص ٤٢.

(٣) ماميتا: أو ماميثا هو نبات شبيه بالخشخاش وكان أكثر ما يغش هذا النبات بالخشخاش وهو زهر ثمرتها معوج كالقرون، ابن البيطار: ضياء الدين عبد الله، **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، القاهرة، ١٢٩١م، مج ١، ج١، ص ١٠٨.

(٤) الشيزري: **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، ص٤٢؛ ابن الأخوة، **معالم القربة**، ص ١١٥ – ١١٧؛ ابن بسام، **نهاية الرتبة**، ص٨٥.

(٥) الرواند: هو أصل أسود وهو شبيه بنبتة تسمى القنطريون الكبير إلا أنه أصغر منه وأقرب إلى الحمرة ولا رائحة له رخوة إلى الخفة وله لزوجة وقبض ضعيف. وإذا مضغ كان في لونه صغره وشيء من لون الزعفران، وإذا شرب نفع من الريح وضعف المعردة وأوجاع كثيرة، وينبت في المواضع التي فوق البلاد ومن هناك يؤتى به. ابن البيطار: **الجامع**، مج ١، ج١٢، ص ١٢٩.

(٦) رواند الدواب: نبات يجلب من نواحي عمان من أرض الشام وهي عروق خشبية طوال مستديرة في غلظ الأصبع أو أكثر إلى الصلابة ما هي ظاهرة أغبر اللون كمدة ومكسرها أملس تعلوه صفرة مشوية بيسير من الزقة. ابن البيطار: المصدر السابق، مج ١، ج ٢، ص ١٣١.

لا رائحة له، ويكون خفيفاً وأقواه الذي يسلم من السوس، وإذا نقع في الماء كان في لونه صفرة وما خالف هذة الصفة كان مغشوشاً [١].

وقد يغشون الطباشير بالعظام المحروقة بالأتانين، ومعرفة غشها أنها إذا طرحت في الماء رسب العظم وطفا الطباشير[٢]، وأيضا كان على المحتسب أن ينتبه إلى بعض الصيادلة قد يغشون القسط[٣] بأصول الراسن [٤]ومعرفة غشه أن القسط له رائحة إذا وضع على اللسان يكون له طعم والراسن بخلاف ذلك[٥].

ومنهم من يغش قشر اللبان بقشور شجر الصنوبر، وقد يغشون الشمع بشحم المعز بالرخام[٦] والقلقند. ومنهم من يغش دهن البلسان بدهن السوس [٧].

ومما سبق يتبين لنا أن المحتسب قد لعب دورا مهما في الرقابة على الصيادلة والإشراف عليهم من أجل منع حالات الغش في صناعة الأدوية والتي انتشرت بين الصيادلة، وكان أكثر الخوف يأتي على صحة المرضى من الصيادلة الذي يعملون لحسابهم ويفتحون حوانيت خاصة بهم لبيع الأدوية والأعشاب فهؤلاء همهم الكسب المادي وليس صحة المرضى ولذلك حرصت الدولة على هذة الصنعة وكلفت المحتسب بمراقبة إنتاج الأدوية وصناعتها وأماكن بيعها لمنع أي نوع من

---

(١) الشيزري: نهاية **الرتبة في طلب الحسبة**، ص٤٢؛ ابن الأخوة، **معالم القربة**، ص ١١٨؛ ابن بسام، **نهاية الرتبة**، ص٨٥.

(٢) ابن الأخوة: **معالم القربة**، ص ١٢٢.

(٣) القسط: هو نبات أبيض خفيف وذو رائحته طيبة قوية، ويجلب من بلاد الهند، وهو غليظ أبيض خفيف مثل القثاء، وفيه مرارة كثيرة وكثيفة جدا وحرارة وحراقة حتى لا يقرح لذلك فوائدة الطبية كثيرة. ابن البيطار: **الجامع**، مج٢، ج٤، ص ١٨.

(٤) الراسن: نبات شبيه بالدقيق الورق من النبات غير أنه أخشن وأطول وليس له ساق، وله أصل عظيم طيب الرائحة فيه حرافة ياقوتي اللون. ابن البيطار: **الجامع، مج١**، ج٢، ص ١٢٨.

(٥) ابن الأخوة: **معالم القربة**، ص ١٢٣.

(٦) رخام: نوع من الحجارة أبيض اللون أو ملون أو مجزع ناعم وهش. عبد الرحيم غالب: موسوعة العمارة، ص ١٩٩

(٧) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص٤٦. دهن السوس: يصنع من خليط عبارة عن تسعة ارطال من الزيت وخمس اوراق من قصب وتعجن بخمر طيب.

أنواع الغش والتدليس[1]. وقد امتحن الصيادلة، ومنحت إجازة عمل لكل صيدلي تثبت أمانته، وأصبح مجال صناعة الأدوية وبيعها تحت رقابة المحتسب بشكل كامل [2].

وبهذا أولت الدولة جل حرصها والاهتمام البالغ في الطب والأدوية كون هذه المهنة من المهن الخطيرة التي تمس حياة الناس وصحتهم بشكل مباشر، فقد أخذت حيزاً واسعاً من تفكير الخلفاء آنذاك، ويتضح لنا أهمية دور المحتسب ومدى صلته بحياة الناس والحفاظ عليها ومدى إخلاصه في عمله ودوره الأساسي في بقاء المجتمع سليماً معافى ولذلك تعتبر مهنة المحتسب مهمة ومقدسة من قدسية حياة العامة.

---

(١) الشيزري: **نهاية الرتبة** في طلب الحسبة، ص٤٦-٤٧؛ ابن الأخوة، **معالم القربة**، ص ١١٥ – ١١٧؛ ابن بسام، **نهاية الرتبة**، ص٩٣-٩٥.

(٢) الشيزري: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص٤٢-٤٧؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص٨٥-٩٢.



المبحث الرابع:

الحسبة على العطارين
ومن في حكمهم.

المبحث الرابع: الحسبة على العطارين ومن في حكمهم

أشتهرت هذة الصناعة في أقاليم المشرق، خاصة العراق وبلاد فارس، فقد تفنن وأبدع الصناع فيها أيما تفنن، وتأنقوا في إنتاجها لضرورتها في مجتمع أنيق كالمجتمع العباسي، وتوسع الإنتاج الصناعي لها بسبب الطلب الزائد عليها الذي فرضته طبيعة المجتمع العباسي الذي كان يتميز بالترف وتراكم الثروة. كان لصناع هذه الصنعة مهارة خاص فيهم ميزتهم عن باقي الصناع[1].

وعرفت المدن في العراق والمشرق بكثرة الإنتاج الصناعي للدهون والعطور بما كان يتناسب مع مظاهر الحياة العامة. وكان لهذه الحرفة مصانع ومشاغل خاصة لاستخراج أنواع مختلفة من هذه المواد. وكان لها أسواق خاصة مثل باقي الحرف والمهن آنذاك [2]، فعرف سوق للزيت في بغداد[3]، وسوق خاصة في الكوفة تسمى سوق الزياتين [4].

وعرفت العديد من الزيوت التي استخرجها الصناع وصنعوها في مدن العرق مثل دهن الورد، ودهن البنفسج، ودهن اللوز، ودهن السمسم، ودهن الخروع وزيت الزيتون [5]. ودهن القطن والكتان وبلغت الكوفة شهرة واسعة في مجال إنتاج الدهون وكان لصناعتها مهارة خاصة ميزتهم عن باقي صناع المدن الأخرى. حتى أن المعتصم لما بنى سامراء جلب عمال الزيت من الكوفة من بين الذين استقدمهم من البلدان من أصحاب الحرف[6].

---

(١) ضيف: شوقي، **العصر العباسي الأول**، ط٣، دار الممعارف، القاهرة، ص ٤٩-٥٠.

(٢) اليعقوبي: **البلدان**، ص ٢٩؛ الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ج١، ص٨١؛ ابن الجوزي: **مناقب بغداد**، ص ٢٨.

(٣) الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ج١، ص ٨١.

(٤) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد إبراهيم، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٢٢م، ج ٧، ص ١٥٦.

(٥) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٦٠؛ ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء** ج١، ص ١٤٩؛ ابن الأخوة: **مغالم القربة**، ص٢٢٨.

(٦) اليعقوبي: **البلدان**، ص ٢٩.

وفي مجال العطور والأدهان العطرية شهد العراق ازدهاراً زراعياً في العصر العباسي تعدى حدود الزراعة التقليدية إلى زراعة أنواع الورد على نطاق واسع في الحدائق العامة والخاصة وكان من نتائج ذلك توسع صناعة استخراج العطور والأدهان العطرية المستخرجة من الورد بأنواعه وذاع صيت بغداد بهذه الصنعة وكانت عطورها تصدر إلى الأقاليم الأخرى، فصار لها سوق سميت بسوق الطيب" [1].

وكانت أهم الدهون العطرة تؤخذ من البنفسج والخيري والنيلوفر والنرجس والسوسن والزئبق والنارنج والورد والطلع والزعفران وغيرها[2].

واستخلصت الدهون العطرة من النباتات والبذور بشكل واسع واستفيد منها في الطب والتطيب كما سبق ذكره [3]. وكانت تستخدم الأدهان لأغراض طبية بشكل واسع وأن هذه الأدهان كانت ذا تأثير واضح وواسع في شفاء الكثير من الأمراض [4].

ومن العطور التي كانت تتصدر استخدامات العباسيين الخلفاء قبل العامة عطر (الغالية) الذي كان من أمهات العطور، فلم تخلوا خزائن الخلفاء والأمراء والقادة والأثرياء منه، وكان الخلفاء يهتمون به ويقدمونه على غيره من العطور حتى اقتنوا كميات كبيرة منه [5].

وقد أنتج الصناع إنتاجاً خاصاً بالخلفاء والأمراء والأثرياء أحدها أنهم كانوا يسحقون كميات من المسك التبتي النادر بما يعادل مائة مثقال مع ما يساويه من العنبر للحصول على

---

(١) ابن الجوزي: **في مناقب بغداد**، ص ٢٨؛ غنيمة: **صناعات العراق في عهد العباسيين**، ص٥٨٠.

(٢) المقدسي: **أحسن تقاسيم** ص ٤٤٢؛ عواد: ميخائيل **صور مشرقه من حضارة بغداد في العصر العباسي**، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١م، ص ٣١

(٣) ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ج١، ص ١٤١؛ الدوري: **تاريخ العراق الاقتصادي**، ص ١١٢؛ غنيمة: **صناعات العراق في عهد العباسيين**، ص ٥٨٣.

(٤) التنوخي: **نشوار المحاضرة**، ص ج١، ص ٢٨٩.

(٥) ابن الجوزي **المنتظم**، ج٦، ص ٧٢؛ الصابئ: **رسوم دار الخلافة**، ص٣٢.

غوالي الخلفاء الذي يختلف عن غوالي العامة [1].

وكان يصنع لبعض الخلفاء عطور خاصة بهم، فكان يصنع للرشيد (١٧٠هـ-١٣٩هـ/٧٨٦م-٨٠٩م) عطر خاص تدخل فيه العديد من النباتات العطرية كالعود والكافور والزعفران ويجعل في وعاء ويغلق جيدا لحفظ رائحته، ولا يلمس باليد لأنه يفسد، ولذلك يكون له ملعقة يتناول فيها الشخص العطر [2]، وكان الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣- ٨٣٣م) معجباً كبيراً بهذا النوع من العطور، وكان يصنع عطر الغالية لنساء الخلفاء والوزراء أيضا [3].

وكانت الكوفة والبصرة من أشهر مناطق العراق في صناعة العطور فصنعت دهان الخيري وماء الورد ودهن البنفسج الشهير [4]. وبرع عطارو الكوفة في صناعة دهن الخير والبنفسج وتفوقوا على سابور من أقاليم فارس [5]. وصنع بها دهن البان الذي كان يستعمل لدهن الأيدي في الشتاء لغرض ترطيبها، واستعملته النساء كعطر نسائي تغمس فيها خمائرهن [6]. وكانت العطور من الهدايا الثمينة التي تقدم للخلفاء في المناسبات.

وتميزت أقاليم المشرق الإسلامي وبالأخص بلاد ما وراء النهر وفارس بصناعة العطور وخاصة فارس ويعود الفضل إلى توفر النباتات العطرية وأنواع الزهور التي تزخر بزراعتها مدن فارس[7]، وحظيت مدينة سابور بنشاط زراعي للنباتات العطرية وإنتاج العطور والأدهان.

---

(١) اليعقوبي: **البلدان**، ص ١٢٢.

(٢) الثعالبي: **لطائف المعارف**، ص ٢٠٤.

(٣) اليعقوبي: البلدان، ص ١٢٢.

(٤) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص٢٥٢؛ الإصطخري: **المسالك والممالك**، ص٩٢؛ البكري: **المسالك والممالك**، ج١، ص ٢٢٩.

(٥) الاصطخري: **المسالك والممالك**، ص ٩٢؛ ابن حوقل: **صورة الارض**، ٢٦١؛ البكري: **المسالك والممالك**، ج١، ص ٢٢٩؛ متز: **الحضارة الإسلامية**، ج١، ص ٢٦.

(٦) اليعقوبي: **البلدان**، ص ١٢٣؛ البكري: **المسالك والممالك**، ص ٣٢٩.

(٧) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص ٤٢٤-٤٣٢-٤٣٤-٤٤٣؛ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ج٢، ص ٦٧٥.

وقد قال في ذلك ياقوت الحموي: "وبسابور الأدهان الكثيرة، ومن دخلها يشم روائح طيبة حتى يخرج منها وذلك لكثرة رياحينها وأنوارها وبساتينها" [١]و أشهر ما زرع فيها الرياحين والبنفسج والياسمين [٢].

وصنع بنيسابور الكثير من الأدهان العطرية التي تصدر إلى الأقاليم الأخرى وهي عشرة أنواع وهي بنفسج، نيلوفر، نرجس، كادي، سوسن، زئبق، ومرسين ومرز نجوش، وبارنك ونارنج[٣]. واشتهرت شيراز بصنع أنواع من الأدهان، كدهن البرد والبنفسج والنيلوفر والياسمين[٤].

وكانت نيسابور مركزا مهما لإنتاج وبيع العطور وأشهرها عطر الريحان وعطر النرجس وعطر التفاح وعطر الماورد [٥].

وعرفت فارس صناعة أخرى، وهي صناعة ماء الورد، الذي كان يستخرج من ورد زكي الرائحة يسمى الجوري[٦] يتمثل برائحته الطيبة[٧]. وكانت جور آنذاك أكثر وأغزر أعمال فارس إنتاجا [٨]من غيرها من المدن وحظيت بالمكانة الأولى لغزارة إنتاجها وجودته [٩]. ونسب إليها أحسن الماورد المعروف بماء الورد الجوري[١]، الذي كان يحضر من أزهار الورد والطلع والزعفران

---

(١) ابن الفقيه: **مختصر كتاب البلدان**، ص ٢٠٤؛ الحموي: **معجم البلدان**، ج٣، ص١٦٨.

(٢) ابن الفقيه، **البلدان**، ص ٢٠٤؛ ابن حوقل، **صورة الأرض**، ث٣٣٠؛ الحموي: **معجم البلدان**، ج٣، ص ١٦٨.

(٣) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص٤٤٣.

(٤) القزويني: **آثار البلاد**، ص ٢١٠.

(٥) السمعاني: **الأنساب**، ج٤، ص٤٤١.

(٦) الجوري ورد أحمر صافي اللون من أجمل أنواع الورد ويتميز بطيب رائحته. القزويني: آثار البلاد / ص ١٨١.

(٧) القزويني: آثار البلاد ص ١٨١؛ الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسيني الشريف ، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٢هـ /٢٠٠٢م، ج ١، ص ٤٠٧.

(٨) ابن حوقل: **صورة الارض**، ص ٢٦١؛ البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، **المسالك والممالك**، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢ م، ج١، ص ٤٣٩.

(٩) الاصطخري: **المسالك والممالك**، ص ٩٢؛ الثعالبي: ثمار القلوب، ص ٤٢٧.

والخلاف، وأنتجت الجور أيضا ماء الخلاف وماء الزعفران ودهن الخلاف يعلو على ما ينتج في باقي المدن في الإقليم(٢).

وقد كان ماء الورد يحمل من مدينة جور لجودة إنتاجه فيها إلى جميع أنحاء الارض شرقاً وغرباً(٣). وكانت من أفضل المدن الرئيسية المنتجة للعطور(٤). وتصنع وتصدر من بلح الطيوب والأدهان والاترج والنيلوفر(٥).

وأشتهرت مدن أخرى في بلاد ما وراء النهر بصناعة العطور بسبب توفر زراعة النباتات العطرية مثل فرغانة التي زرعت الرياحين والورد والبنفسج (٦). وكانت بخارى تصدر الدهون إلى الأقاليم والمدن المجاورة (٧).

ومن العطور التي صُنعت في بلاد ما وراء النهر المسك التي كانت تجلب مواده من الهند. وكان من العطور الجيدة غالية الثمن (٨).

ولعل إنتاج العطور وتنوعه وتوزعه وازدياد حركة التجارة والاستيراد والتصدير داخل الدولة العباسية أو خارجها يدل على مدى ما وصل إليه العطار في العصر العباسي ومدى جودة ما تنتجه أيادي الصناع والحرفيين، واهتمت الدولة بهذه الصناعة كسائر الصناعات ووضعت الشروط والآداب التي يجب على العطارين الأخذ بها، وأوكلت للمحتسب أيضا مراقبة وتطبيق هذة القواعد

---

(١) ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص ٢٦٠- ٢٦١؛ الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ج١، ص٤٠٧.

(٢) الاصطخري: **المسالك والممالك**، ص ٩٢؛ ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص ٢٦٠-٢٦١.

(٣) الاصطخري: **المسالك والممالك**، ص ٩٢؛ ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص ٢٦٠.

(٤) لسترنج: **بلدان الخلافة الشرقية**، ص ٤٧٢.

(٥)الإصطخري: **المسالك والممالك**، ص ١٥٧؛ ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص ٣٧٦؛ لسترنج: **بلدان الخلافة الشرقية**، ص ٤٧٢ .

(٦) ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص٣٩٧-٣٩٨؛ المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص ٣٢٥؛ القزويني: **آثار البلاد**، ص ٤٠٥.

(٧) ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص٣٦٤؛ المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص ٣٢٤-٣٢٥.

(٨) ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص ٣٨٥.

لتبقى صناعة لها وزنها وأهميتها في الدولة العباسية.

أما الاحتساب عليهم فيكون أن يعين عليهم عريفاً عليهم عالما بصناعة العطور وتراكيبها وماهرا فيها وعالماً بطرق الغش فيها ويقوم المحتسب بمراقبة غشوشهم كخلط بعض المواد مع العطور مثل العظام والصمغ لتزيد من وزنها فيجب عليه التأكيد من ذلك ومعاقبة من يثبت ذلك [١].

وطرق غشهم ما يلي طرق **غش المسك** كالتالي أن يتم خلطه بسنبل الطيب وبرادة العود ودار صيني وقرنفل بعد طحن هذه المواد العطرية، أو أن يتم خلط المسك وغشه بدم الأخوين أو صمغ شجر الصنوبر وهنالك العديد من المواد التي يغش بها المسك كالرامك والسك.

وطريقة الكشف عنه فيقوم المحتسب أو عريفه بتذوق المسك فإن كان طعمه حاداً جداً فهو أصلي أو أن يوضع منه شيء في الفم ثم يلقيه على قطعة قماش بيضاء اللون، فينفضه فإن لم يترك أثراً فهو أصلي وإذا ترك أثرا فهو مغشوش [٢].

ويتم غش **العنبر** بخلطه بالصمغ الأسود اللون أو الشمع الأبيض، أو أن يضاف إليه ما يعرف بـ (لسان حب العصفور) وأيضا يتم غشه بإضافة العود المطحون وصمغ شجرة السماق والشمع الأبيض. ويكشف عنه بوضع جزء منها في النار فيتبين الغش من رائحته وطريقة احتراقه[٣].

وغش **الكافور** عن طريق خلطه بمسحوق الرخام وذلك بطحن الرخام والصمغ وخشب الخروع ونوى البلح وتتم معرفة المغشوش منه بأن يوضع في الماء فإذا ترسب فهو مغشوش وإن لم

---

(١) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص ٤٨؛ ابن الأخوة، **معالم القربة**، ص ١٩٩؛ ابن بسام: **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، ص٩٦.

(٢) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص ٤٨-٥٠؛ ابن الأخوة، **معالم القربة**، ص ٢٠١-٢٠٢؛ ابن بسام: **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، ص٩٦-٩٧.

(٣) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص٥٠- ٥١؛ ابن الأخوة، **معالم القربة**، ص ٢٠٢؛ ابن بسام: **نهاية الرتبة في طلب** الحسبة، ص٩٦-٩٧.

يترسب وطفا فوق سطح الماء فهو أصلي نقي[1].

وطرق غش **الزعفران** هو رشه بالماء والسكر لكي يزداد وزنه، ومعرفة غشه تتم بتذوقه، فإن كان طعمه حلواً فهو مغشوش، وكذلك يغش الزعفران بأن يؤخذ لحم الدجاج ويطبخ بالكركم ويخلط مع الزعفران وتتم معرفته بأن ينقع بالخل فإن تقلص فهو مغشوش وإن لم يتقلص وينكمش فهو أصلي [2].

أما عن غش **البان** ودهنه فمن طرق غشه بأن يستبدل بدهن حب القطن ونوى المشمش ويضاف إليه المسك. ويكشف عنه بأن يقطر على قطعة قماش بيضاء ثم يغسل فإذا بقي فيها أثر فهو مغشوش، وان لم يتبق فهو أصلي[3].

أما عن غش **العود الهندي** عن طريق أخذ خشب الصندل وينقع في ماء الورد المقطر وينقع معه المسك والكافور لمدة عدة أيام ثم يخرجه ثم يعيده ومن ثم يخرجه ويجففه، ويُكشف غشه بأنه إذا ألقي في النار فلا يحترق المغشوش بنفس سرعة احتراق العود الأصلي [4].

أما عن غش **اللبان** فيعرف بأن يضاف إليه من قشور شجر الصنوبر ومعرفة غشه بأن يلقى في النار فإن احترق وفاحت له رائحة فهو أصلي خالص [5].

وغش **الغوالي** فيعرف عنه بوزن المواد العطرية المركبة منها، وكذلك هناك من يغش الغالية

---

(١) الشيزري: **نهاية الرتبة، ص** ٥١؛ ابن الأخوة، **معالم القربة**، ص ٢٠٤-٢٠٥-٢٠٦؛ ابن بسام: **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، ص٩٦-٩٧

(٢) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص ٥٢-٥٣؛ ابن الأخوة، **معالم القربة**، ص ٢٠٠-٢٠١؛ ابن بسام: **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، ص٩٦-٩٧

(٣) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص ٥١؛ ابن الأخوة، **معالم القربة**، ص ١٩٩؛ ابن بسام: **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، ص٩٦-٩٧

(٤) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص ٥٤-٥٥؛ ابن الأخوة، **معالم القربة**، ص ٢٠٤؛ ابن بسام: **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، ص٩٦-٩٧

(٥) ابن الأخوة، **معالم القربة**، ص ٢٠٠؛ ابن بسام: **نهاية الرتبة في طلب** الحسبة، ص٩٦-٩٧

بإضافة السمسم المقشور إليها في أثناء تحضيرها، وقد يضاف أيضا الورق المحروق والشمع ومسحوق الرخام، ويمكن الغش في الغوالي من خلال اللون والرائحة والقوام [1].

وبهذا تظهر لنا مدى أهمية هذه الصنعة والتطور الذي حصل وتنوع مصادر موادها وأماكن تصنيعها وحرص الدولة العباسية على تنظيمها ومنع الغش فيها وتنظيم أسواقها والارتقاء بها والحصول على أفضل ما تنتجه.

(١) الشيزري: **نهاية الرتبة، ص** ٥٣-٥٤؛ ابن الأخوة، معالم القربة، ص ٢٠٣؛ ابن بسام: **نهاية الرتبة في** طلب الحسبة، ص٩٦-٩٧



المبحث الخامس:

الحسبة على أصحاب المعادن ومن في حكمهم.

المبحث الخامس : الحسبة على أصحاب المعادن

أزدهرت كثير من الصناعات المعدنية في العالم الإسلامي إبان العصر العباسي، وساعد على ذلك تنوع المواد الخام في جميع أنحاء الدولة، مما ساعد على انتعاش الصناعات المعدنية، وأدت المعادن دوراً اساسياً في أكثر من مرفق صناعي، إذ تعددت أنواع الأدوات المصنوعة من هذه المعادن وبخاصة الحديد الذي يعد من المعادن الكثيرة الفائدة إذ ما من صنعة إلا وله فيها مدخل[(١)]. وشملت الصناعة المعدنية صناعة الأدوات المنزلية والالآت العلمية، والسلاسل الحديدية لربط الجسور وتثبيت الطواحين وسد منافذ الموانئ، وصنعت منها الأبواب والشبابيك وكذلك الأدوات الزراعية [(٢)].

وأدى التقدم العلمي في العصر العباسي إلى تطور كبير في ميدان صناعة المعادن، بعد التطورات العمرانية الواسعة في المدن والقرى، ومن ركائزه الأساسية توفير الالآت والأدوات المعدنية اللازمة لهذه النهضة.

استخدم الحديد والنحاس والصفر والبرونز والفولاذ لصنع أنواع من الأدوات متنوعة لدرجة تثير الدهشة، وقد شمل فن التزيين، الحفر والتلبيس، والتطعيم، ونقش الحافات بنقوش صلبة أو جوفاء زيادة على التذهيب والترصيع [(٣)].

وكانت في المدن أسواقا خاصة للحدادين يزاولون بها حرفهم ويعوضون بها إنتاجهم، كسوق الحدادين في بغداد [(٤)]، والكوفة، وواسط [(٥)] وغيرها وعلى إثر قيام الدولة العباسية وانتقال مركز الخلافة من دمشق إلى بغداد صارت بغداد مركزا مهما من مراكز هذه الصناعة. واستمرت

---

(١) الأبشيهي: **المستطرف في كل فن مستظرف**، ج٢، ص١٧٢.

(٢) الحسو: **الصناعة في العراق**، ج٢، ص٢٠٨-٢٠٩.

(٣) الدوري: **تاريخ العراق الاقتصادي**، ص١١٠-ص١١١.

(٤) ابن الجوزي: **المنتظم**، ج ٦، ص١٥٩.

(٥) الحموي: **معجم البلدان**، ج٥، ص٣٥٠.

بإنتاجها للأدوات المعدنية التي بقيت قائمة حتى نهاية العصر العباسي (٦٥٦هـ /١٢٥٨م) [(١)]. فكان الحدادون يصنعون شبابيك الحديد، والكراسي والأبواب [(٢)]واتبع أصحاب الحرف أسلوب عرض إنتاجهم في الأسواق المخصصة لهم إذ وضع الصفارون القدور بأحجامها المختلفة والأواني والجرار والأبواب النحاسية والقناديل والشمعدانات [(٣)]، وكانت صناعة القدور مزدهرة في القرنين والخامس الهجريين [(٤)]. وقد وجدت بعض القطع الأثرية والمعدنية أثناء التنقيبات في مدينة بغداد، منها على سبيل المثال إبريق معدني يعود إلى النصف الأول من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي مزينا بنقوش غاية في الروعة والفن، كما عثر على مجموعة من الأساور والخلاخل تعود إلى نفس الفترة في قصر العاشق قرب سامراء [(٥)]، وأسهمت الكوفة والحيرة في هذا الميدان الصناعي فأنتجت الأبواب الحديدية [(٦)]، وأواني الطبخ والقدور من النحاس [(٧)].

وعرفت واسط الصناعات المعدنية كالأدوات المنزلية والشبابيك والأبواب الحديدية لما لها من أهمية في حياة عامة الناس [(٨)]، فيذكر المقدسي أن صناع واسط كانوا يصنعون الطشوت والأباريق وغيرها [(٩)].

وطغت شهرة الموصل على غيرها من مدن العراق في صناعة المعادن، دون أن تتوقف المدن الأخرى عن إنتاجها، فقد غدت منذ القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، المركز الأول

---

(١) ابن الفوطي: **الحوادث الجامعة**، حوادث سنة ٦٥٦ هـ، ص٣٢٥.

(٢) الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ج١، ص٧٥؛ ابن الفوطي: **الحوادث الجامعة**، ص٢٤؛ غنيمة: **صناعات العراق في عهد العباسيين**، ص٥٧٣.

(٣) الدوري: **تاريخ العراق الاقتصادي**، ص ١١٠.

(٤) السمعاني: **الأنساب**، ج٤، ص ٤٦٠.

(٥) حميد: عبد العزيز، **التحف المعدنية**، البحوث المنشورة ضمن كتاب حضارة العراق، بغداد، ١٩٨٥م، ج١، ص٢٨٢.

(٦) الحموي: **معجم البلدان**، ج٢، ص ٤٩٨.

(٧) الزبيدي: **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة**، ص ١٩٧.

(٨) المعاضيدي: **واسط في العصر الاموي**، ص ٤٤٩- ص٤٥٠.

(٩) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص١٢٩.

للصناعات المعدنية في العراق، وبرز صناعها في إبداع التحف المعدنية بالفضة والذهب في القرنين السادس والسابع الهجريين / الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، وتميزت منتجاتها بدقة الزخارف المطعمة، باستخدام الذهب في التطبيق والتكفيت، حتى أنها طغت على شهرة جميع المدن في الأقاليم الأخرى المنتجة للتحف المعدنية في العالم الإسلامي قاطبة [١]، وكان لمدرسة الموصل أكبر الأثر في تطور صناعة المعادن في سائر الأقطار الإسلامية، فقد رحل منها صناع كثيرون إلى مدن العالم الإسلامي الأخرى وأسسوا مدارس جديدة لصناعة التحف المعدنية [٢].

واشتهرت الموصل بصنع الأسطال والسلاسل والنشاب والسكاكين[٣] وانتشرت في الموصل وما حولها صناعة الموازيين والمكاييل الحساسة جدا [٤]. وكانت حران مركز صناعة الالآت الهندسية الرياضية الدقيقة [٥]، كالأسطرلاب الذي كان عادة ما يصنع من البرونز والنحاس [٦]، ويستعمل هذا الجهاز لغرض قياس ارتفاع النجوم والقمر والشمس[٧]، وحظيت موازين حران بشهرة فائقة[٨].

وكان لتوفر وتنوع المعادن في بلاد فارس وبلاد ما وراء النهر، أثر واضح لانتعاش الصناعات المعدنية، فقد أنتجت أقاليمها ومدنها أنواعاً متعددة من الأدوات المنزلية بأشكالها كافة، فضلاً عن إنتاج الالآت والأجهزة العلمية والسلاسل والأبواب الحديدية وأواني الزينة ولعب الأطفال وأعمدة البناء والأواني المطعمة وغيرها.

إن كل ما وصلنا من التحف المعدنية لمدن المشرق الإسلامي بين القرنين الثالث والسادس

---

(١) حميد: **التحف المعدنية**، ج٩، ص٢٨٩.

(٢) حسن: **الفنون الإيرانية**، ص٢٣.

(٣) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص١٤٥.

(٤) المقدسي: **المصدر السابق**، ص١٤٥-ص١٤٦.

(٥) ابن الفقيه: **مختصر كتاب البلدان**، ص ١٣٢.

(٦) أمين: **ظهر الإسلام**، ج٢، ص٢٤٦.

(٧) الدوري: **تاريخ العراق الاقتصادي**، ص١١١.

(٨) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ١٤٥؛ التنوخي: **نشوار المحاضرة**، ج٨، ص١٦.

للهجرة (التاسع والثاني عشر للميلاد) عثر عليها في مدن همذان والري وسمرقند [١].

وأبدع ما أنتجوه أوان مصنوعة من البرنز أو النحاس الأصفر مكفتة بالفضة والنحاس الأحمر، وكانت مناطق شرق فارس تصنع الأواني من الصفر المطعم بالفضة وخاصة مدينة حران[٢]، حيث بلغت جودة التطعيم درجة عالية من الإتقان والجودة [٣].

وهناك مجموعة من الأدوات والأواني المصنوعة في المشرق بحدود عام(٤٠٠ هـ/ ١٠٠٩م) منها قدح من البرونز، وقدح مخروطي من الفضة وإبريق من الفضة، وأسطرلاب من النحاس، وإناء من الفضة، وصينية من الفضة [٤]، وكانت للأباريق والطشوت وأدوات الزينة والمصابيح والمباخر والصناديق النحاسية والمجرات، وأدوات المنزل للأعراس مكانتها في صناعة المعادن في المشرق الإسلامي [٥].

وكانت اصطخر أهم مناطق استخراج الحديد وتصنيعه [٦]. وفي طوس صنعت القدور من معادن النيروز فضلاً عن الالآت الأخرى، وبرع صناع شيراز بعمل السكاكين والأقفال الجيدة والتي تصدرها إلى باقي البلدان [٧]. وأنتجت تستر أعمدة الحديدة وبلاط الرصاص المستعملة في البناء[٨]. وكان المهرة من الصناع في نيسابور ينتجون أدوات حديد كالإبر والسكاكين وغيرها من المواد المعدنية والتي تعتمد على صهر المعادن وتصنيعها، وفي سجستان كانت تصنع أبواب الحديد، بينما كان لقلعة بخارى سبعة أبواب من الحديد [٩]، فكانت صفائح الحديد تدرج ضمن الأقاليم

---

(١) حسن: **الفنون الإيرانية**، ص٢٤١.

(٢) الفزويني: **آثار البلاد وأخبار العباد**، ص٤٨١.

(٣) إدريس: **تاريخ العراق والمشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي**، ص ١٨٧ – ص ١٨٨.

(٤) منيمنة: **تاريخ الدولة البويهية**، ص٣٦٣.

(٥) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص٤٤٢.

(٦) ابن البلخي: **فارس نامة**، ص ٢٤–ص٢٥.

(٧) القزويني: **آثار البلاد وأخبار العباد**، ص٤١١.

(٨) القزويني: **المصدر السابق**، ص١٧٠.

(٩) ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص٣٩٩.

فقد كانت خراسان تقدم هذه الصفائح ضمن الضرائب السنوية للدولة (١٣٠٠) لوحة كبيرة من الحديد [١].

وكان الصفارون في سمرقند يصنعون قدورا جميلة من النحاس [٢]يسع كل منها (١٠٠٠) لتر أو أكثر، وكذلك فرغانة واسبيجاب تصنع آلات من النحاس والحديد التي تضم خراسان ويحمل منها إلى باقي مدن فارس والعراق [٣]. وأنتجت بخارى بعض الصناعات المعدنية[٤]، ويصدر من إقليم الشاش آلات النحاس والحديد كالأبر والمقاريض والقدور[٥].

إن كثرة معدن الحديد في بلاد ما وراء النهر شجع على نمو صناعة المعادن بمختلف أنواعها بما يزيد عن حاجتهم، فأصبحت هذه البلاد مصدراً لتزويد الأقاليم بما تحتاجه منها [٦].

وقد كان لاهتمام بلدان ما وراء النهر وفارس بالثروة المعدنية وحسن استغلالها دور كبير في وضعها في مراكز متقدمة من التقدم الصناعي فقد احتلت فارس المركز الأول وتلتها بلاد ما وراء النهر في استخراج وإنتاج المعادن وتصنيعها.

وقد كانت تستخرج الفضة بكميات وفيرة من مدينة بنجهير[٧] بجبال هندكسون في الوقت الذي استنفذت فيه مناجم الفضة بأصبهان[٨]، وبلاد فرغانة واشتهرت بغداد ومصر بالصياغة،

---

(١) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص٣٤٠.

(٢) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص٣٢٥.

(٣) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص٣٢٥، الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ج١، ص٥٠٦.

(٤) النرشخي، **تاريخ بخارى**، ص٣٠.

(٥) لسترنج، **بلدان الخلافة الشرقية**، ص٥٣١.

(٦) الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص١٦١.

(٧) بنجهير: بفتح الباء ونون ساكنة وهاء مكسورة وياء ساكنة وراء، مدينة بنواحي بلخ فيها جبل الفضة وبلخ مدينة مشهورة بخراسان، ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج١ ص٤٧٩.

(٨) أصبهان :سميت بأصبهان بن نوح وهو الذي بناها، وقيل سميت أصبهان لأن "أصبه" بلسان الفرس "البلد" و"هان" الفرس، ومعناه بلد الفرسان، هي مدينة في إيران تقع جنوب طهران على نهر زندرود، الحميري: **الروض المعطار**، ص ٤٣؛ عبد الحكيم العفيفي: **موسوعة ألف مدينة إسلامية** (ط١، بيروت– لبنان، أوراق شرقية، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)، ص ٥٤.

ونبغ فيها الفرس وبلغت صناعتهم شأنا عظيما في الدقة والجمال[1].

وبهذا التنوع يتضح لنا ما وصلت إليه مهن صناعة المعادن من مكانة تكاد أن تنافس الكثير من الصنائع التي تعتمد عليها حياة العامة في عصر الخلافة العباسية، ومدى إتقان وجودة ما يقدمه الصانع والحداد من أدوات ذات جودة عالية ولكي يحفظ حق الصانع والمشتري سنت الشريعة الإسلامية الكثير من الأحكام لحفظ الحقوق وكما تقدم وسبق ذكره أوكلت مهمة تنفيذ هذه الأحكام إلى المحتسب، وتمثلت أحكام أصحاب المعادن في الكثير من كتب الحسبة، منها ما ذكره الشيزري في عدد من حالات الغش في هذه الصنعة والتي ينبغي تجنبها مثل، لا يجوز لهم مزج النحاس بالحبق الذي يخرج للصاغة وسباكي الفضة عند السبك، فإنه يصلب النحاس ويزيده يبساً، فإذا أفرغ منه طاسة أو هاون انكسر سريعاً مثل الزجاج، وينبغي ألا يمزجوا النحاس المكسور من الأواني وغيرها بالنحاس المعدني الذي لم يستعمل، بل يسبك كل واحد منهما على انفراده ويعمل منفردًا. أما الحدادون فلا يضربون سكينًا ولا مقرضًا ولا محصفًا وما أشبه ذلك من الأرمهان، ويبيعونه على أنه فولاذ، فإن ذلك تدليس. ولا يخلطون المسامير الرجيعة المطرقة بالمسامير الجديدة الضرب، ولا يعملون إلا الفولاذ المصفى للسكين والمقص والموس[2].

وأضاف ابن الأخوة إلى ما تقدم أنه لا يجوز للنحاسين، إذا اشتروا قطعة نحاس فيها لحامات إلا أن يطلع المشتري عليها، وإن كانت مما يبيض فيأمرهم أن ينقشوا عليها بقلم غليظ حتى يعرفه المشتري ويدخل على بصيرة، فإن أخفاه ولم يطلعه عليه كان غاشًا، فإن أطلع بعد ذلك المشتري عليه ثبت له الرد وعزره المحتسب على غشه [3]. وقد ذكر ابن الأخوة عند كلامه عن الحدادين أنه لا يجوز لهم أن يخلطوا المسامير الرجيعة المطرقة بالمسامير الجديدة المضروبة ويضعوها

---

(١) حسن: حسن إبراهيم: **تاريخ الإسلام السياسي**، القاهرة، مكتبة النهضة، ط٧، ١٩٦١م، ج٢، ص ٢٤٨؛ حسن: زكي محمد: **فنون الإسلام**، القاهرة، ١٩٤٨م، ج٣، ٢٤٩-٢٥٠.

(٢) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص ٧٩.

(٣) ابن الأخوة: **معالم القربة**، ص٢٣١.

حتى لا يشك المشتري أنها جديدة وتباع، وهو الذي يسمى عندهم المزدوج، فيعتبر المحتسب ذلك عليهم، في المسامير والمساحي والمحاريث وجميع أصناف الحديد، فمن وجده فعل ذلك عزره وأشهره، فإن تكرر ذلك منه أقامه من بين أظهر المسلمين [١].

ويجب على المحتسب أن يعرف عليهم عريفاً ثقة، ويأمره أن يمنعهم أن يخلطوا المسامير الجديدة في العتيقة لأن ذلك تدليس. وتكون أرطالهم دون أرطال جميع البيعة، فنحن أمرنا أن تكون أرطالهم حجارة مجلدة مختومة بالرصاص مكتوباً عليها بخط المحتسب، لأن الحديد يمكنهم فيه الزيادة والنقصان، والحجارة بضد ذلك ويعتبر عليهم المحتسب أيضا موازينهم[٢].

وقد قام الحدادون بدور هام في الدولة العباسية وخاصة في مجال صناعة السلاح، إذ يقع عليهم عبء كبير في صناعة الأسلحة وتزويد الجيوش بها، وإمداد بيوت السلاح بما يلزمها من الأسلحة المختلفة [٣]. وقد كانت لهم أسواق خاصة أيضا في المدن الكبرى كبغداد والفسطاط وغيرها من المدن الإسلامية الأخرى، وكان يسمى باسمهم (سوق الحدادين).[٤]

وقد كان للرخاء والرفاهية التي وصلت لها المدن الإسلامي في العهد العباسي دور كبير في ظهور وبروز صنائع أخرى، كصنعة الصياغة التي كانت نتيجة لمظاهر الترف والبذخ، فقد كان لا يخلو إقليم أو مدينة من تجار هذه الصنعة[٥].

وانتشرت هذه الصنعة ولاقت رواجا وإقبالاً كبيراً بين الخاصة والعامة ويرجع ذلك لازدياد القدرة الشرائية وتراكم الاموال ونشاط الأسواق المستمر آنذاك [٦].

---

(١) ابن الأخوة: **معالم القربة**، ص٢٣٢.

(٢) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص ١٤٢.

(٣) حسن الباشا: **الفنون الإسلامية**، ج١، ص ٤٢.

(٤) ابن الجوزي: **مناقب بغداد**، ص ٢٩؛ ابن الاثير: **الكامل في التاريخ**، ج١١، ص٢١٧.

(٥) ابن خلدون: **المقدمة**، ص ٣٧٧.

(٦) الأبشيهي: **المستطرف في كل فن مستظرف**، ج ٢، ص١٧٥.

وقد اشتهر عن المرأة في العصر العباسي لبسها أنواعا من الحلي، وتسارعن للحصول على النفيس منها والغالي مما حدا بعضهن للوصول حد البذخ، وقدمت صنعة الصاغة[١] سيدات البيت العباسي بالكثير من أدوات الزينة والحلي.[٢]

وقد أمدتنا الكتب التاريخية بالكثير عن اقتناء الخلفاء للحلي والمصوغات والجواهر والتي فاضت بها خزائنهم، وذكر أن أمهات بعض الخلفاء تركوا من الحلي والجواهر ما قيمته مليون دينار[٣]، وأخرى مليونا دينار [٤]، وكانت أكثر هذه الحلي مصنوعة من الذهب والفضة وقد زينت بكتابة بصورة فنية.[٥] وقد رصعت بعضها بالجواهر النفيسة والأحجار الثمينة [٦]، وكانت أقاليم الخلافة الشرقية هي المصدر لتزويد العاصمة العباسية ومدن الخلافة الأخرى بالذهب والفضة ويأتي في مقدمتها إقليما خرسان[٧] وكرمان[٨].

وقد عجت مدن الدولة العباسية بالصاغة وأسواقهم [٩]، وفيها ضربت المسكوكات والنقود من الذهب والفضة والنحاس [١٠]، والتعامل بها في التجارة يعود الكثير منها إلى زمن الخلفاء

---

(١) الصاغة: هي جمع صَائِغٍ، وهو الذي حرفَته الصياغة، وَهِيَ جَعْل الذهَب حليا، يقَال: صَاغَ الذهَب إِذا جعلَه حِليا. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية– الكويت: الموسوعة الفقهية الكويتية،ط٢، ج ١١، دار السلاسل، الكويت، ١٤٠٤هـ، ص ١٤٥.

(٢) الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ج١ص١١٨

(٣) ابن الزبير: **الذخائر والتحف**. ص ٢٣٥.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٢٠.

(٥) الوشاء: محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى، أبو الطيب، المعروف بالوشاء ، **الموشى**، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، شارع عبد العزيز، مصر، مطبعة الاعتماد، ط٢، ١٣٧١ هـ - ١٩٥٣ م، ص٢٨٥.

(٦) الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ، **لطائف المعارف**، تحقيق: إبراهيم الابياري وحسن الصيرفي، القاهرة، ١٩٦٠م، ص٧٣-٧٤.

(٧) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢٢٦.

(٨) ابن الفقيه: أبو عبد الله احمد بن محمد الهمداني ، **مختصر كتاب البلدان**، تحقيق: يوسف الهادي، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص٢٠٦.

(٩) الحموي: **معجم البلدان**، ج٢، ص٤٢٠.

(١٠) غنيمة: **صناعات العراق**، ص٥٧٥.

العباسيين المتأخرين [١].

ووجد في بغداد سوق خاصة تعرف ب(أسواق الصاغة) [٢]، وهناك أيضا مجموعة من الدكاكين مختصة بمداد الذهب[٣]، ووجدت أسواق الصاغة في الكوفة [٤]وحران [٥].

وأشتهرت الموصل بكثرة الصاغة، فقد تطورت فيها المهنة إلى أن تفنن الصاغة بصناعة بعض التماثيل وسروج وسلاسل مخصصة لأعناق الدواب التي كانت تحلل بحلي الذهب والفضة[٦].

ووجدت حوانيت مختصة بصناعة الحلي في أسواق المدينة ومكة معا في أماكن متعددة، وقد كانت تصنع من الحلي الذهب والفضة، كألاساور، والخلاخل، والخواتم، والأقرطة التي تستخدمها النساء وتتزين بها [٧].

وأهتم نساء الشام عبر العصور اهتماماً كبيراً بالجواهر وبالحلي المصاغة من الذهب والفضة، فقد كن يذهبن إلى أسواق الصاغة وخاصة الثريات منهن، فلاقت أسواق الصاغة إقبالاً ونشاطاً اجتماعياً متميزاً بخصوصيته وارتفاع مستواه [٨].

---

(١) المصدر السابق: ص٥٧٧.

(٢) ابن الجوزي: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ،**مناقب بغداد**، بغداد، مطبعة دار السلام، ١٣٤٢هـ، ص٢٦.

(٣) الحموي: **معجم البلدان**، ج٨، ص٤٢٠.

(٤) ماسينيون: لويس، ترجمة: تقي بن محمد المصعبي، **خطط الكوفة**، دار الوراق، د.ت، ص ٢٦.

(٥) الثعالبي: **لطائف المعارف**، ص ٢٠٤.

(٦) ابن جبير: **رحلة ابن جبير**، ص٢٠٦.

(٧) ابن سعد: **الطبقات**، ج٥، ص ٤٩٠.

(٨) زعرور: إبراهيم، **الحياة الاجتماعية في بلاد الشام** (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة دمشق، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.ص١٦٩.

ورغم اهتمام الخلفاء العباسيين بصناعة الذهب والفضة وتطور هذة المهنة وانتشارها في بقاع المشرق الإسلامي إلا أنه لم يصلنا منها إلا القليل ربما يرجع ذلك إلى أن هذه الحلي قد تعرضت للتلف أو أعيد صياغتها واستخدامها في صناعات أخرى[1].

وكما ذكرنا فلم يقتصر عمل الصاغة على صناعة الحلي وأدوات الزينة فقد ذكر أن بعض الصاغة صنعوا للمأمون في زفافه بساطا صنع من خيوط الذهب وكلل بالدر والياقوت[2]، واستخدمت صواني الذهب المرصعة بالجواهر [3]، وذكرت أدوات مصنوعة من الجواهر مثل قطع الشطرنج وكميات كبيرة من المصوغات[4].

وصنعت السروج من الذهب والفضة [5] وكانت من جملة الهدايا إلى الخلفاء في المناسبات مرايا مرصعة بالذهب والفضة وأحزمة مرصعة بالجواهر البدخشية [6]و الفيروز والمحامل المذهبة وغيرها [7].

وصنعت الأدوات المنزلية كالأواني الذهبية والفضية [8]، وأنتج الصاغة قناديل من الذهب والفضة[9] وكذلك محاريب الصلاة [10]، كما عرف المسلمون تركيب وشد الأسنان بالذهب [11].

---

(١) حميد، عبد العزيز وآخرون، **الفنون الزخرفية العربية الإسلامية**، بغداد، ١٩٨٢م، ص٢٧.

(٢) الثعالبي: لطائف المعارف، ص ٧٣-٧٤.

(٣) البيروني: أبو الريحان محمد بن ، **الجماهر في معرفة الجواهر**، عالم الكتب، بيروت، د.ت . ص٦٧-٦٨

(٤) المصدر السابق، ص ٦٨.

(٥) الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ج١، ص٥٣.

(٦) نسبة إلى مدينة بدخشان وهي مدينة من قرى ابيجاب أو الشاش، الحموي: **معجم البلدان**، ج١، ص ٣٥٧.

(٧) البيهقي: **تاريخ البيهقي**، ص ٤٤٢-٤٤٣؛ ابن الجوزي: **المنتظم**، ج٧، ص٧٧.

(٨) الصولي: أخبار الراضي، ص١٠١؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٧، ص٧٧.

(٩) الصابي: رسوم دار الخلافة، ص١٦.

(١٠) ابن الاثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن بدالكريم الشيباني الجزري: **الكامل في التاريخ**، تحقيق عمر تدمري، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج ٨، ص٥٩.

(١١) ابن الجوزي: المنتظم، ج٦، ص٧٨-٧٩.

واستعمل الذهب والفضة في تزيين قاعات قصور الخلفاء وعملوا سقوفا من الساج المذهب[1].

وكل ما سبق يدل على ما وصل إليه العصر العباسي من حياة البذخ والترف ومدى ما وصلت اليه حرفة الصائغ من تطور وما حصلت عليه من اهتمام وعناية من قبل الخلفاء العباسيين في شتى بقاع المشرق الإسلامي، وإقبال العامة وغيرهم على الشراء واقتناء كل غال ونفيس ثقة منهم بما يقدمه هؤلاء الحرفيين وجودته.

أما في الحسبة عليهم فينبغي عليهم الأخذ بعدة شروط في معاملاتهم وصناعتهم، فيجب على المحتسب أن يأمرهم بألّا يبيعوا أواني الذهب والفضة والحلي المصنوعة إلا بغير جنسها، ليحل فيها التفاضل، وإن باعها الصائغ بجنسها حرم فيه التفاضل والتفرق قبل القبض، لأن ذلك ربا، وإن باع شيئاً من الحلي المغشوشة لزمه أن يعرف المشتري مقدار ما فيها من الغش، ليشتري وهو على بصيرة بما يشتريه، وإن أراد صناعة أو صياغة شيئا من الحلي لأحد المشترين، فعليه ألّا يسكبه في قالبه إلا بحضرة المشتري بعد أن يتحقق من وزنه، فإذا فرغ من سبكه يجب عليه أن يعيد وزنه، وان قام باستخدام اللحام فإنه يُلزم بأن يزنه قبل إدخاله فيه وألّا يركب شيئاً من الفصوص والجواهر على الخواتم والحلي إلا بعد وزنها بحضور المشتري. وهناك الكثير من طرق الغش التي تخفى على العامة، ومن يجهل في الصنعة ولا يوجد رادع لهم إلا خشية الله وأداء عملهم بكل أمانة وصدق مراعين حق الله في عبادة، واضعين مخافة الله نصب عينيهم، وقد سرد الشيزري بعض الأمثلة لغشوش الصاغة وفصل في بعضها ختم هذا الباب بقوله: " وَلَوْلاَ أَنِّي أَخَافُ أن يَطَّلِعَ عَلَى هَذَا السِّرِّ مَنْ لاَ دِينَ لَهُ، لأَوْضَحْت مِنْهُ جُمَلًا كَثِيرَةً، لاَ يَهْتَدِي إليها كَثِيرٌ مِنْ الصَّاغَةِ .فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ مُرَاقَبَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلاَ يُزْغِلُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا بِهَذَا وَلاَ بِغَيْرِهِ "[2].

---

(١) الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، ج١، ص٥٠؛ ابن الجوزي: **المنتظم**، ج٨، ص٣١.

(٢) ابن بسام: **نهاية الرتبة**، ١٤٢؛ الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص ٧٨.

وعلى المحتسب أن يعرف على الصاغة من يكون عالما بصغائر الصنعة قبل كبائرها – حتى يكشف جميع غشوشهم وأن لا يخفى عليه شيء –، وعلى قدر كبير من الثقة وأن يخاف الله ويكون عين المحتسب بين الصاغة، عالما بخياناتهم ومدركا لجميع أمور الصنعة، من أدواتها وطرق الغش فيها من دس النحاس في الذهب ليثقل وزنة مما يسبب زيادة سعره، فذلك أصلح لأصحاب الحرفة وللمحتسب وللعامة للحفاظ على حقوقهم وتطبيق الشريعة الإسلامية على كل من تسول نفسه العبث في حقوق المسلمين [1].

وبهذا يبرز دور المحتسب وأعوانه في إرساء قواعد الشريعة الإسلامية وحفظ حقوق الرعية والصناع والأخذ بهذه الصناعات إلى التطور وتشجيعهم على الإنتاج والتنوع في إنتاج الكثير من الأدوات والجواهر والحلي وغيرها والأخذ بهذه الحرفة لتكون سببا في تقدم اقتصاد الدولة وأدى تنافس الأقاليم في صنع كل ما هو فريد ونادر إلى الارتقاء بهذه المهنة وقيام الكثير من ذوي الشأن والمترفين والخلفاء باقتناء كل غال ونفيس وإظهار جماليات هذة الصنعة والتفاخر بها.

---

(١) المصدر نفسه، ص٧٨؛ ابن بسام: نهاية الرتبة، ص ١٠٦.



المبحث السادس:

الحسبة على البنائين ومن في حكمهم.

المبحث السادس: الحسبة على البنائين ومن في حكمهم[1]

البناء حرفة عظيمة لها أهميتها في التاريخ البشري، حيث تقوم بتوفير المساكن لإيواء الناس من حر الصيف وبرد الشتاء، وقد مرت هذه الحرفة بتطورات مختلفة على مر التاريخ الإنساني، فعرفت الكهوف المنحوتة في الجبال، والمساكن المنسوجة من الوبر والشعر، ثم مباني الطوب اللبن ثم استخدمت الأحجار المختلفة بمراحل مختلفة من حياة البشر، وقد تطورت هذه الحرفة وتفرعت كثير من الحرف المكملة والمساعدة لها كالنقاشة وغيرها.

وقد اهتمت الدولة العباسية بحرفة البناء فاستقدمت أهل الخبرة فيها من شتى بقاع العالم لبناء مدينة بغداد وغيرها من المدن التي بنيت في تلك الفترة.

ومن أبرز الحرف المكملة لحرفة البناء الجصاصون، والجصاص هو: الذي يختص بقلع الأشجار وعمل الجص منها، وقد جرت العادة أن تكون محاجر الجصاص خارج المدن، وبعض الحرفيين كان يجمع بين حرفتين أو أكثر كالبناءة والجصاصة [2].

ومن الحرف المكملة أيضا النقاشون أو الدهانون، والنقش هو تلوين الشيء بلونين أو أكثر، ويبدو أن كثيرا من النقاشين كانوا يجيدون الكتابة والخط بجانب حرفة النقاشة [3]. والدهان وهو طلاء الجدران والأسقف والأدوات المختلفة هي من الحرف الموجودة في المدن المتعمقة في العمارة [4].

وقد أجاد المسلمون في العصر العباسي الحرف المختلفة المتعلقة بالبناء والتشييد، وكان

---

(١) البنَاء هو اسم لمن يحترف مهنة البناء سواء كان البناء حجرا أو بالطوب أو بغيرها ، وقد يمتد عمل البناء إلى نحت الأحجار وحفرها وإلى زخرفتها، السبكي: تاج الدين عبد الوهاب تقي الدين ، **معيد النعم ومبيد النقم**، لبنان، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص١٢٩.

(٢) الباشا: **الفنون الإسلامية**، ج١، ص٣٥٣.

(٣) المرجع السابق، ج٣، ص ١٢٨٢-١٢٨٥.

(٤) ابن خلدون: **المقدمة**، ص٤٢٢.

البناء لا يقتصر على مجرد التنفيذ والعمل اليدوي بل كان يقوم أيضا على التصميم، وإعداد الرسوم والإشراف عليه من قبل الصناعة المختصين به حسب الطرق المستخدمة والمواد الخام المتاحة لهم[(١)].

يشكل البناؤون طبقة كبيرة من المجتمع في العصر العباسي، فساهموا بتنفيذ عشرات العمائر والمدن وكثير من المشاريع العمرانية الدينية والمدنية والعسكرية.

وبالنظر لما تحمله مهنة البناء من خطورة على حياة الناس وممتلكاتهم لذا كان العامة يحرصون على انتقاء من يحسن الصنعة، فالمعرفة بشؤون البناء والهندسة كانت أمرا ضروريا، لذلك نجد ولاة الأمر وغيرهم من الذين يحرصون على اختيار المهرة من الصناع والفعلة وخاصة المشاريع الكبيرة، فالخليفة أبو جعفر المنصور مثلا عندما عزم على بناء مدينة بغداد المدورة أحضر المهندسين من أهل المعرفة بالبناء والعلم.. ثم أحضر الحرفيين والصناع من النجارين والحفارين والحدادين وغيرهم وكتب إلى كل بلد أن يرسلوا أمهر البنائين، ولم يقم بالبناء حتى تجمع حوله من أهل المهن والصناعات ألوف كثيرة [(٢)].

وعند ذكر بناء المدن يجدر بنا أن نتطرق لبناء عاصمة الدولة الإسلامية بغداد، في بداية قيام الدولة العباسية قام المنصور بإنشاء مدينة بغداد، وقد أثنت كتب التاريخ على عظمة وحسن هندسة وبراعة تخطيطها، حيث أولى صناعها اهتماما بها وأبدعوا في إنشائها وكانت دقتهم في حساباتهم في الأمور المعمارية في غاية الدقة، فبلغت خططهم ظاهرة معمارية جديدة تدل على إبداع الصانع المسلم ومدى قدرته على التصميم والتطوير والابتكار، وأصبحت بغداد مثالا للبناء المعماري الحضاري الذي نهج على نهجه من قام بإنشاء المدن الإسلامية التي أُنشأت بعد بغداد[(٣)].

---

(١) الباشا: **الفنون الإسلامية**، ج١، ص ٣٥٤.

(٢) البغدادي: **تاريخ بغداد** ، ج١، ص٧١.

(٣) الكبيسي: حمدان، **موسوعة حضارة العراق**، فصل الصناعة في العراق، بغداد، ١٩٨٥م، ج٥، ص٢٩٢.

شهدت عاصمة العباسيين بغداد تطورا وحضارة عمرانية واسعة، فقد شيدت القصور الفخمة المرصعة بأجمل الرسوم والزخارف والنقوش، فضلا عن الدور التي أصبحت العناية بها تسير جنباً إلى جنب مع ما يتطلبه التطور الحضاري لهذا العصر[1].

وأدى هذا التطور إلى ازدهار صناعة مواد البناء كاللبِن والجص والآجر[2] والكلس، واستعمل خشب الساج والرخام والقاشاني في تزيين القصور والدور بأروع أنواع النقوش والزخارف البديعة[3]، وانتشر الطراز العباسي في الأقاليم الإسلامية بعد إنشاء بغداد، واستخدم الآجر والجص بدلا من الحجر والطين [4].

إن المعلومات المتوفرة لدينا بشأن البناء والبنائين في العصر العباسي ومواد البناء شحيحة جدا، وتشير بعض المعلومات عن مواد البناء أن الطين بقي المادة الأساسية في تشييد الأبنية إلى جانب الآجر والجص، وربما يكون الجص مستوردا من الأقاليم المجاورة لبغداد لأن مادة الكلس المكون الأساسي للجص غير متوفرة في بغداد وضواحيها، أما بقية المواد الضرورية في عملية البناء فهي من المواد المتوفرة في بغداد ومن إنتاج صناعها[5]، فقد أنتجوا الطابوق الذي استخدم في إنشاء الدور بشكل واسع، فقد استخدم في بناء قصر الأخيضر، والجامع النوري في الموصل [6].

وقد وصف ابن حوقل أن أبنية البصرة كانت من الآجر، وذُكر أيضا أن جامع البصرة احترق عام ٦٢٤هـ وأعيد بناؤه بواسطة الحجارة والخشب والصنوبر والساج وقد جلبت جميعها من

---

(١) الباشا: **الفنون الإسلامية**، ص١٧

(٢) آجر: طين مطبوخ، واحدته آجرة، وهو من أهم المواد التي استعملت في البناء، وما زالت تستخدم في كل البلدان الإسلامية وخاصة في إيران، والأبنية المشيدة به قليلة لأنها أقل عمرًا من التي تعمر بالحجارة. عبد الرحيم غالب: المرجع السابق، ص ٢٧.

(٣) اليعقوبي: **البلدان**، ص٢٤.

(٤) حسن: زكي محمد، **الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي**، القاهرة، مطبعة دار الكتب، د.ط، ١٩٤٠ م، ص١٧.

(٥) العلي: صالح احمد، **معالم بغداد الادارية والعمرانية**، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ط١، ١٩٨٦م، ص ١٧.

(٦) حميد: عبد العزيز، **الزخرفة في الاجر**، حضارة العراق، بغداد، ١٩٨٥م ج٩، ص ٤٠٧-٤٠٨.

بلاد فارس [1].

ويستدل من ما ذكرنا أن الآجر كان شائع الاستعمال في أبنية العراق خلال العصر العباسي إلى القرون المتأخرة منه، وكان يستخدم للسقوف الساج [2]، مما يؤيد أن البناء كان يعتمد على المواد نفسها التي استعملت في العصر العباسي وهي اللبن والآجر والجص والأخشاب[3].

واستخدمت إلى جانب الاجر مادة لاصقة وهي الجص، التي تنتج عن تعريض حجارة الكلس إلى درجات حرارة عالية، ومن ثم يتم طحنها وسحقها، وتحويلها إلى مادة لاصقة للبناء، واستعمل الجص في إبراز الزخارف الجصية على واجهات القصور والمساجد والموصل وغيرها من المدن [4].

وأبدع الصناع في استعمال الرخام والمرمر وتقطيعه وزخرفته وأنتجوا فرش الرخام وأقيمت دور صناعة الرخام في اللاذقية وغيرها من المدن وجلب الخليفة المعتصم صناع الرخام وفرش الرخام إلى عاصمته الجديدة سامراء [5]وصنع الخزف المعماري (القاشاني) ذو البريق المعدني الذي يدخل في تزيين واجهات الدور والمساجد ومحاريب الصلاة، وقد أرسلت كميات منه إلى القيروان ليحلى به محراب القيروان سنة (٢٤٨هـ / ٨٦٢م) [6].

وفي مدن المشرق استعملت مواد البناء نفسها المستعملة في عمائر الطرق واستعمل الخشب

---

(١) ابن الساعي: علي بن أنجب بن عثمان تاج الدين ، **الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير**، تحقيق: مصطفى جواد، بغداد، المطبعة السريانية الكاثوليكية، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م، ص١٨١.

(٢) ابن الجوزي: **مناقب بغداد**، ص٢٦.

(٣) البغداد: **تاريخ بغداد**، ج١، ص٩٩، ص١٠٧، ص١٠٩.

(٤) حميد: **الزخارف الجصية**، ج٩، ص٤٠٢ – ٤٠٤.

(٥) اليعقوبي: **البلدان**، ص ٢٤؛ الحميري: **الروض المعطار**، ص٣٠١. والرخام: حجر كلس مطبوخ جميل المنظر إذا صقل فأصبح وجهه لامعا كالزجاج، باز: انطوان، **صناعة الحجر**، بيروت، مجلة المشرق، المجلد ٣، ١٩٣٢م، ص٢٤٨.

(٦) غنيمة: **صناعات العراق**، ص٥٧٠.

بشكل واسع كمادة أساسية من مواد البناء [1]، فضلاً عن إنتاج الآجر المحكم الصنعة [2]، والذي استعمل بشكل واسع في تشييد الأبنية في مدن المشرق الإسلامي [3]، بمساعدة مادة الجص اللاصقة لربط الآجر بعضها ببعض [4].

ومن أشهر العمائر التي يعود تاريخ إنشائها إلى العصر العباسي مسجد "نائين" الذي شيد في أصفهان واستعمل الآجر والجص في تشييده [5].

وقد كان العصر السلجوقي عصرا ذهبياً بالنسبة لتجديد العمائر في فارس وماوراء النهر، حيث شهدت المناطق حركة عمرانية شاملة نشطت خلالها الصنائع التي تختص بإنتاج مواد البناء كالجص والقاشاني ذي البريق المعدني بشكل واسع [6].

وأثار اهتمام الخلفاء إنشاء هذه المدن الإسلامية ذات الطابع المعماري المميز والفريد من نوعه في العصور اللاحقة، والتي تطور فيها فن العمارة وخرج إلى خارج دائرة الدولة الإسلامية إلى البلاد الأخرى غير الإسلامية، وأن بلاد أوربا قد تأثرت بالفن المعماري الإسلامي أيما تأثر.

أما الحسبة عليهم فقد أكدت كتب الحسبة أن من واجبات المحتسب إلزام البنائين بلباس يستر عوراتهم أثناء عملهم حيث أن عملهم يتطلب طلوعهم لمناطق عالية مما يسبب تكشفهم وظهور عوراتهم وبذلك يلزمهم بالاحتشام أثناء نزولهم أو طلوعهم[7].

ومن واجبات المحتسب أيضا مراقبة أصحاب هذه المهنة ومراقبة أعمالهم، فينبغي عليه

---

(١) الإصطخري: **المسالك والممالك**، ص٧٨ -١٧١؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٤٠٩؛ الحموي: **معجم البلدان**، ج٣، ص ١١٧.

(٢) الحموي: **معجم البلدان**، ج٣، ص١١٦.

(٣) الاصطخري: **المسالك والممالك**، ص ٦٤ -٩٠- ١٤٧؛ ابن حوقل: **صورة الارض**، ص٤٠٦- ٤١٤.

(٤) ابن حوقل: صورة الارض، ص٢٤٠.

(٥) حسن: **الفنون الإيرانية**، ص١٧.

(٦) المرجع السابق، ص ٢٠.

(٧) ابن بسام: **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، ص١٤٤.

ملاحظة المواد التي تدخل في البناء، ومنع الغش فيها .

ومنها أيضا عليه أن يراقبهم أثناء عملهم ويأمرهم "أن يبيضوا موضع الإنسان وأن يكثروا من أخلاط الخيّر من جبس البياض وقت عجنه ليسهل عليهم بسطه على الحيط بغير تعب، فيكون سببا لوقوع البياض من على الحيطان، وقلة حفظه لها، وثباته عليها فيمنعون من ذلك. ويجب على البنائين إذا بنوا الحيطان، ألّا يبنوها بالطوب القليل النضح اللين فإنه يتفتت بعد مدة فيسقط ما فوقه ويخرب الحائط فيأمرهم أن يجعلوه حشوا مع الطوب" [١].

وكسائر الحرف يجب على المحتسب أن يجعل منهم عارفا بصناعتهم أمينا وذا بصيرة نافذة، لأن بعض الصناع يتفقون على أجرة معينة لوقت معلوم ثم يتخلفون عن وقتهم ولا يقومون بالعمل في المدة المتفق عليها، إما بالتأخير في القدوم باكراً أو في الانصراف قبل الوقت المتفق عليه[٢].

وعليه أن يحرص على راحة العمال وأن يقوم بتوزيع المهام بينهم لكي يتسنى لهم الراحة[٣]، ويأذن لهم بالأكل والشرب وأن يسمح لهم بالذهاب للصلوات لأن أوقات الصلاة لا تدخل ضمن الإجارة[٤]. ويجب على البنائين تقدير تكاليف البناء بصدق ولا يرهقوا أصحاب المباني[٥].

ويحلف المحتسب البنائين بالله العظيم ألّا يأخذوا من النجارين والجباسين رشوة ولا هبة ولا هدية ليتجاوزا عن قلة نضج الجبس أو رداءته. وعلامة نضج الجبس لونه الأصفر قبل طحنه، وأنه يجف سريعا عند خلطه في إناء العجن[٦].

ويحق للبنّاء أن يمتنع عن الزخرفة بالذّهب لأنه يحرم تمويه الجدران والأسقف بالذهب،

---

(١) ابن بسام:المصدر السابق ص ١٤٦.

(٢) المصدر السابق: ص١٤٤.

(٣) نفس المصدر: ص ١٤٥

(٤) السبكي: **معيد النعم**، ص ١٢٩.

(٥) الرماني: زيد محمد، **اقتصاد الحسبة تاريخ وتراث**، الرشد، ط١، ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ، ص ١١.

(٦) ابن بسام: المصدر السابق، ص ١٤٥؛ الماوردي: **الرتبة في طلب الحسبة**، ص٣٧٣.

ويجب على البناء أن يحرص قبل أن يضع الطين في مكان إلا بعد أن يكشف عليه فربما يوجد حيوان ما في هذا المكان، والكثير منهم يستعجل بوضع الطين دون التأكد من المكان فيكون سبباً في قتل حيوان مثل عصفور وغيره [1].

وعليه أن يراقب المبيضين ويأمرهم ألّا يكثروا من خلط الجير بالجبس وقت عجنه، حتى يتمكنوا من توزيعه على الحيط بدون تعب وعليهم تسوية البياض تسوية تامة[2]، وعلى البناء أن يخبر صاحب البناء إذا وجد شقا في جدار قابل للسقوط، وألا يتغاضى عن ذلك رغبة في الأجر ويحجب أمره عن صاحب البناء ويكون سبباً في سقوط الجدار أو السقف على إنسان ويتسبب في إزهاق الأرواح.

وأما الحسبة على الدهانين فيأمرهم المحتسب بألّا يرسموا على الجدار أي صور سواء كان لحيوان أو إنسان ولا على الارض أو السقف أو أي آله، لما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لعن المصورين وقال: إنهم من أشد الناس عذاباً يوم القيامة[3].

يجب على المحتسب أن يراقب الأبنية العامة ويرى مدى توافر صفات الإتقان في بنائها لئلا تهدد حياة الساكنين فيها، كما يجوز له أن يراعي توافر الشروط الصحية في بنائها من حيث التهوية السليمة، ويجوز له أيضا أن يراقب مدى انسجامها الظاهري مع جمال الترتيب والتنسيق، فلا يبني صاحب بناء في منتصف الطريق، ولا يشوّه جمال المباني المجاورة بعبث جاهل، أو تخطيط سقيم. وغيرها من أمور الاحتساب عليهم وما ذلك إلا حرصا من الشريعة الإسلامية على حياة الناس ومصالحهم وشملت أيضا حياة الحيوانات فالشريعة الإسلامية شاملة متكاملة في جميع أحكامها.

وتتعلق بحرفة البناء حرفة صناعة الخشب فقد كانت هذة الصناعة واسعة الانتشار،

---

(١) السبكي: **معيد النعم**، ص ١٢٩.

(٢) ابن بسام: المصدر السابق، ص ١٤٥؛ الماوردي المصدر السابق، ص ٣٧٢.

(٣) السبكي: **معيد النعم**، ص ١٣٥.

لأغراض يصعب حصرها، إذ استخدمت الأخشاب كمادة أساسية من مواد البناء، وصنعت منها الكثير من الأدوات المنزلية والزراعية، وكانت كميات كبيرة من الأخشاب تستورد من إفريقيا والهند إلى البصرة [١].

ومن الحرف الهامة المتعلقة بصناعة الأخشاب والتي ازدهرت في عصر الدولة العباسية النجارة، والنجار هو صانع الأثاث. وغيرها من المنتجات الخشبية[٢]. ولاشك أن النجارة من الحرف القديمة، وقد زاول هذه الحرفة كثير من أشراف العرب. ويتفرع عن هذه الحرفة عدد كبير من الحرف كالمطعم والمرصع والنقاش والحفار والدهان، وغيرها من الحرف التي عرفت في التاريخ الإسلامي.

وهذه الحرفة من ضروريات العمران وتمتاز المجتمعات المتحضرة بارتقاء مهنة النجارة وتوابعها فيها النجارة وتوابعها فيها وهي من الحرف المتعلقة بصناعة الأخشاب، وقد ارتقت هذه الحرفة في عهود الدولة الإسلامية المختلفة بشكل عام، وفي الدولة العباسية بشكل خاص [٣].

وظهرت على إثرها كثير من الفنون الأخرى كالحفر والرسم على الخشب وتطعيمه مختلف الأحجار التي تعطيه رونقا وجمالا، وكان النجارون في المجتمع العباسي أصنافا فهناك نجارو الأثقال ونجارو المراكب [٤]، والسفن وقد مهر المصريون في صناعة السفن، وبصفة خاصة المراكب النيلية التي كانت تسير في النيل تحمل حاصلات البلاد، كما اشتهروا بصناعة السفن التي تكون منها الأسطول الإسلامي في ذلك العصر، وكانت السفن تشحن بالأسلحة والمقاتلة والبضائع [٥]. كما كان في بغداد أيضا ورش لإصلاح السفن، وقد عرف فيها منذ نشأتها دارا لصناعة الجسر مهمتها

---

(١) ريسلر، جاك س، **الحضارة العربية** ، مترجم غنيم عبدون، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت. ص١٢٠

(٢) ابن خلدون: **المقدمة**، المرجع السابق، ص ٤١٠-٤١١.

(٣) المصدر السابق، ص٤١١.

(٤) الدوري: **تاريخ العراق الاقتصادي**، ص١١١.

(٥) حسن: **تاريخ الإسلامي**، ج٢، ص٢٤٨.

صيانة وتجهيز سفن جسور عاصمة الدولة العباسية[1].

وكان لحرفة النجارة وغيرها من الحرف المتعلقة بها دور أساسي في حياة المجتمع العباسي، من حيث الأثاث اللازم للمنازل، وكذلك الأدوات الخشبية التي يحتاجها أرباب المهن الأخرى التي تعمل بآلات خشبية، مما يعني التقليل من عمليات الاستيراد لها من خارج الدولة. وبالطبع فإن ذلك يقلل من إنفاق الدولة على المستوردات الخارجية، وقد تفي احتياجات البلاد المجاورة لها من الدول الأخرى، مما يعني زيادة حصيلة الدولة من أثمان هذه الآلات أو مختلف قطع الأثاث التي كانت تصدرها في تلك الفترة.

---

(١) اليعقوبي: **البلدان**، ص٢٤٩.



المبحث السابع:

الحسبة على الدباغين والإسكافيين ومن في حكمهم.

المبحث السابع: الحسبة على الدباغين والإسكافيين ومن في حكمهم

تعد صناعة الجلود من الحرف الهامة التي قامت خلال العصر العباسي ويرجع وجودها وازدهارها لتوفر الثروة الحيوانية في مجتمع المشرق الإسلامي، مما دفعهم من الاستفادة من جلودها، وقد تفنن صنّاع الجلود بدباغتها وتهيئتها وتفننوا في إتقانها وعالجوا مختلف أنواع الجلود من أجل استخدامها لأغراض متعددة [(١)].

وتمكن الصناع المسلمون من تطوير هذه الصناعة منذ عهد مبكر وابتكروا طرقا جديدة لدبغ الجلود حتى أصبحت الجلود برقة الحرير تقريبا، وصُبغ الجلد بأصباغ نباتية تكاد ألوانها أن تكون ثابتة[(٢)].

ومن الحرف المتعلقة بصناعة الجلود الحذائين، وهم صناع الأحذية والنعال، وتطورت دباغة الجلود فأصبحت لها مصانع خاصة بها، وإن بقيت صناعة الأحذية يقوم بها الأفراد فيصنعون منها ما يطلب إليهم صنعه[(٣)].

وقد اهتم العامة في العصر العباسي بشكل كبير بالأحذية، واقتنوا الأحذية البديعة، بكافة أنواعها وألوانها وأشكالها ونماذجها واشتهر منها سبعة نماذج، منها الأحمر، والأسود، والأصفر، ومنها من يصنع من لونين كالأحمر والأصفر والأسود والأخضر [(٤)].

وقد كانت الأحذية الحمراء لباس الخلفاء ولم يسمح للداخل إلى دار الخلافة بارتدائها[(٥)]. وأنتج الصناع في العصر العباسي الكثير من الجلود كان أشهرها "الدارش" وهو جلد أسود،

---

(١) غنيمة: **صناعات العراق في عهد العباسيي**ن، ص ٥٧٧- ٥٧٨.

(٢) النوري: **تاريخ العراق الاقتصادي**، ص١٣١.

(٣) ول ديورانت: ويليام جيمس، **قصة الحضارة**، ترجمة: زكي محمود وآخرون، تقديم: محيي الدين صابر، لبنان، بيروت، دار الجيل، ص ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

(٤) الوشاء: **الموشى**، ص ١٨٠.

(٥) الصابي: **رسوم دار الخلافة**، ص ٧٥ – ص٩٠-٩١.

و"اللكاع " وهو جلد أحمر[1].

وقد وصفوا بيوت الإسكافي بقولهم: "بيت الإسكافي فيه من كل جلد رقعة، ومن كل أدم قطعة"[2].

وقد اتخذت الدباغة مكانة أساسية بين الصناعات المهمة في العصر العباسي، فقد ذكر أن نائب الشرطة في بغداد كان يتولى والده مدبغة له ٔ وقد شاركت النساء في صناعة الأحذية مع الصناع الرجال [3].

ودباغة الجلود تحتاج إلى ثلاثة أمور، الأول، أن يكون جو المكان صالحاً للدباغة، والثاني، توافر الحيوانات التي تؤخذ منها الجلود والثالث، أن تكون تلك المدينة التي فيها المدابغ سهلة الوصول للتجار . ولحسن الطالع قد جمعت هذه الأمور الثلاثة في شبه جزيرة العرب ومدن المشرق الإسلامي[4]. وكانت من المواد المستخدمة في دباغة الجلود هي قشور الرمان[5] .

وكان للدباغين أسواق خاصة فيهم في معظم المدن الإسلامية كبغداد، والشام، ومصر، وبلاد ما وراء النهر [6]، فقد كانت البصرة تنتج أحذية جيدة [7]، وأيضا الموصل فقد ذكر المقدسي درّب الدباغين أثناء ذكره لطرق الموصل فدل على انتشار الدباغة التي كانت أساس الصناعات الجلدية [8].

---

(١) ابن الفقيه: **مختصر كتاب البلدان**، ص ٢٥٣؛ ابن سيدة: **المخصص**، ج١، ص١٠٣.

(٢) الثعالبي: عبد الملك بن محمد بن اسماعيل أبو منصور ، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، القاهرة، دار المعارف، دت، ج١، ص ١٩٣.

(٣) غنيمة: **صناعات العراق**، ص ٥٧٨.

(٤) فاروق: أحمد، **دباغة الجلود وتجارتها عند العرب في مستهل الإسلام**، مجلة العرب، ج٧و٨، الرياض، ١٩٧٦م ، ص ٧٩.

(٥) الجاحظ: **البخلاء**، ص ٢٣٧.

(٦) الطبري: **تاريخ الطبري**، ج٤، ص ٤٦٥.

(٧) الدوري: **تاريخ العراق الاقتصادي**، ص ١٣١.

(٨) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص ١٣٨.

واشتهرت مدن فارس بجلودها مثل مدينة روذان وهي أهم المناطق التي اشتهرت بدباغة الجلود[١] والتي اشتهرت بها أحذية تسمى (الشمشكات)، وعرفت هذه المدينة بكثرة الأساكفة بها[٢]، وقد وصف المقدسي جلودها "أجود من الطرابلسي" وأنتجت أيضا القرب والأحذية [٣].

واستخدمت القرب المختلفة فقد كانت تستعمل لحفظ الماء والحليب، والنبيذ[٤] واشتهرت مدينتا دارم وارجان بإنتاج أجود القرب [٥].

وكان إقليم الشاش وغيرها من المقاطعات الشرقية للخلافة العباسية تشتهر بتجارة الماشية التي توجد فيه بكثرة[٦] وبذلك تقدمت الشاش عن الأقاليم الأخرى في صناعة وتجارة الجلود فكانت تتاجر أيضا في جلود الثعالب والفراء[٧] .

واعتاد سكان بلاد ما وراء النهر على استخراج الجلود من الحيوانات الموجودة في الإقليم أو ما يجلب إلى الإقليم عن طريق التجار من المدن المجاورة [٨]، وكانت تأتيهم الجلود من بلاد البلغار والروس [٩].

أما بخارى فكانت أهم مراكز تصنيع جلود الجمال نظرة لكثرة وجود الجمال في نواحيها وعرفت بجودة صناعة العباءات الوبرية[١٠].

---

(١) الحموي: **معجم البلدان** . ج٣، ص٧٧؛ المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص٤٣٨.

(٢) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص ٤٣٨- ٤٤٣.

(٣) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص٤٤٣.

(٤) الجاحظ: **البخلاء**، ص ١٣٠.

(٥) المقدسي: المصدر السابق، ص ٢٤٢.

(٦) ابن حوقل: **صورة الارض**، ص ٣١١؛ المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص٤٣٣.

(٧) القلقشندي: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري ، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م، ج٤، ص٤٣٢.

(٨) ابن حوقل: **صورة الارض**، ص ٣٩٨؛ الثعالبي: **لطائف المعارف**، ص ٢٢٦.

(٩) ابن رستة: **الاعلاق النفسية**، ص١٤١؛ الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ج٢، ص٦٩٩.

(١٠) ابن حوقل: **صورة الارض**، ص٣٨٠.

أما خوارزم[1] فقد عرفت بأوبارها من الفتك والسمور والثعالب ذات اللون الأحمر والأسود، والدلق وغير ذلك من الأوبار التي عرف أهل خوارزم صناعتها [2].

أما صناعة الجلود ومراكز دباغتها فقد توزعت على مختلف مناطق الإقليم، ذلك أن الإقليم اشتهر بتربية الماشية فقد كان أصحاب المواشي يخصصون من ماشيتهم للتجار خرافا وإبلا وغيرها خاصة للبيع وتمتاز بحسن أوصافها وأوبارها وجلودها الجيدة.

إن تجارة الماشية كانت أربح الحرف في بلاد ما وراء النهر لأن صاحب الماشية لم يكن يتكلف في غذائها فهي ترعى على أعشاب الأرض التي امتازت بوفرتها في الإقليم وتشرب من المياه الجارية [3].

أما طريقة صناعة الجلود فكانوا يسلخون الدابة ويدبغون الجلد وكان يلون بألوان متعددة ونقوش مختلفة، وكانت قيمة الجلد الواحد المصنع يبلغ قيمة ثلاث أو أربع نعاج أو غيرها من الدواب لذلك كان تجار الجلود يربحون ربحاً كبيراً من هذه الصناعة [4].

والجلود المدبوغة في بلاد ما وراء النهر متنوعة فهناك جلود ذات لون أحمر الصبغ تبلغ قيمة القطعة الواحدة منه ربع دينار إلى دينارين وأحياناً أكثر حسب درجة صبغة وحسن الدباغة، وهناك جلود ذات اللون الأسود وهي ذات قيمة عالية تباع غالياً، وهناك جلود ذات اللون الأبيض

---

(١) خوارزم: أولها بين الضم والفتح، والألف مسترقة ليست بألف صحيحة، وهو ليس باسم للمدينة إنما للناحية بأكمالها وقصبتها جورجانيا، تتميز بكثرة الأشجار والغالب عليها شجر التوت، فيها كثير من العمران، تتميز بشتاء حيث يتجمد فيها نهر جيحون "أموداريا" وهي الآن مدينة من مدن أوزبكستان في آسيا الوسطى تعرف حيوثا "خيوه". الحموي: **معجم البلدان**، الجزء الثاني، ص٣٩٥-٣٩٦؛ العفيفي: **موسوعة ألف مدينة إسلامية**، ص٢٢١

(٢) الاصطخري: **المسالك والممالك**، ص١٧٠؛ ابن حوقل: **صورة الارض**، ص٣٩٨؛ الثعالبي: **لطائف المعارف**، ص٢٢٦.

(٣) ابن حوقل: **صورة الارض**، ص ١٥١.

(٤) الثعالبي: **لطائف المعارف**، ص ٢٢٧.

تباع عشرة قطع منه بدرهم واحد [1].

لقد توزعت مراكز دباغة الجلود وصناعتها في بلاد ما وراء النهر ويبدو أن التخصص كان في صناعة المنتجات الجلدية، فمدينة بخارى كانت تصنع فيها جلود الخراف والحملان [2] وفي مدينة سمرقند تدبغ فيها جلود الضان ويعمل فيها أنواع الركب والسيور وأحزمة السرج.

وتعد الشاش من المدن الرئيسية التي اشتهرت بكثرة المدابغ إذ كانت تجلب الجلود من بلاد الترك ويتم دبغها وتصنيعها في هذه المنطقة وكانت منها السروج والحباب[3]، وكانت مدينة رينجن[4] من المناطق المهمة في دباغة الجلود [5]، وكانت تصدر جوزجان الجلود المدبوغة إلى إقليم خراسان وبلاد ما وراء النهر[6]، ويشتغل معظم دباغي قزوين في صناعة الأحذية كما كانت هناك سوق للسراجين في نيسابور[7].

أما إقليم خوارزم فانه المركز الصناعي لجلود الثعالب والسنجاب وغيرها، حيث تصنع فيها أغلى أنواع الفراء وأحسنها والتي تعمل منه الحلل الطويلة والقصيرة [8]، وكذلك تصنع جلود الماعز والأرانب في الإقليم وأيضا جلود الحمر الوحشية والقلانس ذات اللون الأسود [9].

أما صناعة الأحذية الجلدية فقد كان لها نصيب وافر من قبل المراكز الصناعية في بلاد ما وراء النهر، خاصة أن أهل ما وراء النهر كانوا يفضلون لبس الخفاف المصنوعة من الجلد صيفاً

---

(١) ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص ١٥١.

(٢) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص ٣٢٤.

(٣) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص ٣٢٥.

(٤) رينجن: بليدة من صفد سمرقند، الحموي: **معجم البلدان**، ج٢، ص٢٦.

(٥) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص ٣٢٤.

(٦) خسرو: ناصر أبو معين الدين الحكيم القبادياني المروزي ،**سفرنامة**، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط٣، ١٩٨٣م، ص٣٦ .

(٧) ناصر خسرو: **سفرنامة**. ص ٣٥؛ السمعاني: **الأنساب**، ج٣، ص٢٤١.

(٨) لسترنج: بلدان الخلافة، ص ٥٠٢.

(٩) المقريزي: **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ج١، ص٢١.

وشتاءً [١]، وكانت لها سوق خاصة تسمى "سوق الإسكافية" [٢]، وقد تعددت أنواعها وطرق صناعتها في الأقاليم لتناسب طبقات المجتمع المختلفة حيث ظهر في بعضها الترف الواضح من خلال تزيينها بالجواهر وخيوط الحرير مستخدمين في ذلك جلود غالية الثمن [٣].

من الصناعات الجلدية التي أنتجت في بلاد ما وراء النهر الحقائب والسروج [٤]، وصُدرت منها الجلود المدبوغة وجلود الثعالب [٥].

واستعملت جلود البقر في صنع سلاسل سميكة، لربط السفن الواحدة بالأخرى في عرض نهر جيحون[٦] لأجل العبور. واستعملت جلود البقر نفسها في نقل النشادر والكبريت من قمم الجبال، فقد كانوا يملؤون الجلود بها وتُدحرج من قمة الجبل، لصعوبة نقلها وعدم وجود طريقة [٧].

وعرفت مدن الحجاز بمركزها الهام في صناعة دبغ الجلود وفي مقدمتها مدينة الطائف، ومما ساعد على قيام هذه الصناعة في الطائف موقعها الجغرافي الذي ساعد عى سرعة وصول التجار إليها وكثرة الحيوانات التي يستفاد من جلودها، وذاع صيتها بسبب وجود المدابغ فيها [٨]، فكانت تنتج الأديم المليح والثقيل المعروف بها [٩]، وقد عمل الصناع بها الأحذية والسروج واشتهر النعل

---

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٣٢٧.

(٢) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص٣٢٨

(٣) الإصطخري: **المسالك والممالك**، ص ١٦٤.

(٤) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٣٢٤.

(٥) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص٣٢٤؛ أبو عبيدة: **المسالك والممالك**، ج١، ص٤٤٢.

(٦) نهر جيحون "أموداريا": وهو اسم أعجمي، وأصل اسم جيحون بالفارسية هرون، وهواسم وادي خراسان على وسط مدينة يقال لها جيهان، فنسبه الناس إليها وقالوا جيحون على عادتهم في قلب الألفاظ.ياقوت الحموي: معجم البلدان، المجلد الثاني، ص ١٩٦؛ محمد علي البار: **المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ** ،ط١، جده، دار الشروق، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، المجلد الأول، ص ٢٢٩.

(٧) ناصر خسرو: **سفرنامة**، ص٣٦.

(٨) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص٧٩.

(٩) ابن المجاور: **صفة بلاد اليمن**، ص ٢٥.

الطائفي وضرب به المثل [1].

أما بمكة فقد عرفت دباغة الجلود أيضا، فقد انتشرت فيها وفي القرى المجاورة لها [2]، وفي جنوبها أيضا اشتهرت دباغة الجلود التي كانت تُصدر إلى العراق وخراسان وما وراء النهر وخوارزم[3]. وكان بها من الدباغين الرجال والنساء.

أما الأدوات المستخدمة في دباغة الجلود فلم تذكرها المصادر بشكل كاف وذكر بعضها بشكل بسيط، وكان أهم الأدوات، حجر الطواحين، وهو الذي يطحن عليه القرظ وهو المادة الرئيسية في دباغة الجلود، والمحط والذي يستعمل لصقل الأديم وتنميقه وكان مصنوعا من الخشب عن البعض ومن الحديد عن البعض الآخر، أما المجلاة فكانت لقشر الوسخ الذي يبقى في الإهاب والكثير من تلك الأدوات [4].

أما عن الاحتساب عليهم.. فيجب أن يعرف عليهم عريفا، ثقة وعارفاً بصنعتهم. [5]

وقد كانت حرفة الدباغة من الحرف التي تؤذي المارة ومن المهن المستهجنة، وذلك بسبب الرائحة الكريهة التي تصدر من الجلود، لذلك نقلت أسواقهم إلى اطراف المدينة، واشترطت الكثير من الشروط الصحية لمن يريد إنشاء مدبغة، مثال أن يتخذ مكان رحبا واسعاً، ولها تهوية جيدة، أن تكون مرتفعة الأسقف، وقد كان الإشراف عليها من قبل المحتسب [6].

وكان للمحتسب دور في مراقبة حرفتهم والإشراف عليها [7]. فكان عليه أن ينبههم ألا يستعملوا من الخيط إلا قلب الكتان، ولا يخيطوا إلا بالإبرة الرفيعة ولا يخيطوا بشيء من شعر

(١) الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ج ١، ص١٤٤؛ الحميري: **الروض المعطار**، ص٢٧٩.

(٢) ابن المجاور: **صفة بلاد اليمن**، ص ١٣.

(٣) ابن المجاور: **صفة بلاد اليمن**، ص ٤٢.

(٤) ابن المجاور: **صفة بلاد اليمن**، ص٥٤٥.

(٥) ابن بسام: نهاية الرتبة، ص ١٢٩ – ١٣١.

(٦) الشيزري: نهاية الرتبة، ص٧٣؛ حسن الباشا: **الفنون الإسلامية**، ج٢، ص٥١٢.

(٧) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص ٧٣.

الخنزير لحرمة الخنزير في الشريعة الإسلامية وعليه استبداله بليف أو بشارب الثعلب لتشابه جودته، وألا يكثروا من حشو الخرق في النعال، ويمنعهم من استخدام جلود الميتة وألّا يقوموا بدبغ الجلد القديم وبيعه على أنه جديد، ويحلفهم ألّا يغشوا بجلود قديمة مهترئة فيجعلون الجيد منها ظاهرا والرديء منها مستترا، وألّا يوصل ما انقطع من شرك النعال بجلود قديمة ممزقة. ومن خالف ذلك عليه أن يشهر بغشه لكي لا يتم التعامل معه والتعرض لغشه [1].

وهذا وغيره من الشروط التي كان المقصد منها إجادة الحرفة وإتقانها وعدم الغش فيها، مما يساعد في تطوير الصناعة والنشاط الاقتصادي بشكل عام وهذا هو الهدف من التشريع الإسلامي، فقد أوجب على كل مسلم ذي صنعة أن يتقن صنعته ويحفظ حقوق الله ومن ثم حقوق الرعية.

---

(١) ابن الأخوة: **معالم القربة في أحكام الحسبة**، ص ٢٣٣؛ الماوردي: **الرتبة في طلب الحسبة**، ص ٢٦٠؛ ابن بسام: **نهاية الرتبة**، ص ١٢٩-١٣٠؛ السبكي: **معيد النعم**، ص ١٤٦-١٤٧.



المبحث الثامن:

الحسبة على البزازين والخياطين ومن في حكمهم.

المبحث الثامن: الحسبة على الخياطين ومن في حكمهم

صناعة النسيج من الصناعات القديمة والمعروف لدى كثير من أبناء الشعوب، إذ إن حاجة الناس إلى الملبس كحاجة الناس إلى الغذاء والطعام، ومن أقدم البلاد التي نهضت فيها هذه الصناعة إيران ومصر فقد كانت لهما منذ قديم الزمان شهرة واسعة في إنتاج المنسوجات كما أن الأقاليم البيزنطية في الشام وآسيا الصغرى كانت تضم قبل الإسلام مراكز مهمة لنسج الأقمشة الحريرية الممتاز.

وعندما فتح المسلمون مصر وبلاد فارس تطورت صناعة النسيج في تلك البلاد وخضعت هذه الصناعة لتعاليم الإسلام كمنع الصور والرسوم الآدمية والحيوانية وغيرها. واعتمدت الصناعة فيها على صناع أهل هذه البلاد من حيث الخبرة فيها فقد كان لهم خبرة في هذا المجال، وتطورت واكتسبت فنا مستقلا يوافق الإسلام ومبادءه.

كما ازدهرت هذه الصناعة في البلاد المفتوحة والتي لم تكن فيها هذه الصناعة وخاصة بعد أن انتشرت عادة الخلفاء والأمراء في مكافأة رجال الدولة بخلع الملابس الثمينة والفاخرة وإعطائها لكل من أظهر شيئاً يستحق المكافأة كنوع من التكريم له.

ومن العوامل التي زادت صناعة النسيج الإسلامي رقيا وازدهارا أيضا ما كان يقدمه الخلفاء من كسوة الكعبة المشرفة من المنسوجات النفسية، فكان الصناع يتبارون ويتسابقون فيما بينهم كل واحد منهم يريد أن يكون له السبق في الإبداع الفني في صناعة كسوة الكعبة لينال بذلك الشرف العظيم. ولقد اهتم المسلمون في حقب التاريخ المتلفة بهذه الصناعة فأنشأوا المصانع وجلبوا الفنيين فيها، حتى احتكرت البلاد الإسلامية في العصور الوسطى تجارة الحرير على المستوى العالمي، وكانت مصر وإيران والشام تصدر منتجاتها لسائر الأقاليم الإسلامية وخارج البلاد عبر أوربا وغيرها من البلاد [1].

---

(١) حسن: **فنون الإسلام**، ص٣٤٦.

أشار ابن خلدون إلى قدم صناعة المنسوجات وأهميتها حين تحدث عن صناعة الحياكة والخياطة: "لما يحتاج إليه البشر من الرفه، فالأولى لنسج الغزل من الصوف والكتان والقطن.. فمنها الأكسية من الصوف للاشتعال ومنها الثياب من القطن والكتان للباس، والصناعة الثانية لتقدير المنسوجات على اختلاف الأشكال والعوائد منها تفصل.. قطعاً مناسبة للأعضاء البدنية ثم تُلحم تلك القطع بالخياطة" [١].

وقد قامت هذه الصناعة على ما توافر من مواد خام من صوف، وقطن، ووبر، وشعر، وحرير، وكتان، والتي تؤخذ أو تنتج من صوف الأغنام، وشعر الماعز، ووبر الإبل وتشكل إلى منسوجات متعددة الأشكال والألوان .

ومما ساعد على انتشار صناعة النسيج وجود العديد من الصناع في هذه الصنعة وقد أشار إلى ذلك النويري بقوله: "ويجز الصوف والشعر من الغنم ويفرقه على من يغزله، ثم يُدفع إلى من ينسجه" [٢]، وهذا يشير إلى وجود حرفيين في صناعة الغزل والنسيج. فضلاً عن مزاولة النساء في حرفة الغزل اليدوية في كل أقطار المشرق الإسلامي [٣]، وصباغته [٤].

وأهتمت الدولة العباسية بصناعة النسيج فأنشأت المصانع ودور الطراز، فذاع صيت هذه الصناعة في بلاد العالم آنذاك.

ويبدو أن اهتمام الدولة العباسية كان من خلال ما أقامته من دور للطراز (العامة والخاصة) على النحو الذي كانت عليه الدولة الأموية.

كان لدور الطراز دور هام في تطور صناعة النسيج في الدولة الإسلامية بشكل عام، وقد بدأت هذه الدور عملها منذ العهد الأموي لكنها تطورت وازدهرت في العصر العباسي الأول،

---

(١) ابن خلدون: **المقدمة**، ص٤١١.

(٢) النويري: **نهاية الإرب**، ج٢٥، ص٢٤٢.

(٣) النزوي: **المصنف**، ج٧، ص٨١.

(٤) النزوي: المصدر السابق، ج٧، ص١٧٥، ج٢١، ص١٨١.

فقد كانت هذه الدور تقوم بعمل ملابس الخليفة وكسوة الكعبة وكان لعملها أهمية سياسية في حياة المجتمع العباسي، حيث كان ينقش على الملابس اسم الخليفة، لذلك اهتمت الدولة بهذه الدور وجعلت من يقوم على تنظيم شئونها – في الغالب – بدرجة وزير إذ كان في استطاعة صاحب الدار أن يخلع الخليفة أو يثبته، ومن هنا غدت هذه الدور ذات أهمية سياسية كبيرة في المجتمع العباسي.

وقد شهد العصر العباسي انتعاشا في صناعة الغزل والنسيج، وكانت هذه الصناعة من أهم الصناعات في هذه العصر، وأصبح فن النسيج أرقى من أي فن صناعي، وجاء الانتعاش الصناعي في هذا الميدان تلبية لاحتياجات الأعداد الكثيرة من المهاجرين إلى المدن واستقرارهم فيها [(١)].

وكانت الحياكة وفن النسيج من أقدم الصناعات اليدوية المعروفة في بيوت العرب، إذ تركت الظروف المناخية أثرا واضحاً في تعدد نوعية المنسوجات، وبخاصة الملابس التي تمثل إحدى الحاجات الثلاث الأساسية لجسم الإنسان فضلا عن الطعام والمسكن [(٢)]. وكان أهم ما يعتبر ترفا أن يكون الإنسان حسن المظهر والملبس [(٣)].

وأشتهر العالم الإسلامي من ظهور الإسلام بروعة منسوجاته من الملابس والأثاث المنزلي[(٤)]، ونسبت الكثير من المنسوجات إلى أماكن صنعها حسب مدينة أو الإقليم أو الحلة المنتج فيها، فوردت في كتب التراث الكثير من التسميات التي أصبحت فيما بعد دللا على محل صنعه. وطريقة نسجه وتلوينه، لا بمكان صنعه، مما يؤكد وجود تقاليد صناعية تميز أنسجة منطقة دون أخرى مما يجعلها تحتفظ بطابعها الخاص لفترة زمنية طويلة، يبدو أنها تلاشت في عصور متأخرة

(١) الدوري: **تاريخ العراق الاقتصادي**، ص ١٠٠، متز: **تاريخ الحضارة الإسلامية**، ج٢، ص٣٥٠.

(٢) متز: المصدر السابق ، ج٢، ص٣٥٠.

(٣) متز: المصدر السابق، ج٢، ص٣٤٧.

(٤) كنج، دونالد، **الطنافس والمنسوجات**، كنوز الفن الإسلامي، ترجمه حصة صباح السالم، دار الآثار الإسلامية، الكويت، ١٩٨٥، ص٣١٨.

فأخذت الأنسجة تكتب من مادة الصنع لا من محله[1].

وكان لحالة الترف والتأنق التي طغت على الحياة في العصر العباسي أن اهتم الخاصة والعامة في جمال وروعة مساكنهم وشكل أثاثهم، فعلقت القطع الجميلة المزركشة على الجدران وفرشت أرضية المساكن بالبسط والسجاد والأنماط والوسائد [2].

ومما لا شك فيه أن هذا التطور الحضاري كان سبباً قويا دفع إلى تقدم صنعة الصناعة، ليتوسع إنتاجها وينتشر النساجون في مختلف أقاليم ومدن الدولة العباسية. وقد ساعد على ذلك توفر المواد الأولية الحيوانية والزراعية. إذ اهتم الخلفاء العباسيون وولاتهم باستصلاح الأراضي ونظم الري مما أدى بدورة إلى تنامي الإنتاج الزراعي كالقطن والكتان وتشجيع تربية دودة القز وتهيئة مادة الحرير[3]. كما كان لاتساع رقعة الدولة العباسية واختلاف المناخ بين الأقاليم وطبيعة التضاريس أثره الواضح في توفر الأصواف والأوبار باختلاف أنواعها، مما مهد الطريق أمام قيام هذه الصناعة وتنوعها، وتوفرت مواد الصباغة وخيوط الفضة والذهب. وكان هناك في الوقت نفسه ميل فطري لدى الشعوب الإسلامية تجاه الألوان الفاخرة وأنماط الألياف المستخدمة في الملابس والمفروشات مما ساعد على تحقيق مستوى رفيع لهذه الصناعة وتصاميمها تعدى منسوجات الخلفاء والأمراء في المدن الكبرى ليشمل أبناء المجتمع في المدينة والريف عامة[4].

ففي العراق ازدهرت هذه الصناعة وتزايدت مراكزها لتشمل فضلا عن المدن القديمة التي سبقت ظهور الإسلام، المدن الجديدة التي أنشئت في ظل سيادة الحكم العباسي. وورثت بلاد فارس هذه الصناعة من عصر ما قبل الإسلام[5]. إلا أنها نمت وطورت في العصر الإسلامي

---

(١) العلي: صالح، **الانسجة في القرنين الأول والثاني**، مجلة الأبحاث البيروتية، العدد ١٤، ص١٩٦١م، ص٥٥٠.

(٢) البغدادي: **تاريخ بغداد**، ج١، ص٥٠-ص٥٢.

(٣) منيمنة: **تاريخ الدولة البويهية**، ص٣٥٦.

(٤) كنج: **الطنافس والمنسوجات**، ص ٣١٨.

(٥) كريستنسن، **إيران في عهد الساسانيين**، ص١١٤-١١٥.

وازدهرت ازدهارا واضحاً في العصر العباسي، وبلغ فن صناعة النسيج درجة كبيرة من الرقي والتطور وتنوعت وتعددت أشكال الحياكة والنسيج بشكل واسع متوافقة مع متطلبات المجتمع القائم.

واعتبرت فارس واحدة من أهم المراكز الأساسية لصناعة النسيج في المشرق الإسلامي حيث ذاعت شهرة الكثير من مراكز النسيج فيها كمدينة كازرون التي سميت "بدمياط الأعاجم"[١]وشيراز [٢]، ومينيز [٣]، ونيسابور [٤]، وغيرها، وشجع هذه الصناعة في فارس توفر المواد الأولية الأساسية التي تقوم عليها هذه الصناعة.

وقد تمتع الخياطون في الدولة العباسية بالبراعة في مجال إنتاج أنواع الملابس المخيطة الجاهزة، والتي كانت تصدر من منطقة إلى أخرى من مدن وأقاليم الدولة العباسية، فأنتجت أنواعاً مختلفة من الملابس بما يتناسب مع أذواق الناس وطبقاتهم إذ اختصت كل طائفة أو طبقة في العصر العباسي بلبس خاص يميزها عن سواها، فاختلفت أشكال ألبستهم باختلاف موقعهم الإداري أو الاجتماعي أو الحرفي، وذاع صيت مدن العالم الإسلامي في إنتاج الملابس الجاهزة، ومن ذلك العمائم الثمينة [٥]، والتي أصبحت ومنذ العصر العباسي متنوعة بتنوع منزلة النساء الاجتماعية[٦]، والقلنسوة، وهي لباس مستدير مبطن من الداخل يوضع على الرأس، ويصنع من القماش أو الجلد، كان الناس يلبسون العمائم على القلانس [٧].و شيوع استعمال القلانس في العصر العباسي أدى إلى تنوع أشكالها وأطوالها [٨]، وكذلك اشتهرت مراكز إنتاج الألبسة الجاهزة

---

(١) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص٤٣٣-٤٣٤.

(٢) المقدسي: المصدر السابق، ص٤٤٢؛ ابن حوقل، صورة الارض، ص٢٦٢

(٣) المقدسي: المصدر السابق، ص٤٤٢؛ ابن حوقل: **صورة الارض**، ص٢٣٩-ص٢٦١.

(٤) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص٣٢٢؛ ديماند: **الفنون الإسلامية**، ص٢٦١.

(٥) العمامة مايلات بها الرأس تكويراً ويقال: تعمم بها واعتم وإنه لحسن العمة. ابن سيدة: **المخصص**، ج١، ص٨٢.

(٦) الجاحظ: **البيان والتبين**، ج٣، ص٤٤٣؛ الصابي: **رسوم دار الخلافة**، ص٨١.

(٧) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٣، ص٤٤٤.

(٨) الجاحظ: المصدر السابق، ج٣، ص٤٤٤؛ الطبري: **تاريخ الرسل والملوك**، ج٥، ص٤٣؛ الصابي: **رسوم دار الخلافة**، ص٩٠.

بصناعة الطيالس [١]، وكان لباس القضاة والفقهاء[٢]. وزاد اهتمام الناس بهذا النوع من اللباس في العصر العباسي وخصوصا في العراق، كان أهل العراق رسومهم التجمل والتطليس[٣]. والجباب من الثياب المفصلة المخيطة تلبس فوق القميص [٤].

وفي العصر العباسي تنوعت صناع الجباب فمنها ما صنع من الحرير الغالي أو الخز أو القطن أو الصوف[٥]. فضلا عما ذكرنا من أنواع الثياب والألبسة المفصلة والمخاطة كان هناك القمصان والسراويل[٦].

وأنتجت مشاغل النسيج الألبسة النسائية الجاهزة الخارجية منها والداخلية باختلاف أنواعها بما يتناسب وأذواق النساء ووضعهن الاجتماعي والمالي[٧].

أما عن الاحتساب على هذه الحرف وبالنظر إلى أهميتها فقد خصصت كتب الحسبة العديد من الأبواب لمناقشة موضوع الحسبة عليها منها، الحسبة على الحاكة والحسبة على الخياطين والحسبة على القطانين والحسبة على الكتانيين، والحسبة على الحريريين وغيرها.

وبرز دور المحتسب في الاحتساب عليهم في النقاط التالية:

في الحسبة على الحاكة، وهم الذين ينسجون الغزل قماشاً، يذكر الشيزري المواصفات التي يجب على المحتسب مراعاتها وهو يقوم بمراقبة الحاكة، فيقول: "يجب على المحتسب أن يأمرهم

---

(١) الطيالس، مفردة طيلسان، وهو عبارة عن كساء مدور لحمته من الصوف يوضع فوق الكتف أو فوق الرأس، ويتدلى على الجبين يغطي نصف الوجه. دوزي، **المعجم المفصل**، ص٢٢٩-٢٣٠.

(٢) رشيد: صبحة، **الملابس العربية وتطورها في العهود الإسلامية**، ص ٣١.

(٣) المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص١٣٩.

(٤) ابن الجزري: **تلبيس إبليس**، ص٢٩٩.

(٥) رشيد: **الملابس العربية**، ص٥٩.

(٦) رشيد: **المصدر السابق**، ص٣١.

(٧) العبيدي: صلاح الدين، **الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي من المصادر التاريخية والأثرية**، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م، ص ١٨٤.

بجودة الشقة (وهي قطعة النسيج)، وصفقاتها ونهاية طولها المتعارف به، وعرضها، ودقة غزلها، وتنقيتها من القشرة السوداء بالحجر الأسود الخشن وبمنعهم من نثر الدقيق والجبصين المشوي عليها في وقت نسجها، فإنه يستر وحاشتها، فتبين كأنها صفيقة الرقعة، وهذا تدليس على الناس"[(١)] وبعد أن يذكر الشيزري بعضا من صور الغش والتدليس في عملية الحياكة، ينبه المحتسب على ضرورة منعها والتذكير بها، ثم يعود ليشير إلى إحدى صور الغش في تعامل الحاكة مع الزبائن فيقول: "وإذا أخذ أحدهم غزلاً لإنسان لينسجه له ثوباً، فليأخذه بالوزن، فإذا نسجه ثوباً غسله، ثم دفعه إلى صاحبه بالوزن، ليكون أنفى للتهمة عنه، فإذا ادعى صاحب الغزل أن الحائك أبدل غزله، عرضه المحتسب على العريف، فإن رجعا إلى قوله كان بها، وإلا حملها إلى حكم الشرع" [(٢)]. وقد أضاف ابن بسام في هذا المجال"أن على المحتسب أن يعين على الحاكة عريفا ثقة" ويأمرهم أن يعطوا لكل من عمل عندهم مسلاكاً من غزله أي عينة منه، لتزول التهمة، ويرتفع الشك، فإذا جرى في ذلك دعوى من صاحب الغزل، أن غزله قد أبدل، رجع العريف، وأهل الصنعة إلى ذلك المسلك، ونظر ما رسمناه للصناعة" [(٣)].

وفي الحسبة على الخياطين، يذكر الشيزري عدداً من الشروط التي ينبغي أن تراعى في عمل الخياطين، فيقول موجهاً خطابه إلى المحتسب:"يؤمرون بجودة التفصيل وحسن فتح الجيب، وسعة التخاريص، واعتدال الكمين والأطراف، استواء الذيل، والأجود أن تكون الخياطة درزاً لا شلاً، والإبرة دقيقة، والخيط في الحزم قصيراً...، وينبغي أن لايفصل الخياط لأحد ثوباً له قيمة حتى يقدره، ثم يقطعة بعد ذلك، فإن ثوباً له قيمة كالحرير والديباج[(٤)]، فلا يأخذة إلا بعد أن يزنه، فإذا خاطة رده إلى صاحبه بذلك الوزن " [(٥)].

---

(١) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص٦٥.

(٢) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص٦٥.

(٣) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص١٣٥؛ ابن الأخوة: **معالم القربة**، ص٢١٨.

(٤) الديباج: معرب ديبا وهو الثوب الذي سداه ولحمته حرير. ادي شير: معجم الألفاظ الفارسية المعربة، ص ٦٠.

(٥) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص٦٧، ابن الأخوة: **معالم القربة**، ص١٩.

ويكمل الشيزري بعض صور الغش والتدليس التي يمارسها الخياطون في عملهم وينبه المحتسب على ضرورة منعها، فيقول: "ويعتبر على المحتسب ما يسرقونه من أمتعة الناس، فمنهم من إذا خاط ثوباً حريرياً ونحوه حشاه وقت كفه رملاً وإشراساً- أي أليافاً نباتية -، ويسرق بقدره من الثوب إذا كان موزوناً عليه، ويمنعهم أن يماطلوا الناس بخياطة أمتعتهم، باستضرارهم بالتردد إليهم وحبس الأمتعة عنهم، ولايتكلفون للناس عملاً أكثر من الأسبوع، إلا أن يشرطوا لصاحبه أكثر من ذلك، ولا يتعدون الشرط [(١)]".

ونبهت كتب الحسبة المحتسب على مراقبة بعض الحرف التي تدخل في صنف أعمال الخياطة، وهي الرفائين وصناع القلانس، فيقول الشيزري: "وينبغي أن يحلف المحتسب الرفائين ألّايرفوا لأحد من القصارين والدقاقين ثوباً مخروقاً إلا بحضرة صاحبة، ولا ينقل المطرز أو الرقام رقم ثوب إلى ثوب يحضره القصار أو الدقاق فكثير منهم يفعلون ذلك بثياب الناس، وأما القلانس، فيأمرهم المحتسب بعملها من الخرق الجديدة وخيوط الأبريسم والكتان المصبوغ، ولا يعملونها من الخرق البالية المصبوغة ويقوونها بالإشراس والنشا، فهذا تدليس فيمنعهم من فعله وعمله"[(٢)].

وقد أضاف ابن الأخوة بعضاً من صور خيانة الأمانة التي يرتكبها بعض القصارين فقل: "ويلزم القصارين ألا يسرقوا من أقمشة الناس، ولا يلبسوها، ولا يرهنوا لأحدهم شيئاً من أقمشة الناس"[(٣)].

وفي الحسبة على القطانين يذكر الشيزري بعض القواعد التي ينبغي مراعاتها في العمل لمنع الغش فيقول: "لا يخلطون جديد القطن بقديمة ولا أحمره بأبيضه. وينبغي أن يندف القطن ندفاً مكرراً حتى تطير منه القشرة السوداء والحب المكسور، لأنه إذا بقي فيه الحب ظهر في وزنه، وإذا طرح في لحاف أو جبه أو قباء قرضه الفأر.. ولا يصنعون القطن بعد ندفه في المواضع الندية، فإن

---

(١) الشيزري: المصدر السابق، ص ٦٧؛ ابن الأخوة: المصدر السابق، ص ٢١٩

(٢) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص٦٧-٦٨؛ ابن الأخوة، **معالم القربة**، ص ٢١٩.

(٣) ابن بسام: **معالم القربة**، ص ٢٢١.

ذلك يزيد في وزنه، فإن جف نقص، وهذا تدليس يفعله الكل، فيمنعهم المحتسب من فعله" [1].

وقد أضاف ابن بسام أنه "ينبغي أن يعرف عليهم – أي القطانين – عريفا، وتكون أرطالهم معيرة مختومة، وكذلك موازينهم، ويستحلفون يميناً لا كفارة لهم منها أنهم لا يخلطون قطناً قديماً بجديد، لا في كفن ولا غيره، بل يبيعون كل واحد على حدته.."

وقد أورد الشيزري وغيره شروطاً وأقوالاً في الحسبة على الكتانيين والحسبة على الحريريين قريبة مما أوردوه في الحسبة على القطانيين فلا نجد ضرورة للإطالة في ذكرها [2].

وكان تنوع الألوان في الأقمشة يدل على فن متميز في الصباغة [3]، وكانت الألوان المتنوعة تستخدم في صنع الملابس وكان الشعار الرسمي اللون الأسود [4]، وكان اللون الغالب عليها اللون القرمزي (الوردي) [5]بالإضافة إلى الألوان الأخرى.

وكان الصباغون يتقنون مهنتهم، ويختص بعضهم بصبغة واحدة مثل (الفوة) [6] و(النيلة)[7]، وكانت معظم الأصباغ نباتية، وكان قشر الرمان يستعمل لتكوين صبغ أصفر [8]، وكان الحرير وحده يصبغ بألوان مختلفة منها الأخضر والأصفر والأزرق، وأخذ الناس يرتدون ملابس مختلفة الألوان [9]، وشاع استخدام العباسيين لألوان أخرى غير السواد.

---

(١) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص٦٩.

(٢) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص٧٦.

(٣) الدوري: عبد العزيز عبد الكريم،**تاريخ العراق الاقتصادي**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩م، ص١٢٤.

(٤) غنيمة: **صناعات العراق**، ص٥٦٩.

(٥) الدوري: **تاريخ العراق الاقتصادي**، ص١٢٥.

(٦) الفوة: هي عروق نبات لونها أحمر يستعملها الصباغون وتعرف بفوة الصباغين طعمها مر، ولها استعمالات طبية كثيرة، بن رسول: يوسف بن عمر ،**المعتمد في الأدوية المفردة**، ط٣، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٥م، ص٢٧١-ص٢٧٢.

(٧) النيلة: هو نبات له ساق وفيه صلابة ولونه يميل إلى الزرقة وله منافع طبية، بن رسول: **المعتمد في الأدوية**،ص٥٣١-٥٣٢.

(٨) المرجع السابق، ص١٢٥.

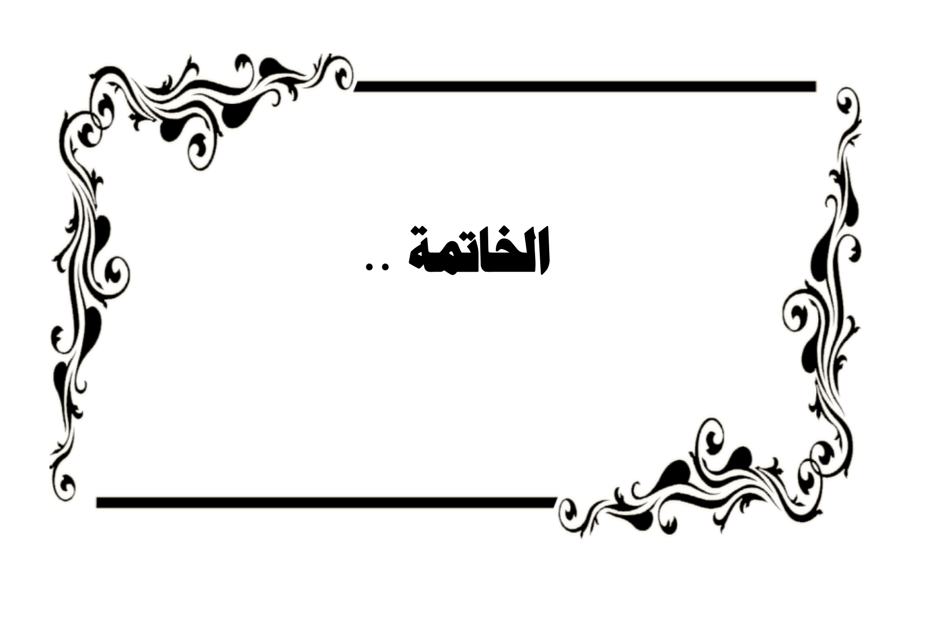
(٩) غنيمة: صناعات العراق، ص ٥٦٩.

وفي الحسبة على الصباغين، يذكر الشيزري عدداً من صور الغش التي يرتكبها في ممارسته لحرفته فيقول: "أكثر صباغي الحرير الأحمر –وغيره من الغزل والثياب – يصبغون في حوانيتهم بالحنا عوضاً عن الفوه – وهو نبات عروقه حمراء يستخدم في الصبغ–، فيخرج الصبغ حسناً مشرقاً، فإذا أصابته الشمس تغير لونه وزال إشراقه، ومنهم من يدكن الثياب بالعفص والزاج إذا أراد صبغها كحلياً، ثم يدليها في الخابية، فتخرج صافية اللون شديدة السواد، فإذا مضت عليها أقل مدة تغير لونها، ونقص صبغها، وهذا كله تدليس، فيمنعه المحتسب من فعله" [(١)]. ويشير الشيزري إلى إحدى صور خيانة الأمانة عند أصحاب هذه الصنعة: فيقول: "وينبغي أن يكتبوا على ثياب الناس أسماءهم بالحبر، لئلا يتبدل منها شيئاً. وأكثر الصباغين والمرندجين – إذا كان أيام المواسم والأعياد وغيرها من الأفراح – يغيرون ثياب الناس، ويكرونها بالأجرة، لمن يلبسها في ذلك اليوم ويتزين بها. وهذه خيانة وعدوان، فيمنعهم المحتسب من فعله. ويعتبر عليهم ما يفعلونه ويغشون به الصبغ، ويعرض ذلك على عريفهم"[(٢)].

---

(١) الشيزري: نهاية الرتبة، ص ٧٢.

(٢) الشيزري: نهاية الرتبة، ص٧٢.



الخاتمة ..

الخـاتمــة

تبين بعد دراسة موضوع الرقابة على الأسواق والصناعات في مجتمع المشرق الإسلامي خلال العصر العباسي (١٣٢هـ-٦٥٦هـ) (٧٥١م-١٢٥٨م).

العديد من النتائج التي يمكن تحديدها بما يأتي:-

١. إن وظيفة الحسبة هي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ حرم الله تعالى في كتابه الكريم والرسول (صلى الله عليه وسلم) في سنته الشريفة الغش والتدليس.

٢. لم تكن وظيفة المحتسب وظيفة جديدة، إنما هي وظيفة قديمة منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، لكن الخلفاء من بعده -وخاصة العباسيين- قاموا بالاهتمام بها وتطويرها.

٣. قام السلاطين والأمراء في العصر العباسي بالدعم المباشر لمؤسسة الحسبة والمحتسبين، وجعلوها مؤسسة قائمة بنفسها.

٤. وضوح الدور الكبير والفعال والصلاحيات المطلقة للمحتسبين في الإسلامي حيث ظهر ذلك جليا في العصر العباسي.

٥. كان لوالي السوق أعوان يؤدون مهامهم حسب مايوكل إليهم، ويؤدون دور عرفاء الحرفة.

٦. تنوعت المهن والحرف في العصر العباسي مما نتج عنه تزايد مسؤوليات المحتسب، مما دفعه للاستعانة بعرفاء في كل مهنة عالمين وحاذقين بها.

٧. برزت واشتهرت صناعات متعلقة بالأقمشة والمنسوجات والمهن المرتبطة بها كالخياطة وغيرها وكان للمحتسب دور كبير في ضبط هذة الحرفة.

٨. نالت مهنة البناء والعمارة وما يتصل بهما عناية الخلفاء المسلمين، مما دل على تطورها.

٩. تبقى وظيفة الحسبة تتطور حسب الزمان والمكان وتتغير المسميات حسب الظروف المتاحة لذلك، ولكن كل من يقوم بمراقبة الأسواق والمخالفات العامة في كل وقت وحين هو من يقوم بوظيفة المحتسب.

١٠. كشفت الدراسة تنوع الصناعات التي زاولها سكان مدن المشرق الإسلامي والعراق، فضلاً عن تطور النشاط التجاري في هذه المنطقة.

١١. كان على المحتسب أن يعمل على قطع دابر التحايل في المعاملات، وتأمين سلامة المعروضات من مأكل ومشرب وملبس وآنية ومتاع، من الغش وسائر أنواع التدليس والكتمان والخيانة والمكر والخداع، وأن يمنع صاحب كل صناعة من الغش في صناعته.

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،

وصل الله على نبيا محمد و على آله و صحبه و يلم تسليمًا إلى يوم الدين .



المصادر والمراجع ..

المصادر والمراجع

أولا: القران الكريم

ثانيا : المصادر:

١. ابن ابي اصيبعة :أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين (ت ٦٦٨هـ)، **عيون الانباء في طبقات الاطباء**، تحقيق نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ،٢٠١٠م .

٢. ابن الاثير : ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري(ت٦٣٠هـ) ، **الكامل في التاريخ**، تحقيق عمر تدمري ، لبنان ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٣. ابن الأخوة: محمد بن محمد(ت٧٢٩هـ) ، **معالم القربة في احكام الحسبة** ، تحقيق ابراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٤. الإدريسي: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسيني الشريف(ت٥٥٩هـ) ، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ١٤٢٢هـ /٢٠٠٢م.

٥. الازرقي: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٢٥٠هـ)، **أخبار مكة** ،تحقيق رشدي الصالح ملحس ،دار الأندلس للنشر، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ.

٦. الأزهري: محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ)، **تهذيب اللغة** ، تحقيق حمد عوض مرعب ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي،ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٧. الأصبحي: مالك أنس بن مالك بن عامر (ت ١٧٩هـ): **المدونة**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م .

٨. الاصطخري: ابو اسحق ابراهيم بن محمد (ت ٣٤٦هـ) ، **المسالك و الممالك** ، تحقيق محمد الحسيني ، القاهرة ، دار القلم ، ١٩٦١م.

البخاري : محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ) :

٩. **صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر)** ، ط٣ ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م.

١٠. **الجامع الصحيح**، تحقيق محمد زهير الناصر، ط ١،بيروت ،دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١١. ابن البيطار : ضياء الدين عبدالله (ت ٦٤٦ هـ) ،**الجامع لمفردات الأدوية و الأغذية** ، القاهرة ، ١٢٩١م.

١٢. ابن بسام: محمد بن احمد بن بسام المحتسب التنيسي المصري(ت نهاية النصف الأول من الثامن الهجري)، **نهاية الرتبة في طلب الحسبة** ، بغداد ، مطبوعات المعارف ، ١٩٦٨م.

١٣. ابن بطوطة: محمد عبد الله اللواتي (ت ٧٧٩هـ) ، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار رحلة ابن بطوطة** ، قدم له وحققه محمد عبد المنعم العريان راجعه وأعد فهارسه مصطفى القفاص ، ط١، بيروت، دار إحياء العلوم ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

١٤. البغدادي : اسماعيل بن محمد (ت١٣٣٩هـ): **هدية العارفين**، د.ط ،لبنان، بيروت ،دار احياء التراث العربي ، د.ت.

١٥. البغدادي : محمد بن الحسن بن محمد الكاتب (ت٦٢٣ هـ) ، **الطبيخ** ، دار الكتب الجديدة ، بيروت ، ١٩٦٤م .

١٦. البغدادي: أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ):**تاريخ بغداد** ، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي،ط١ ،١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م .

١٧. البكري : أبوعبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت٤٨٧هـ) ، **المسالك و الممالك** ، دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٢ م.

البيروني : ابو الريحان محمد بن احمد (ت ٤٣٠هـ):

١٨. **الصيدلة في الطب** ، مراجعة غضنفر التبريزي ، مصر ،د.ت

١٩. **الجماهر في معرفة الجواهر** ، عالم الكتب ، بيروت ، د.ت.

٢٠. الترمذي : محمد بن عيسى (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) ، **جامع الترمذي**، دار الفيحاء ، دمشق ، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

التنوخي: المحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ) :

٢١. **نشوار المحاضرة و أخبار المذاكرة**، تحقيق عبود الشالجي ، د.م ، د.أ ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

٢٢. **الفرج بعد الشدة** ، تحقيق عبود الشالجي ، بيروت ، دار صادر ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

ابن تيمية: احمد بن عبدالحليم(ت٧٢٨هـ) ،

٢٣. **الحسبة في الاسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية**، تحقيق أبو المنذر سامي أنور، ط١ ، امستردام، مسجد التوحيد ،١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٢٤. **مجموع الفتاوى** ،جمع عبدالرحمن النجدي و ابنه محمد، ط١، ،بيروت،مطابع دار العربية ،١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

الثعالبي : ابو منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل (ت٤٢٩هـ) :

٢٥. **لطائف المعارف** ، تحقيق ابراهيم الابياري و حسن الصيرفي ،القاهرة ،١٩٦٠م.

٢٦. **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب** ، القاهرة ، دار المعارف ،دت.

الجاحظ : عمر بن بحر الليثي (ت٢٥٥هـ) :

٢٧. **التبصر بالتجارة** ، تحقيق حسن حسني ، دمشق ،١٩٣٢.

٢٨. **الدلائل و الاعتبار على الخلق و التدبير**،ط١ ،بيروت، دار النخوة ،١٩٨٨م.

٢٩. **البيان و التبيين و اهم الرسائل** ، تعليق جميل جبر ، بيروت ، المطبعة الكاثولكية ، ١٩٥٩م.

٣٠. ابن جبير : محمد بن أحمد بن جبير الكناني (ت٨٥٠هـ) ، **رحلة ابن جبير** ، القاهرة ، السعادة ،١٩٠٨م.

٣١. الجزري: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد (٦٠٦هـ)، **جامع الأصول في أحاديث الرسول** ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، ط١، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.

٣٢. الجزيري: عبد القادر محمد عبد القادر الانصاري (ت٩٧٦هـ)، **درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المنظمة**، الرياض، منشورات دار اليمامة، ط١، ١٩٨٣م

٣٣. ٠ الجواليقي: ابو منصور مرهوب بن أحمد (ت٥٤٠) ، **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، تحقيق احمد شاكر ،مطبع دار الكتب المصرية، القاهرة،١٣٦١هـ .

ابن الجوزي :عبدالرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ):

١٢. **الاذكياء** ، تحقيق لجنة التراث العربي ، دار الافاق الجديدة ، ط٥ ، بيروت ، ١٩٨٣م .

١٣. **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ، مصطفى عبدالقادر عطا ،بيروت ،دار الكتب العلمية،ط١ ،١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١٤. **أخبار الحمقى و المغفلين** ، تحقيق عبدالقادر المغربي ، مطبعة التوفيق ، دمشق ، ١٣٤٥هـ .

١٥. **مناقب بغداد** ، بغداد ،مطبعة دار السلام ، ١٣٤٢هـ. .

١٦. **أحكام النساء**، دمشق، الدار الدمشقية، ٢٠٠٣م.

٣٤. الجهشياري: محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ) ، **الوزراء والكتاب**، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، ط٢، القاهرة ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٤١٠هـ/١٩٨٠م .

٣٥. الجوهري: إسماعيل بن حماد(ت ٣٩٣هـ)،**الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية** ، تحقيق احمد عبدالغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين،ط٤ ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٣٦. حاجي خليفة : مصطفى عبد الله(ت١٠٦٧هـ) : **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ، د.م ، دار الفكر ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

ابن حجر العسقلاني : شهاب الدين أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ):

٣٧. **الدرر الكامنة أعيان المائة الثامنة** ،ضبطه وصححه الشيخ عبد الوارث محمد علي، ط١، بيروت ، دار الكتب العلمية ،١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٣٨. **إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ** ، ط ٢، بيروت ، دار الكتب العلمية ،١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٣٩. ابن حنبل : أحمد بن محمد (ت٢٤١هـ) ، **المسند** ، بيت الافكار الدولية ، الرياض، ط١ ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٤٠. الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد(ت ١٠٨٩هـ)، **شذرات الذهب في أخبار من**

ذهب، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ،ط١، بيروت، دار الكتب العلمية،١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ)،

٤١. **معجم الأدباء** ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار الغرب الاسلامي، ط١ ،١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٤٢. **معجم البلدان** ، بيروت ، دار صادر ، ط٢ ، ١٩٩٥م

٤٣. الحميري : محمد بن عبد المنعم(ت ٧٢٧هـ) ، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، مكتبة لبنان ،١٩٧٥م.

٤٤. ابن حوقل: أبو القاسم محمد بن علي الموصلي الحوقلي البغدادي (ت٣٦٧هـ)، **صورة الأرض،** بيروت، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر،١٩٩٢م.

٤٥. ابن خرداذبه: أبو القاسم عبيد الله عبد الله (ت٣٠٠هـ)،**المسالك والممالك**، دار صادر ليدن، بيروت، ، ١٨٨٩م.

٤٦. خسرو : ناصر ابو معين الدين الحكيم القبادياني المروزي (ت٤٨١هـ) ، **سفرنامة** ، بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ط٣ ، ١٩٨٣م .

٤٧. ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ):**العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تحقيق تركي فرحان المصطفى، بيروت، دار إحياء التراث ، ط١ ،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).

٤٨. الخوارزمي : محمد بن احمد بن يوسف البلخي (ت ٣٨٧ هـ)، **مفاتيح العلوم** ،المطبعة المنيرية ، القاهرة، ١٣٤٢ م .

٤٩. الدمشقي :جعفر بن علي (ت ٥٨٠هـ) ، **الإشارة إلى محاسن التجارة، الاسكندرية** ، تحقيق البشري الشوربجي ،مكتبة الكليات الازهرية ، ط١ ، ١٩٧٧م

٥٠. الدميري : محمد بن موسى بن عيسى بن علي (ت ٨٠٨هـ) ، **حياة الحيوان الكبرى** ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط٢ ، ١٤٢٤هـ.

الدينوري، عبدالله بن مسلم (ت٢٧٦هـ):

٥١. **المعارف** ،بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢ ،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٥٢. **عيون الأخبار**، شرحه وضبطه وعلق عليه ورتب فهارسه يوسف طويل ،بيروت، دار الكتب العلمية،١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

٥٣. **ادب الكاتب** ، تحقيق محمد محيي الدين ، القاهرة ،مكتبة السعادة ، ١٩٦٣م .

٥٤. الذهبي: محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ) ،**سير أعلام النبلاء** ، تحقيق ،شعيب الأرناؤوط و آخرون ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ،ط٢ ،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٥٥. ابن رسته: أبو علي أحمد بن عمر (ت ٢٩٠هـ/٩٠٣م)، **الأعلاق النفيسة** ، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت

٥٦. الرازي : ابي بكر محمد بن زكريا (٢٥٠هـ) ، **صيدلية التداوي من كتاب الحاوي** ، مجربات الرازي في الطب و التداوي ، شرح محسن عقيل ، ط٤ ، دار المحجة البيضاء ، ٢٠٠٤م.

٥٧. ابن رجب: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد (ت٧٩٥هـ)،**الذيل على طبقات الحنابلة** ، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، الرياض ،مكتبة العبيكان، ط١ ،١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م .

٥٨. ابن الزبير: الرشيد (ت القرن الخامس الهجري) ، **الذخائر والتحف** ، تحقيق محمد حميد الله ، دائرة المطبوعات و النشر ، الكويت ، ١٩٥٩ م .

٥٩. الزركلي: خير الدين الزركلي(ت١٣٦٩هـ)، **الأعلام** ، ط٥، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٠م.

٦٠. الزمخشري : جار الله محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي(ت ٥٣٨هـ)، **أساس البلاغة** ، بيروت، دار صادر، بيروت، دار بيروت، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

٦١. ابن الساعي : علي بن أنجب بن عثمان تاج الدين(ت ٦٧٤هـ) : **الجامع المختصر في عنوان التواريخ و عيون السير** ، تحقيق : مصطفى جواد ، بغداد ، المطبعة السريانية الكاثوليكية ، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م .

السبكي :تاج الدين عبدالوهاب تقي الدين (ت ٧٧١) :

٦٢. **معيد النعم و مبيد النقم** ، **لبنان** ، بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

٦٣. **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق محمود محمد الطناجي وعبد الفتاح الحلو، ط١، القاهرة، إحياء الكتب العربية ،د.ت.

٦٤. ابن سعد:محمد(ت٢٣٠هـ)،**الطبقات الكبرى** ،تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر،ط١، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م.

٦٥. ابن سلام : أبو عبيد القاسم (ت ٢٢٤هـ) ، **الأموال** ، دراسة وتحقيق محمد عمارة، ط١، القاهرة – بيروت، دار الشروق، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م

٦٦. السنامي: عمر بن محمد عوض (ت٧٣٤هـ)، **نصاب الاحتساب**، تحقيق مريزن سعيد مريزن عسيري ،ط١، مكة المكرمة، مكتبة الطالب الجامعي، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٦٧. السمعاني : عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت ٥٦٢هـ) ،**الأنساب** ، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ،ط١، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٢.

٦٨. السمهودي : علي بن أحمد(٩١١هـ) ،**وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى** ، تحقيق خالد محفوظ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٢٧هـ /٢٠٠٦م.

ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت٤٥٨هـ):

٦٩. **المخصص**، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، بيروت، د.أ، د.ت.

٧٠. **المحكم والمحيط الاعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)

٧١. ابن سينا : الحسين بن عبدالله بن علي (ت ٤٢٨هـ) ، **القانون في الطب** ، لبنان ، بيروت ، دار الفكر ، د.ت.

٧٢. الشيزري: عبدالرحمن بن نصر(٥٩٠هـ) ،**نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، تحقيق السيد الباز العريني،ط١، بيروت، دار الثقافة، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.

٧٣. الصابئ : هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال، (ت ٤٤٨هـ) ، **رسوم دار الخلافة**، تحقيق ميخائيل عواد ، بيروت ، دار الرائد العربي ، ط٢، ١٩٨٦م.

٧٤. الصنعاني : إسحق بن يحيى بن جرير (ت ٤٥٠هـ) ، **تاريخ صنعاء** ،تحقيق عبدالله الحبشي ، صنعاء ، مكتبة السنحاني ، د.ط ، د.ت .

٧٥. الصولي: أبو بكر محمد يحيى (ت ٣٣٦هـ)، **أخبار الراضي بالله والمتقي لله** ، تحقيق هيورث دن ، مصر ، مطبعة الصاوي ،١٩٣٥ م .

٧٦. الضبي: أحمد بن يحيى (ت ٥٩٩هـ) ، **بُغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس**، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة، دار الكتاب المصري ، ١٩٨٩.

٧٧. ابن طباطبا: محمد بن علي (ت٧٠٩هـ)، **الفخري في الآداب السلطانية و الدول الإسلامية**، حققه وضبطه وشرحه عبد القادر بن محمد مايو، ط١، حلب، دار القلم، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٧٨. الطبري :ابي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) ، **تاريخ الرسل و الملوك**، تحقيق محمد ابراهيم ،ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٢٢م.

٧٩. ابن طولون: شمس الدين محمد (ت٩٥٣هـ)، **مفاكهة الخلان في حوادث الأزمان تاريخ مصر والشام**، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القسم الأول،١٣٨١هـ/١٩٦٢م، القسم الثاني، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة ،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة،١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

٨٠. ابن عبد ربه: المؤلف : شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، **العقد الفريد**، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط١، ١٤٠٤ هـ .

٨١. ابن عساكر : علي بن الحسين بن هبة الله الدمشقي (ت٥٧١هـ) ، **تاريخ دمشق** ، تحقيق صلاح الدين المنجد، دمشق ، المجمع العلمي ، ١٩٧٥هـ.

٨٢. العسقلاني : احمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ، دار الريان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .

٨٣. الغزالي: ابو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)،**إحياء علوم الدين** ،بيروت، دار الندوة الجديدة ، ط١ ، د.ن.

٨٤. الغزولي: علي بن عبد الله الغزولي البهائي الدمشقي (ت٨١٥هـ) ، **مطالع البدور ومنازل السرور** ، مطبعة إدارة الوطن ، د.ط ، د.ت .

٨٥. الفاسي: تقي الدين محمد بن احمد الحسيني الفاسي المكي(ت ٨٣٢هـ)، **شفاء الغرام بأخبار البلد**

الحرام ، ط١، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .

٨٦. الفاكهي :محمد بن إسحاق بن العباس أبو عبد الله ، (ت ٢٧٥ هـ) ، **أخبار مكة**، تحقيق عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر، بيروت، ط ٢، ١٤١٤ هـ، ج ١.

٨٧. ابن فرحون: ابراهيم بن علي(ت٧٩٩هـ)،**تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام**، تحقيق: جمال مرعشلي ،بيروت، دار الكتب العلمية،ط١،١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٨٨. ابن الفقيه: ابو عبدالله احمد بن محمد الهمداني (ت٣٦٥) ، **مختصر كتاب البلدان** ، تحقيق يوسف الهادي ، بيروت ، عالم الكتب ، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٨٩. الفيروز آبادي :محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ)، **القاموس المحيط**، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة ،بيروت، مؤسسة الرسالة،ط٨،١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٩٠. الفيومي: أحمد بن محمد (ت ٧٧٠هـ)، **المصباح المنير**، د.أ، بيروت ، مكتبة لبنان، ١٩٨١م.

٩١. القرماني: أحمد يوسف(١٠١٩هـ) ،**أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ** ، دراسة وتحقيق أحمد حطيط، وفهمي سعد، عالم الكتب ، بيروت ،١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

القزويني : زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ) :

٩٢. **آثار البلاد وأخبار العباد** ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .

٩٣. **مفيد العلوم و مبيد الهموم** ، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمة ، بيروت ، ١٩٨٥م.

٩٤. القفطي: جمال الدين أبي الحسن علي القاضي (ت٦٤٦ هـ) ، **أخبار العلماء بأخبار الحكماء** ، تصحيح محمد الحانجي ، مصر ، ١٩٠٨م.

٩٥. القلقشندي : أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت ٨٢١هـ) ، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء** ، بيروت ، دار الكتب العلمية،١٣٤٠هـ/١٩٢٢م .

ابن القيم: محمد بن ابي بكر الجوزية (ت٧٥١هـ):

٩٦. **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية** ، تحقيق محمد جميل غازي ، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت.

٩٧. **الطب النبوي** ، دار الفجر للتراث ، القاهرة ، مصر ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ص ٢١

٩٨. **زاد المعاد في هدي خير العباد**، دار الفجر للتراث ، القاهرة ، مصر . ط٢ ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م
الطب النبوي ، دار الفجر للتراث ، القاهرة ، مصر ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م

٩٩. ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل(ت ٧٧٤هـ)، **البداية والنهاية**، اعتنى به عبد الحميد هنداوي، بيروت، المكتبة العصرية،١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

١٠٠. ابن ماجه: عبدالله محمد(ت٢٧٣هـ) ، **السنن**، تحقيق فؤاد عبدالباقي، بيروت، دار إحياء الكتب العربية،(د.ت).

١٠١. ابن ماسويه : ابو زكريا يوحنا الدمشقي (ت ٢٤٣هـ) ، **النوادر الطبية** ، القاهرة ، ١٩٣٤م .

الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (٤٥٠هـ/١٠٥٨م) :

١٠٢. **الأحكام السلطانية**، تحقيق أحمد جاد، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

١٠٣. **الرتبة في طلب الحسبة** ، تحقيق : احمد جابر بدران ، القاهرة ، دار الرسالة ،ط١، ٢٠٠٢م/١٤٢٣هـ.

١٠٤. ابن المجاور : يوسف بن يعقوب (ت ٦٩٠هـ) ، **تاريخ المستبصر**، ليدن، د.ط، ١٩٥١م.

١٠٥. المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين(ت ٣٤٦ هـ)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، اعتنى به محمد هشام النعسان وعبد المجيد طعمه حلبي، ط١، بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

١٠٦. مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت٢٦١هـ)، **صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.

١٠٧. المقدسي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن البناء البشاري(ت٣٨٠هـ)،**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، وضع مقدمته وهوامشه محمد مخزوم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

١٠٨. المقريزي: أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي العبيدي (ت ٨٤٥ هـ) ،

١٠٩. **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، تحقيق كرم حلمي فرحات. دار النشر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

١١٠. **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١١١. ابن منظور: محمد بن مكرم (ت٧١١هـ)، **لسان العرب** ، ط٣، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

النزوي:ابو بكر احمد بن عبدالله (ت ٥٥٧ هـ) :

١١٢. **المصنف** ، عمان ، وزارة التراث القومي و الثقافة ، ١٩٧٩م.

١١٣. **بيان الشرع** ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ، ١٤٠٥هـ.

١١٤. نظام الملك : الحسن بن علي الطوسي (ت ٤٨٥هـ) ، **سياسة نامة او سير الملوك** ، قطر، دار الثقافة ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م .

١١٥. أبو نواس: الحسن بن هاني بن صباح الحكمي (ت٣٣٨هـ) ، **ديوان أبي نواس**، بيروت ، ١٨٨٤م .

١١٦. النووي : أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ) ، **روضة الطالبين وعمدة المفتين** ، تحقيق زهير الشاويش ، بيروت ، المكتب الاسلامي ، ط٣ ، ١٤١٢هـ /١٩٩١م.

١١٧. النيسابوري: الحافظ ابو عبدالله محمد بن عبدالله (ت ٤٠٥هـ)، **المستدرك على الصحيحين** ، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط١ ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م .

١١٨. الهمذاني: أحمد بن الحسين بن يحيى(ت٣٥٨هـ)، **مقامات الهمذاني**، بيروت، دار المشرق، ١٩٧٣م.

١١٩. الوشاء : محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى، أبو الطيب (ت: ٣٢٥هـ) ، **الموشى** ، تحقيق كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي، شارع عبد العزيز، مصر ،مطبعة الاعتماد ، ط٢، ١٣٧١هـ - ١٩٥٣م.

١٢٠. وكيع:محمد بن خلف (ت٣٠٦هـ) ،**أخبار القضاة**، تحقيق عبدالعزيز مصطفى المراغي، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى،ط١، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م.

١٢١. اليعقوبي : احمد بن ابي يعقوب بن واضح (ت ٢٧٨هـ) ، **البلدان**، بيروت ، دار الكتب العلمية،د.ت .

ثالثا:المراجع العربية :

١٢٢. إدريس: محمد محمود، **تاريخ العراق والمشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي الاول**، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٨٥م .

١٢٣. الاطرقجي: رمزية، **الحياة الاجتماعية في بغداد منذ نشأتها حتى نهاية العصر العباسي الأول** ،

ط١، بغداد ، مطبعة جامعة بغداد. ١٩٨٢م.

١٢٤. أمين: أحمد ، **ظهر الإسلام** ،مؤسسة هنداوي ، مصر ، ٢٠١٢م .

١٢٥. البار: محمد علي ، **المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ** ،ط١، جده، دار الشروق، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٢٦. الباشا:حسن ، **الفنون الاسلامية و الوظائف على الآثار العربية،** القاهرة ، دار النهضة العربية ، (د.ت) .

١٢٧. باقر: طه ، **موجز في تاريخ العلوم والمعارف** ،د.م، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ، د.ت .

١٢٨. الجنحاني:الحبيب ،**التحول الاقتصادي و الاجتماعي في مجتمع صدر الإسلام** ، دار الغرب الإسلامي ، ط١ ، ١٩٨٥ م .

١٢٩. حسن: حسن ابراهيم ، **تاريخ الاسلام السياسي** ، القاهرة ، مكتبة النهضة ، ط٧، ١٩٦١م.

حسن : زكي محمد :

١٣٠. **فنون الاسلام** ، القاهرة ، ١٩٤٨م.

١٣١. **الفن الاسلامي في مصر** ، مطبعة السعادة ، دار الكتب العلمية ، القاهرة ، ١٩٣م .

١٣٢. **الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي،** القاهرة ، مطبعة دار الكتب، ١٩٤٠ م .

١٣٣. حسين : محمد كامل ، **الموجز في تاريخ الطب و الصيدلة عند العرب** ، المنظمة العربية للثقافة والعلوم ، تونس.

١٣٤. الحسيني :محمد عبدالعزيز، **الحياة العلمية في الدولة العربية الاسلامية** ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٣م.

١٣٥. الحصان : عبد الرزاق، **الحسبة** ، ط١، بغداد ، مكتبة التفيض ، ١٣٦٥ هـ .

١٣٦. الحصونة : رائد عبد الحسين ، **الحسبة في الاسلام** ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

١٣٧. حلاق:حسان علي، **الإدارة المحلية الإسلامية،** ط١،بيروت، دار الراتب الجامعية، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

حميد: عبدالعزيز :

١٣٨. **الزخرفة في الاجر** ، حضارة العراق ، بغداد، ١٩٨٥م .

١٣٩. **الفنون الزخرفية العربية الاسلامية** ، بغداد ، ١٩٨٢م

١٤٠. خفاجي: محمد عبد المنعم ، **الآداب العربية في العصر العباسي الأول** ، دار الجيل ،بيروت، ١٩٩٢.

١٤١. خير الله :ابن اسعد ، **الطب العربي** ، بيروت ، ١٩٤٩ م .

١٤٢. الدفاع :علي عبدالله ، **إسهام علماء العرب والمسلمين في الصيدلة** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٥م.

الدوري: عبدالعزيز :

١٤٣. **اوراق في التاريخ و الحضارة** ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ،ط٢، ٢٠٠٩م .

١٤٤. **تاريخ العراق الاقتصادي** ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٩م.

١٤٥. رسول: يوسف بن عمر بن ، **المعتمد في الأدوية المفردة** ، ط٣ ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٩٧٥م.

١٤٦. رشدي: صبيحة رشيد ، **الملابس العربية وتطورها في العهود الإسلامية** ، مؤسسة المعاهد الفنية ، ط١ ، ١٤٠٠هـ - .

١٤٧. الرماني : زيد محمد ، **اقتصاد الحسبة تاريخ وتراث،** ط١ ، الرشد ، ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ

١٤٨. زيات : حبيب ، **خبز الابازير،** بيروت ، الخزانة الشرقية ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣٧م .

١٤٩. زيادة :نقولا، **المحتسب في الإسلام،** المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٢.

١٥٠. السامرائي : حسام الدين ، **المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية،**ط٢ ، بيروت، دار الفكر العربي ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

١٥١. سامي: سماح ،**الطب والصيدلة عند العلماء العرب** ، الهيئة المصرية للكتاب ،القاهرة، ٢٠٠٧.

١٥٢. السروجي: عبدالغني ماجد ،: **تاريخ طب الأسنان وأصول مزاولة المهنة** ، المطبعة الجديدة ،دمشق، ١٩٨٦ .

١٥٣. السعيدي ، محمد عبد: **إنتاج المحاصيل الحقلية**، بغداد، مؤسسة المعاهد الفنية، ط١، د.ت.

١٥٤. السيف: عبد الله ،**الحياة الاقتصادية في نجد والحجاز في العصر الأموي**، كلية الآداب، جامعة الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

١٥٥. الشكري: جابر، الطب الصيدلة الكيمياء حضارة وتأثير، بغداد ، ١٩٨٨م

١٥٦. الشهاوي: إبراهيم دسوقي ،**الحسبة في الإسلام**، ط١،مطبعة المدني، القاهرة ، ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م.

ضيف : شوقي:

١٥٧. **تاريخ الادب العربي (العصر العباسي الاول)** ، ط٨، القاهرة ، دار المعارف.

١٥٨. **العصر العباسي الأول** ، ط٣ ،دار الممعارف ، القاهرة .

١٥٩. الطاهر: علي نصوح، **شجرة الزيتون تاريخها وزراعتها وأمراضها وصناعتها**، مطبعة الأردن، عمان، ١٩٤٧م.

١٦٠. الطوخي: أحمد، **شرقي الجزيرة العربية في العصور الوسطى في كتابات الرحالة المسلمين**، مركز الوثائق، قطر، ١٤١١هـ/١٩٩٠م

١٦١. العبادي: مختار أحمد ، **نظم الحكم و الادارة في الدولة الاسلامية** ، ضمن كتاب دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية، ط٢ ، الكويت، منشورات ذات السلاسل ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

١٦٢. عبد الرحمن : حكمت نجيب ، **دراسات في تاريخ العلوم عند المسلمين** ، جامعة الموصل ، ١٩٧٧م.

١٦٣. عبد العزيز: محمد الحسيني، **الحياة العلمية في الدولة العربية الإسلامية**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٣م

١٦٤. العبد لله: عبد العزيز، **قاموس الصناعات** ، إصدارات الجامعة العربية، ط١، ١٤١١هـ .

١٦٥. العبيدي: صلاح الدين، **الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي من المصادر التاريخية والأثرية**، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م.

العريفي: سعد، **الحسبة والنيابة العامة**، الرياض، دار الرشد، ط١ ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

عسيري: مريزن سعيد:

١٦٦. **تعليم الطب في المشرق الإسلامي نظمه ومناهجه حتى نهاية القرن السابع الهجري** ،فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية ،مكة، ١٤١٧هـ.

١٦٧. **علم الطب اهميته وشرفه ومعاييره الاخلاقية والعلمية عند المسلمين** ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية ،مكة، ١٤١٦هـ.

١٦٨. العفيفي: عبد الحكيم ،**موسوعة ألف مدينة إسلامية** ،ط١، بيروت— لبنان، أوراق شرقية، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٦٩. عفيفي: محمد الصادق ، **تطور الفكر العملي عند المسلمين** ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٦م.

١٧٠. العقاد: عباس محمود ، **أثر العرب في الحضارة الأوروبية** ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة، ١٩٩٨ .

١٧١. علي : جواد ، **المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام** ، ، ط١بيروت ، دار العلم للملايين.

١٧٢. العلي:صالح احمد ، **معالم بغداد الادارية و العمرانية** ، ط١، بغداد، دار الشؤون الثقافية ، ١٩٨٦.

١٧٣. عواد : ميخائيل، **صور مشرقه من حضارة بغداد في العصر العباسي**، دار الرشيد للنشر، بغداد ، ١٩٨١م .

١٧٤. غالب: عبد الرحيم ، **موسوعة العمارة الإسلامية** ، ط١، بيروت، جروس برس، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

١٧٥. الفاسي: عبد الرحمن، **خطة الحسبة** ،ط١، المغرب ، منشورات دار الثقافة ،١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

١٧٦. فراج: عز الدين ،**فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية** ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

١٧٧. الكبيسي: حمدان ،**موسوعة حضارة العراق**، فصل الصناعة في العراق ، بغداد ، ١٩٨٥م.

١٧٨. الكيالي :طه اسحق، **تاريخ الطب والأطباء في حلب و أطباء الأسنان والصيادلة** ، دمشق ، وزارة الإعلام ، ١٩٩٩م .

١٧٩. المدور:جميل نخلة ، **حضارة الإسلام في دار السلام**، القاهرة ،مطبعة بولاق ، ١٩٣٦م .

١٨٠. المغذوي: عبدالرحيم بن محمد، **الحسبة في الإسلام**، بريدة ،مكتبة ركن الجامعة ،د.ت.

١٨١. الملاح : هاشم يحي ، **الحسبة في الحضارة الإسلامية** ، ط١،القاهرة ، منشورات المنظمة العربية للتنمية ، ٢٠٠٧ م .

١٨٢. منيمنة: حسن، **تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي** ، الدار الجامعية، ١٤٠٧هـ .

١٨٣. النابلسي: عبدالغني النقشبندي ،**علم الملاحة في علم الفلاحة** ، دمشق، مطبعة نهج الصواب، ط١، ١٢٩٩هـ .

١٨٤. هناء : عبد الخالق ، **الزجاج الإسلامي**، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩م

١٨٥. اليسوعي: لويس معلوف ، **المنجد في اللغة والآداب والعلوم** ، المطبعة الكاثوليكية ،بيروت، د.ت.

١٨٦. يونس: فتحي علي، **أثر العرب والمسلمين في الحضارة الأوروبية** ، مطابع سجل العرب ،القاهرة، ١٩٩٦م .

رابعاً : الرسائل العلمية المنشورة :

١٨٧. التتر : عبد الرحمن نصر هاشم ، **ولاية الحسبة في العهد العباسي ودورها في حفظ الحياة الاقتصادية و الحياة العامة** ، رسالة ماجستير ، جامعة الاسلامية بغزة ، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

١٨٨. زعرور : ابراهيم ، الحياة الاجتماعية في بلاد الشام (رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة دمشق،١٤١١هـ/١٩٩٠م.

خامساً : الدوريات :

١٨٩. انطوان: باز ، **صناعة الحجر** ، بيروت ، مجلة المشرق ، المجلد ٣، ١٩٣٢م .

١٩٠. البشري:طارق ،**مؤسسات الدولة في النظم الإسلامية**، مقال في مجلة منبر الحوار ، دار الكوثر ، بيروت،١٤١٠هـ - ١٩٨٩م ، ص٨٦.

١٩١. البيطار: امينة ، **الحياة الاقتصادية في بلاد الشام (١٣٢-٣٥٩هـ/٤٧٩-٩٦٩م)** ،مجلة الدراسات التاريخية، ع٣، كانون اول، ١٩٨٠م.

١٩٢. الجبوري :خليل خلف ، **المؤسسات الرقابية و دورها ف حماية اقتصاد الدولة "ولاية السوق انموذجاً "** ، بحث منشور في مجلة الفراهيدي ، العدد ١٩ ، اذار ٢٠١٤.

١٩٣. الجبوري ، سعد رمضان محمد : **الحبوب في العراق خلال العصر العباسي الأول** ، مجلة التربية و العلم ، مج ١٨ ، ع ٤ ،٢٠١١ .

١٩٤. حميد: عبد العزيز، التحف المعدنية، البحوث المنشورة ضمن كتاب حضارة العراق، بغداد، ١٩٨٥م

١٩٥. الخضر: عفاف الرشيدي ،**الطب العربي من ١٠٠٠ سنة**، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد الخامس، السنة الأولى، دار السياسة للصحافة والنشر ،بيروت، ١٩٧٩م

١٩٦. سمين: وسن، الزراعة والصناعة في الحجاز خلال العصر الفاطمي، بحث منشور في مجلة أبحاث البصرة، مج٣٦، ع٢، ٢٠١١م

١٩٧. عبد الله: حسان ، **أشرف الفرائض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** ، مقال في مجلة الثقافة الإسلامية ، المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية ، دمشق ،ع ٤١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٩٨. العلي: صالح، **الانسجة في القرنين الأول والثاني**، مجلة الأبحاث البيروتية، العدد ١٤، ص١٩٦١م.

١٩٩. غنيمة: يوسف رزق الله ،**صناعات العراق في عهد العباسيين** ، مجلة غرفة تجارة بغداد ، الجزء الثامن، السنة الرابعة .

٢٠٠. فاروق : أحمد ، **دباغة الجلود و تجارتها عند العرب في مستهل الإسلام** ، مجلة العرب ، ج٧و٨ ، الرياض ، ١٩٧٦م .

فهد : بدري محمد :

٢٠١. **العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري** ، بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٦٧م / ١٣٨٧هـ .

٢٠٢. **المجتمع العراقي في العصر العباسي** ، سلسلة حضارة العراق ، من كلية الآداب بجامعة بغداد ، بغداد ١٩٨٥ هـ.

٢٠٣. محمد : محمود الحاج قاسم ،**ماذا اضاف العرب لعلم الصيدلة** ، مجلة المورد ،العدد ٣، بغداد ، ١٩٧٣ م.

سادساً : المخطوطات :

٢٠٤. المجوسي :علي بن عباس (ت ٤٠٠هـ) ،**كامل الصناعة الطبية** ،ج١. مخطوط .مصدر الكتروني.

سابعا : المعاجم :

٢٠٥. مصطفى: ابراهيم ، **المعجم الوسيط** ، دار الدعوة ، استانبول .

٢٠٦. **موسوعة العمارة الإسلامية** (ط١ ، بيروت ، جروس برس ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).

ثامناً : الكتب المترجمة :

٢٠٧. ديماند:م . س ، **الفنون الإسلامية**، ترجمة احمد عيسى ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٨٢م

٢٠٨. ريسلر : جاك ، **الحضارة العربية مترجمة غنيم عبدون** ،القاهرة ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة ، د.ت .

٢٠٩. كنج:دونالد، **الطنافس والمنسوجات، كنوز الفن الإسلامي**، ترجمه: حصة صباح السالم، دار الآثار الإسلامية، الكويت، ١٩٨٥م .

٢١٠. لاندو: روم ، الإسلام والعرب ، ترجمة منير البعلبكي ، دار العلم للملايين. ط١ ، ١٩٦٢م

٢١١. لبون: غوستاف ، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة، دار احياء الكتاب، ط٣، ١٩٥٦م.

٢١٢. لسترنج : غي ،**بلدان الخلافة الشرقية** ، ترجمة كوركيس عواد و بشير فرنسيس ، مطبعة الرابطة ،

بغداد ، ١٩٥٤ م .

٢١٣. لويس: برنارد، **الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الإسلام**، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط٢، ٢٠٠٦م .

٢١٤. ماسينيون: لويس ، **خطط الكوفة** ،ترجمة تقي بن محمد المصعبي ، ، دار الوراق ، د.ت.

٢١٥. متز: آدم، **الحضارة العربية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام**، نقله إلي العربية محمد عبد الهادي أبو ريده، ط٤، القاهرة، مكتبة الخانجي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

٢١٦. هونكه ، زيغريد : **شمس العرب تسطع على الغرب**، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي ، ط٤ ،بيروت ،دار الافاق الجديدية ، ١٩٨٠م .

٢١٧. واطسون: أوليفر، **كنوز الفن الإسلامي**، ترجمة غادة حجاوي ، نشر فيليب ويلسون ، لندن، د.ت.

٢١٨. ول ديورانت: ويليام جيمس، **قصة الحضارة**، ترجمة: زكي محمود وآخرون، تقديم: محيي الدين صابر، لبنان، يسروت، دار الجيل، ص ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.



الفهارس .

فهرس الموضوعات